

جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله-
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الصراع الوثني المسيحي في روما وانعكاساته على بلاد المغرب
القديم

(من القرن الأول الميلادي إلى القرن الخامس الميلادي)
**the Christian-pagan conflict in Rome and its
impact on the ancient Maghreb region from
the first to the fifth century ad.**

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل. م. د) في التاريخ والحضارات القديمة

إشراف الدكتور:

مصطفى رميلي

إعداد الطالب:

حسام الدين شاوش

لجنة المناقشة

الجامعة	الصفة	الأستاذ
جامعة الجزائر 02، أبو القاسم سعد الله	رئيسا	أ.د. أم هاني رمضاني
جامعة الجزائر 02، أبو القاسم سعد الله	مشرفا/ مقررا	د/ مصطفى رميلي
جامعة الجزائر 02، أبو القاسم سعد الله	عضوا	أ.د. نورة مواس
جامعة الجزائر 02، أبو القاسم سعد الله	عضوا	د. فايزة شميصة
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة-	عضوا	أ.د/ رضا بن علال
جامعة المدية	عضوا	أ.د/ عبد النور العمري

السنة الجامعية: 2023-2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى معلمتي الأولى جدتي فطيمة

إلى الأستاذ والقذوة الحبيب أبي

إلى أمي

إلى كل أحبتي عثمان بوبكر سرين محمد ماريه أهديكم

هذا العمل .

الشكر والعرفان

أقدم في هذا العمل المتواضع بكل عبارات التقدير والامتنان
للأستاذ المشرف مصطفى رميلي، متمنيا له من الله دوام الصحة
وتمام العافية

كما لا يفوتني أن أقدم كل العرفان والتقدير للبروفيسور شاوش
عثمان على دعمه وتحفيزه المستمر لي ، فجازاه الله عني كل خير.
والحمد والشكر لله مبتدأ ومنتهى.

قائمة المختصرات

- A.A.M.ST.A. : L'Algérie Antique De Massinissa A Saint Augustin .
- A.CH.A.R. : Autonomisme Et Christianisme Dans l'Afrique Romaine.
- A.J. : Antiquities Of The Jews.

- C.CH.E. : Constantine And The Christian Empire.
- C.H.E.R. : A Critical History Of Early Rome.
- C.R.E.R.E. : The Conflict Of Religions In The Early Roman Empire.

- CH.A.J.C. : Le Christianisme Antique De Jesus A Constantin.
- CH.A.N.A. : Le Christianisme En Afrique Du Nord Ancienne.
- CH.C.C.A. : Le Christianisme De Constantin A La Conquête Arabe.

- Dic .U.H.G. : Dictionnaire Universel D'histoire Et De Géographie.
- Dic.J.CH. : A Dictionary Of Jewish Christiain.
- Dic.S.H. : Le Dictionnaire Des Sciences Humaines.
- Ency.A.CH. : Encyclopedia Of Ancient Christianity.

- Ency.G.R.M. : Encyclopedia Of Greek And Roman Mythology .
- Ency.R.E. : Encyclopedia Of The Roman Empire.

- H.A.A.N. : Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord.
- H.CH.CH. : History Of The Christian Church.

- H.L.A.CH. : Histoire Littéraire De L'afrique Chrétienne.
- H.L.R.E.A : History Of The Later Roman Empier.
- H.R. : Historiae Romanae.
- H.R.A. : Histoire De La Rome Antique.

- M.G.R. : Mythologie Grecque Et Romaine.
- M.P.E.CH. : Marryrdom And Persecution In The Early Church.

- P.D.T.E. : La Persécution De Dioclétien Et Le Triomphe De L'église
- R.R.S.E. : La Republique Romaine Et Son Empire.

مقدمة

يعتبر الدين أحد أهم مقومات قيام الحضارات القديمة، باعتباره ركيزة أساسية في صياغتها، وقد شكلت الصراعات الدينية جزءاً هاماً من التاريخ الإنساني والروماني على السواء، وذلك للدور الذي يلعبه الدين في ربط العلاقة بين الإنسان والإله من جهة، وبين المجتمع والسلطة من جهة أخرى؛ هذه الأدوار المختلفة كانت محفزاً أساسياً لبروز الصراعات الدينية، مترجمة ذلك الصدام بين التنوع والتعدد الديني الوثني للأفراد والمجتمعات وبين الديانات التوحيدية القائمة على فكرة وحدة ومركزية الإله والمنهج والطقس، وقد عبرت اليهودية باعتبارها أولى النماذج التوحيدية عن هذا الصدام، إلا أنها في الغالب اتسمت بمحدوديتها سواء نتيجة خصوصية اليهودية العقائدية وتطوراتها، أو لطبيعة الفرد والمجتمع اليهودي.

هذه المحدودية لم ترفع سقف الصراع الديني الوثني مع النموذج اليهودي خاصة في الفترة الرومانية، حيث ظل هذا الصراع منحصراً طيلة عقود، وإن تخلله بعض فترات الصدام والمواجهة، إلا أنها لم تخرج في المجمل عن سياق المهادنة اليهودية للسلطة الحاكمة، ولم تلغ في الوقت نفسه، فقد ظلت الآمال اليهودية معقودة على رجاء وصول المسيا المخلص (Messiah) وإعلان الانتصار والخلاص اليهودي من كل أشكال السلطة الوثنية، ومع مجيء المسيح والانفصال التاريخي عن الحاضنة اليهودية، تم التأسيس لميلاد الديانة المسيحية، وما حملته هذه الديانة من تحديات للسلطة والمجتمع الرومانيين خلال القرون الأولى للميلاد، وما نتج عنه لاحقاً من تداعيات في فترة كانت تبسط فيها روما نفوذها على أغلب العالم القديم.

هذه التحديات والصدمات مع المسيحية ترجع في الأساس لطبيعة الممارسات والمؤسسات الدينية في روما، والتي عكست علاقة القوة داخل المجتمع الروماني وقدمت مبرراً للسلطة لضمان استمراريتها، معتبرة أي مساس بهذا النهج الديني وطبيعة الموروث الوثني في روما محاولة للمساس بالسلطة نفسها، وتهديد للمجتمع، وتطورت هذه الفكرة وترسخت نتيجة تطور الفكر الديني الروماني، الذي انطلق في مراحل البدايات من "الممارسات السحرية، الطوطمية والأرواحية" (Magical, Totemic And Animistic Practices) إلى مرحلة أكثر تقدماً مع قيام أولى الحضارات في شبه الجزيرة الإيطالية وعلى رأسها الأتروسكية التي أسهمت في إثراء المنظومة الدينية الرومانية بجملة من المعتقدات والطقوس.

ثم دعمت هذه المنظومة بالأفكار الإغريقية حول الآلهة وأدوارها وأساطيرها، إذ نجحت روما لاحقاً في صبغها بالصبغة الرومانية، وإضفاء الخصوصية الرومانية عليها، ومع نهاية المرحلة الملكية في روما وبداية الفترة الجمهورية، أصبحت الممارسات الدينية الرومانية معبراً عنها في نظام متطور له مؤسساته وهيكلته الدينية المحددة الوظائف والمهام، تماماً مثلما استطاع الرومان في الفترة الإمبراطورية العبور من مفهوم تعددية الآلهة إلى مفهوم أكثر تطوراً وهو عبادة الحاكم (Ruler Worship)، الذي طوعه الأباطرة الرومان سياسياً ودينياً في شكل العبادة الإمبراطورية (The Roman Imperial Cult)، مستفيدين من التأثيرات الخارجية لاتساع نطاق الإمبراطورية السياسي والجغرافي، الذي خلق الحاجة أيضاً لوجود وحدة دينية تحفظ كيانهم في ظل الاضطرابات المهددة للإمبراطورية، وفي نفس الوقت تحفظ الإمبراطور نفسه والذي أصبح مؤلهاً نهاية القرن الأول قبل الميلاد.

كرست جملة تلك المعتقدات والعبادات تصوراً راسخاً، أن استمرار وازدهار المجتمع مرهون بالآلهة ورضاهما، إضافة إلى الأداء الصحيح للممارسات الدينية الموروثة من الماضي، شريطة ألا تخرج كلها من تحت أعين السلطة الحاكمة، وهذا ما جعل في المقابل من المسيحية الوليدة خطراً يهدد ديمومة تلك المعتقدات والممارسات، ويعيق تطبيق سياسات السلطة الرومانية ومصالحها.

من هذا المنطلق كان اختياري لموضوع الدراسة الموسوم بالصراع الديني الوثني المسيحي في روما وانعكاساته على بلاد المغرب القديم من القرن الأول إلى القرن الخامس للميلاد، حيث تعتبر هذه الفترة التاريخية حاسمة في فهم الصراع الدائر بين الطرفين، ولما عرفته تلك الفترة من تحولات كبرى في مسارات الصراع ونتائجه وخاصة على منطقة بلاد المغرب القديم.

تكمن دوافع اختياري للموضوع في محاولة طرح الصراع الديني الوثني المسيحي من خلال زوايا جديدة تعيد النظر في الصورة التي خلفتها الكتابات المسيحية، وكذا فهم دوافع الصراع ومبرراته والأسباب الكامنة وراء سياسة الاضطهاد الرومانية، ذلك أن تتبع مسار

وطبيعة السلوك المسيحي في وجه السلطة تعطي تفسيراً لكيفية تحول النواة المسيحية الصغيرة إلى الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية خلال أربعة قرون.

إني في هذه الدراسة أحاول تسليط الضوء على نقاط هامة في الصراع بين الطرفين الوثني والمسيحي من خلال:

- تفحص وتحليل المصادر والكتابات المسيحية التي تناولت البدايات المسيحية وطبيعة علاقتهم بالسلطة والمجتمع الوثنيين.
- فهم الدور الذي لعبه اليهود في الصراع بين المسيحيين والسلطة الرومانية من جهة، والمسيحيين والوثنيين من جهة أخرى.
- توضيح نتائج هذا الصراع على الطرفين الوثني والمسيحي.
- انعكاسات الصراع وبالخصوص على بلاد المغرب القديم في ظل الاحتلال الروماني.
- تتبع مسار الحركة الدوناتية (The Donatist movement) التي ظلت لأكثر من قرن محور الصراع المسيحي في المنطقة ودخلت تحتها كل أشكال الثورات السياسية والاجتماعية.

قادتنا الدوافع السابقة إلى البحث في منطلقات وخلفيات الصراع الديني الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية وانعكاساته على بلاد المغرب القديم؟ وتفرعت عن إشكالية الموضوع مجموعة من التساؤلات:

- فبم تمثلت المرتكزات الدينية لكل من الوثنية والمسيحية؟
- إلى أي حد لعب اليهود دوراً في الصدام الحاصل بين الطرفين الوثني والمسيحي؟
- هل كان المسيحيون مضطهدين فعلاً؟
- ثم هل مارست السلطة الرومانية الاضطهاد فقط لمجرد الاختلاف الديني؟ أم أن السلوك المسيحي اتجه السلطة الحاكمة كان له دور في ذلك؟

– وما هي الآثار المترتبة عن سياسة الاضطهاد؟ وانعكاساتها على منطقة بلاد المغرب القديم؟ وكذا أثرها في تشكيل ملامح المسيحية الأفريقية؟

– وإلى أي حد عبرت الدوناتية عن الروح القومية لسكان المنطقة في ظل الاحتلال الروماني؟ وما نتائج ثورتها وتحالفاتها؟

للإجابة عن هذه الإشكالية قسمت الدراسة إلى خمسة فصول، حاولت من خلالها تغطية كل جوانب الموضوع:

قدمت في الفصل التمهيدي جذور الديانة الرومانية، مبرزاً المكون البشري السباني (Sabines) والأتروسكي (Etruscan) واللاتين (Latins) والإغريقي (Greeks) وما يحمله تنوعهم من ثراء ثقافي وديني أسهم في صياغة المنظومة الدينية الرومانية البدائية.

ثم تناولت الأسطورة والدين في محاولة لضبط المفاهيم والأسس التي نستطيع من خلالها لاحقاً فهم طبيعة الصراع الديني ومرتكزاته، وأخيراً تطرقت إلى السحر والعرافة باعتبارهما من المفاهيم الأولى التي تقوم عليها الديانة الرومانية القديمة والتي استمرت حتى الفترة المسيحية، لنشهد اتهام المسيحيين بالممارسات السحرية وعلى رأسها يسوع نفسه، من ثم تناولت المعتقدات الأرواحية والقوى الفتشسية (Fetish) والنيومن (Numen) التي مهدت لصياغة مفاهيم الألوهية وبروز الآلهة عند الرومان.

وطرحت في الفصل الأول تطور الديانة الرومانية من خلال المنظومة الدينية القائمة على الكهنة الرومان، والذين لعبوا دوراً هاماً في الحياة الدينية للمجتمع وتقسيمهم حسب الوظائف والأدوار المتطورة مع تطور المراحل التاريخية لروما، ثم تناولت بالتفصيل أهم الآلهة الرومانية بصفاتها وخصائصها انطلاقاً من أهميتها، حيث يعتقد الرومان أن ما يصيبهم في حياتهم متوقف على مرضاة الآلهة وإقامة الشعائر الدينية طبقاً لأصولها الصحيحة.

ثم عرجت على دور المعابد الرومانية وخاصة في الفترة الإمبراطورية وما ترمز إليه من حالة تدين الفرد الروماني والتزامه الديني، وكذا جمع المعابد بين الدورين الديني والسياسي الذي سيتضح بشكل أكبر مع بروز عبادة الإمبراطور، التي حاولت تتبع جذورها

الوافدة من المعتقدات الشرقية، ومن حكام الإمبراطوريات الشرقية الحيثية والبابلية والفارسية، الذين حكموا جميعًا ككائنات أعلى بكثير من رعاياهم و بقوة إلهية، ونقلوا مفهومهم عن الحكم المطلق إلى الرومان، لتدخل عبادة الحاكم روما ويتم تكيفها مع جملة من المعتقدات الرومانية حول تأليه القادة الرومان، في انعكاس واضح لصورة عبادة الآلهة الرومانية التقليدية، وتطور أدوارها في العهد الإمبراطوري ليحقق الأباطرة من خلالها الوحدة الدينية وتصبح المعبر عن الولاء السياسي والديني للحاكم، في وقت برزت فيه الحاجة الملحة إلى خلق وحدة سياسية عن طريق الالتزام الديني بعد ضعف الإمبراطورية في ظل الأخطار المحدقة بها.

كما تطرقت أيضا إلى الديانات الشرقية الوافدة على روما، التي عرفت جميعها بديانات الأسرار ذلك أنها كانت تتميز بالسرية في ممارسة طقوسها مثل ديانة الأم الكبرى (Magna Mater) سييلي (Cybele) القادمة من آسيا الصغرى مع عشيقها أتيس (Attis)، وأيضا ديانة ايزيس (Isis) من مصر والتي تم استيعابها وفق طبيعة التدين الروماني الذي يعمل على احتواء كل ما هو جديد في قالب ديني روماني، كذلك الديانة الفارسية الأصول ميثرا (Mithra) التي انتشرت سريعا خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي خاصة إذا علمنا أن العبادة الميثرائية واجهت منافسا خطيرا بداية من القرن الثاني للميلاد، متمثلا في الديانة المسيحية التي رحبت بالنساء كأتباع لها يجدون راحتهم النفسية فيها كون الميثرائية ديانة ذكورية حصرا.

أما الفصل الثاني فقد تطرقت فيه إلى الديانة المسيحية جذورها نشأتها وتطورها، ابتداء باليهودية باعتبارها الحاضنة الأم للمسيحية مبينا أصول اليهودية وفرقها الرئيسية التي كان لها إسهام هام في الحياة اليهودية وبدايات المسيحية المبكرة، وكذا الكتب اليهودية المقدسة من التوراة والتلمود والمشنا، كما تناولت مفهوم الألوهية عند اليهود الذي يعتبر حجر الأساس في الديانات الشمولية المبنية على وحدانية الإله، ومن ثم الانتشار اليهودي في العالم القديم وما صاحبه من انعكاسات، ممهدا بذلك الأرضية لدراسة المسيحية التي حاولت إعطاء صورة شاملة عنها من خلال تطرقي إلى تأصيل المصطلح المسيحي وتتبعه تاريخيا، و إلى الخلفية اللغوية والدينية لمصطلح المسيح .

ذلك أن محورية المسيح في الديانة المسيحية هامة جدا، تتبعتها في جوانب حياته وبعثته وتعميده إلى غاية صلبه وقيامته، وأعطيت نظرة عامة حول الكتاب المقدس عند المسيحيين، ومختلف الأناجيل من إنجيل مرقس ومتى وإنجيل لوقا ويوحنا وبرنابا باعتبارها الأناجيل الأساسية، في حين تناولت فيما بعد الرسل الرئيسيين بطرس ويوحنا وبولس دون سواهم وذلك لدورهم الهام في انتشار المسيحية ومن خلال هذا العنصر حاولت الإجابة عن سؤال أساسي حول عوامل توسع المسيحية ومناطق انتشارها وتغلغلها في أرجاء الإمبراطورية الرومانية المختلفة.

قدمت في الفصل الثالث الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية منطلقا من خلفياته التي كان لليهود أثر بالغ فيها، مبرزاً طبيعة العلاقة اليهودية الرومانية، ثم العلاقة اليهودية المسيحية في جوانبها العقائدية والاختلافات حول ألوهية المسيح والكتاب المقدس والطقوس إلى الدعوة للمسيحية ثم الاضطهاد اليهودي للمسيحيين والتحريض عليهم، وحاولت بعدها تبيان طبيعة العلاقة التي ربطت المسيحية الوليدة بالسلطة الرومانية والموقف منها، هذه العلاقة المبنية على جملة من المنطلقات الفكرية والعقائدية رأى بها المسيحيون الدولة والمجتمع، ثم تطرقت إلى رد فعل السلطة عليها من خلال بحث الاضطهادات التي لحقت بالمسيحيين من قبل الأباطرة الرومان بداية بنيرون (Neron) ونهاية بالصراع الديني في عهد قسطنطين (Constantine).

وأخيرا الفصل الرابع الذي بحثت فيه انعكاسات الصراع الوثني المسيحي على بلاد المغرب القديم من خلال تتبع مراحل ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم، ثم عوامل انتشارها، المرتبطة بنشاط الرسل وحركة التبشير و دور التجمعات السكانية اليهودية وأخيرا أهمية الطرق والمواصلات في تسهيل التنقل والتواصل بين المسيحيين والرسل والدعاة، الذين أسسوا لقيام كيان مسيحي في المنطقة عانى مثل كل المناطق التابعة للإمبراطورية من موجات الاضطهاد الديني الروماني، وما نتج عنها من انعكاسات على الكنيسة الأفريقية ممهدتا الطريق لميلاد الحركة الدونانية، التي بينت خلفياتها وأسبابها ثم تتبعت مراحل تطورها في ظل الصراع الدوناتي الكاثوليكي.

ثم موقف السلطة منها في عهد كل من الإمبراطور قسطنطين وخليفته قنسطانطيوس وتداعيات سياستهما على مسار الحركة، أين توجه الدوناتيين لعقد تحالفات كان أبرزها تحالفهم مع حركة الدواريين، والتي أشرت إلى بدايتها وعوامل قيامها، ثم علاقتها بالحركة الدوناتية، وأخيرا ثورتي الأخوين فيرموس وجيلدون وصلاتهم بالدوناتية، منهيًا دراستي هذه بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل إليها في هذا الموضوع.

ساهمت العديد من المصادر في إثراء هذه الدراسة، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر، كتب المؤرخ الروماني شيشرون (Ciceron) وكتاب ديو كاسيوس (Cassius Dion) تاريخ روما، وكذا كتابات المؤرخ اليهودي يوسفوس (Josephus) المفيدة في معرفة التاريخ اليهودي وعلاقتهم بالرومان كما نجد أيضا كتابات كل من القديس أوغسطين (St Augustin) وتريتليان (Tertullian) الشاهدين على الفترة المسيحية من تاريخ الإمبراطورية الرومانية والصراع المسيحي المسيحي في بلاد المغرب القديم، ثم كتابات أميان مرسلان (Ammien Marcellin) المغطية للفترة التاريخية التي برزت فيها ثورات القرن الرابع والخامس للميلاد في بلاد المغرب القديم.

كما استندت إلى مجموعة من المراجع الأجنبية والعربية ومن أهمها: بيار كوملين في كتابه حول الميثولوجيا الإغريقية والرومانية (Pierre Commelin Mythologie Grecque Et Romaine) ومؤلفات المؤرخ الإنجليزي وليام فرند (William Frend) الأساسية في تتبع المسار المسيحي، وأيضا حول ما كتب عن تاريخ الحركة الدوناتية وفق المدرسة الكلاسيكية التاريخية الإنجليزية، ثم إسهامات المؤرخ واللاهوتي فيليب شاف (Philip Schaff) في كتابه تاريخ الكنيسة المسيحية (History Of The Christian Church)

بالإضافة إلى ما قدمه المؤرخ الفرنسي بول مونصو (Paul Monceaux) في كتابه التاريخ الأدبي لإفريقيا المسيحية منذ الأصول إلى غاية الغزو العربي (Histoire Littéraire De L'afrique Chrétienne Depuis Les Origines Jusqu'à L'invasion Arabe) وأيضا إسهامات زميله فرنسوا دوكري (Francois Decret) في كتابه المسيحية في شمال إفريقيا القديم (Le Christianisme En Afrique Du Nord Ancienne)، وبخصوص

المراجع العربية فقد عدت إلى المؤرخ خزعل الماجدي في كتابه المعتقدات الرومانية والمؤرخ فراس السواح في تاريخ الأديان عبر موسوعته التي تناولت الديانة الرومانية واليهودية والمسيحية، وأيضا كتاب متولي يوسف شلبي أضواء على المسيحية.

استفدت أيضا من الدراسات السابقة في هذا الموضوع والتي كانت ثرية جدا وتنوعت من حيث زوايا تقديمها وتحليلها للموضوع ومنهم جيس هوفر في أطروحته معالم الدوناتية: التنوع اللاهوتي والأيدولوجي في شمال أفريقيا في القرن الرابع (Jesse A. Hoover: The Contours Of Donatism: Theological And Ideological Diversity In Fourth century North Africa) وهي دراسة قيمة.

بالإضافة إلى الباحث عبد الحميد عمران في رسالته الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور 180-430م، وأيضا أطروحة دكتوراه للباحث ربيع العولمي المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الثرية بالمعلومات ، وأيضا إلى أطروحة الباحثة سعيدة أويحي الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الميلادي إلى بداية القرن الخامس الميلادي 180-411م قرطاج ونوميديا أنموذجا، واستفدت كذلك من إسهامات ما قدمته الباحثة خديجة منصوري في رسالتها الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا .

اتبعت المنهج التاريخي في دراستي لهذا الموضوع وتحليله، مستعينا بالمنهج الوصفي في تتبع ووصف الأحداث والوقائع التاريخية، واستخدمت كذلك المنهج المقارن بما تقتضيه الحاجة من وضع مقارنات في بعض جزئيات هذا العمل.

وأنا بصدد القيام بهذا البحث اعترضتني بعض الصعوبات حيث لا يخلو أي عمل منها مثل صعوبة الحصول على بعض النسخ الأصلية من المصادر أو المراجع الخاصة بالفترة المسيحية، ومنها التي عنت بالدخول والانتشار المسيحي في أفريقيا.

الفصل التمهيدي: جذور الديانة الرومانية

1- روما وأصل السكان

1-1 السبانيين (Sabines)

2-1 الأتروسك (Etruscan)

1-2-1 ديانة الأتروسك

3-1 اللاتين (Latins)

4-1 الإغريق (Greeks)

2- مكانة الأسطورة والدين عند الرومان

1-2 مكانة الأسطورة عند الرومان

2-2 مكانة الدين عند الرومان

3- السحر في الديانة الرومانية

1-3 مفهوم السحر

2-3 علاقة السحر بالفكر الديني الروماني

4- العرافة في الديانة الرومانية

1-4 مفهوم العرافة

2-4 مكانة العرافة عند الرومان

3-4 العرافون الرومان

1-3-4 العرافون الطبيعيون

2-3-4 عرافو البرق

3-3-4 العرافون الصناعيون

5- المعتقدات الأرواحية والديانة الرومانية

1-5 مفهوم الأرواحية (Animism)

2-5 الأرواحية والديانة الرومانية

6- مفهوم قوى الفتشية (Fetish) والنيومن (Numen) عند الرومان

1-6 القوى الفتشية (Fetish) عند الرومان

2-6 النيومن (Numen) عند الرومان

1- روما وأصل السكان

يرتبط تاريخ إيطاليا والإمبراطورية الرومانية معا ،حيث أن روما وطدت انجازاتها في شبه الجزيرة الإيطالية ، ثم كل حوض البحر الأبيض المتوسط ، و أنه ليس من اليسير رسم الحدود بين تاريخ إيطاليا الجغرافي وتاريخ روما السياسي.وقد وسع الرومان حدودهم¹، وانتشروا ليس فقط عبر إيطاليا ولكن أيضًا عبر العالم القديم بأسره ،وبهذا لم تعد روما مجرد مدينة داخل حدود شبه الجزيرة الإيطالية، لذلك نجد من الحاجة بما كان أن نتعرف ثم أصل المكون البشري ،الذي أتاح للرومان شغل مكانة حضارية وتاريخية هامة.

ينتمي الإيطاليون إلى نفس فرع العائلة الآرية مثل اليونانيين، وتم دمجهم في شعب واحد بالقوة²، حيث سكن إيطاليا حتى بداية العصر الحجري الحديث ، عناصر مختلفة ومتفرقة ذات أصول شتى من أواسط أوروبا ومن الشمال من منطقة الدانوب، والقادمين عبر هجرات من البحر الايجي والذين أسسوا لاحقا مجموعات حضارية في منطقة الابنين من بولونيا في الشمال إلى إقليم ابوليا في الجنوب حوالي 1500 ق.م.³

جاء المستوطنون الأوائل إلى محيط روما و تحول الرعاة إلى مزارعين ، وكانوا بحاجة إلى المزيد من الأراضي الخصبة في وادي نهر التيبر للاستقرار،وقد كانت بدايات تأسيس روما نفسها عبارة عن خليط من الممالك الصغيرة ذات الأصول المختلفة.⁴

¹ عرفت روما ثلاثة مراحل كبرى في تاريخ أنظمتها السياسية في الفترة القديمة ،كانت بدايتها مع قيام النظام الملكي ، حوالي سنة 753ق.م الى غاية سنة 509 ق.م، أين انتهت الفترة الملكية وبدأت الفترة الجمهورية نسبت الى النظام الجمهوري السياسي الذي حكم به الرومان من سنة 509 ق.م الى غاية 27ق.م لتسقط الجمهورية وتقوم روما الامبراطورية من سنة 27ق.م الى غاية سنة 476ق.م ممتدة بنفوذها على أجزاء واسعة من أوروبا وأفريقيا وآسيا . Bunson,M., . Ency.R.E. Acid Free Paper,Usa,2002,pp.13.192.

² Hunt,W., History Of Italy, Macmillan And Co,Uk, 1883,p.2.

³Cary.,M,Scullard.,H,Op.Cit.p.8.

⁴ Hunt,W.,Op.Cit.p.2.

ويمكن تقسيم سكان إيطاليا في تلك الفترة إلى السابانيين (Sabines)، الأتروسك (Etruscan)، الإغريق (Greeks)، اللاتين (Latins).

1-1 السابانيين (Sabines)

سكن السابانيين الشمال الشرقي لإيطاليا، وهم سلالة خشنة الطباع مكونة من الرعاة والفلاحين وحالهم حال اللاتين وقد أسسوا على تل الكويرينال (Quirinal) أحد تلال روما في القرن الخامس ق.م، أولى تجمعاتهم،¹ كانت بلاد السابنين أرض زراعة وأرض محاربيث الثيران وعربات البغال وفقاً للتقاليد السابانية، كان السابينيون من الأوائل الذين سيطروا على روما وأقاموا تحالفات مع العشائر المحلية في المنطقة حيث تتحدث الأسطورة عن اختطاف النساء السابيين من قبل الرومان الأوائل، وهم مجموعة من الذكور كانت في حاجة إلى زوجات ما جعلهم يقدمون على هذا الفعل، وذلك عندما ذهب رجال سابيين إلى الحرب.²

2-1 الأتروسك (Etruscan)

برز الأتروسك³ خلال أواخر القرن الثامن ق.م، حين بدأت القرى الواقعة على قمة التلال في الاندماج وتشكيل مستوطنة واحدة كبيرة ذات أنوية وتجمعات، نمت المستوطنات من حيث عدد الناس وازدهرت، تم اكتشاف أكبر عدد من هذه المستوطنات الحضرية البدائية في إتروريا القديمة، توسكانا اليوم، في وسط إيطاليا.⁴ والتي يرجح أنها كانت بداية للتواجد الأتروسكي في المنطقة، من الذين أتوا إلى منطقة أبينين، وكانوا الوحيديين الذين ليس لديهم أصل هندوأوروبي كانوا مختلفين تماماً عن بقية القبائل التي سكنت إيطاليا.⁵

¹دونالد دودلي، حضارة روما، تر، فاروق فريد وجميل يواقيم الذهبي، دار النهضة، مصر، 1964، ص13.

² Strauss, B., Ten Caesars Roman Emperors From Augustus To Constantine, Simon And Schuster, Usa, 2012, p. 114.

³ لقد أطلق الاسم "إتروسكان" على سكان المنطقة المعروفة الآن باسم توسكانا؛ من قبل الإغريق.

Cary., M, Scullard., H, Op. Cit. p. 42.

⁴ Rostovtzeff, M., Rome, Oxford University, Usa, 1960, p. 11-12.

⁵ ف دياكوف، س كوفاليف، الحضارات القديمة، تر، نسيم اليازجي، ج 2، دار علاء الدين، سوريا، 2000، ص465.

مختلفين عن البقية في قوتهم و نفوذهم بالتحديد ، وهو ما رجح أن الأتروسك هم الذين شكلوا روما وسمحوا لها بأن تصبح واحدة من أقوى الإمبراطوريات في العالم القديم.¹

حول أصل الأتروسك لا تزال هناك العديد من النظريات ، حيث يقول المؤرخ اليوناني هيرودوت ، أن الأتروسك قدموا إلى إيطاليا حوالي 800 ق.م عندما اندلعت المجاعة في ليديا،² حيث قسم ملك ليديا شعبه إلى مجموعتين وأمرهم بإجراء قرعة لتحديد المجموعة التي ستبقى وأي مجموعة ستغادر البلاد بحثاً عن حياة أفضل، سافرت المجموعة المنبوذة حول العالم ووصلت في النهاية إلى إيطاليا.³

تبين لاحقاً من خلال اللغة أن هناك علاقة بين الأتروسك وليديا القديمة، لكن الروابط بينهما ليست لغوية فقط، فبعض عاداتهم متشابهة جداً بحيث لا يمكن تجاهلها،⁴ على سبيل المثال ، مارس كلا الشعبين العرافة والتنبؤ ، عن طريق دراسة أحشاء حيوان مذبح للتنبؤ بإرادة الآلهة، ومع ذلك ، يبدو أن الأتروسك والليديين لم يؤمنوا بنفس الآلهة ،⁵ وهو أمر يضعف فرضية الارتباط بينهما من جهة أخرى .

شكل الإيتروسك مكوناً قوياً في إيطاليا ما قبل الرومانية وتشير الدلائل إلى أنهم من علم الرومان الأبجدية والأرقام ، إلى جانب العديد من عناصر العمارة والفن والدين واللباس. كانت التوجا مثلاً اختراعاً إيتروسكياً⁶، وأصبح العمود الدوري على الطراز الأتروسكي الدعامة الأساسية للهندسة المعمارية في كل من عصر النهضة الرومانية لاحقاً.⁷

¹ف دياكوف ،س كوفاليف،المرجع السابق، ص465.

² تركيا حالياً

³Herodotus, The Histories, Book 1, Chapter 94,Perseus Digital Library,Tufts University.

⁴Krauskoph,I.,The Etruscan World Gods And Demons In The Etruscan Pantheon,Uk,2013,p.37.

⁵Cary.,M,Scullard.,H,Op.Cit.p.42.

⁶ Fregiato ,F., A Brief History Of Italy, Studies In Culture Reports And Research,2014,p.1.

⁷ History Of European Countries,Italian History,Captivating History,2020,p.19.

وقد أثروا بشكل بالغ على الثقافة الرومانية واللغة و المعتقدات وحتى بعض الجوانب الصناعية الحرفية وكذا التجارة والتي ساهمت كلها في تطورهم.¹

1-2-1 ديانة الأتروسك

تتألف الديانة الأتروسكية من مجموعة من الممارسات والمعتقدات الدينية المستمدة من ثقافة فيلانوفان (Villanovan Culture) السابقة للعصر الحديدي حيث كان لدى الأتروسكيين نظام إيماني مؤسس على تعدد الآلهة، من خلال الإيمان بعبادة أكثر من إله واحد، على سبيل المثال ، كان الرعد والبرق مجالاً لإله واحد بينما نمو المحاصيل يمكن أن يكون من عمل اله آخر.²

يعتقد الأتروسك كذلك أن آلهتهم يمكن أن تؤثر على شؤون الإنسان والناس ويمكن إقناعهم أو غضبهم أو ثنيهم أو إرضائهم عن أفعال البشر، و بأن الآلهة تتدخل بشكل دائم في حياتهم وخياراتهم اليومية،³ وهو ما نجده بصورة مطابقة لاحقاً في المعتقدات الرومانية .

تتكون الديانة الأتروسكية من نظام يشتمل على ثلاثة طبقات منفصلة من الآلهة ، التي تمتلك مستويات مختلفة من القوة والأهمية ،مثل طبقة الآلهة الأصغر كاثا(Catha) و أوسيل (Usil)، وهما إلهان للشمس، إضافة إلى الطبقة الوسطى و العليا من الآلهة⁴ التي يعتقد العلماء أنها مستلهمة من الثقافات الهندوأوروبية مثل ثقافة الحيتيين.⁵

¹ف دياكوف ،س كوفاليف،المرجع السابق، ص465.

²History Of European Countries,The Etruscans ,Captivating History,2019,p.48.

³Christol,M.,Romeet Son Empire,Hachette,5edition,Paris,2011,p.31.

⁴History Of European Countries,Op.Cit.p.50.

⁵ف دياكوف ،س كوفاليف،المرجع السابق، ص465.

شكلت تلك الآلهة البانتيون الأتروسكي، ومن بين الآلهة نجد تينيا (Tinia) إله السماء ؛ يوني أو جونو (Uni)، زوجته والإلهة الأم ؛ وسل (Cel)، إلهة الأرض. هؤلاء هم الآلهة السماوية وخالقي الكون والبشرية المعروفة. كان الإله الرئيسي دائماً إله السماء بينما كانت إلهة الفجر عادةً زوجته مع بعض الاختلافات².

تبني الأتروسك العديد من الآلهة اليونانية و مزجوا طبقات الآلهة بالآلهة المتميزة لكل طبقة، مما أدى إلى خروج الثالوث القوي (Tinia) و (Uni) و (Menrva) لتكون هذه السالفة الذكر هي الرئيسية في فترة لاحقاً³ وكانت الحياة الآخرة مركزية للمعتقدات الأتروسية فهي عبارة عن نتاج تأثيرات مختلفة من المنطقة المحيطة، حيث كان هناك العديد من المعتقدات الوافدة من ثقافات حوض المتوسط والتي تم تبنيها على نطاق واسع ، بما في ذلك فكرة ازدهار الروح في الحياة الآخرة للفرد من خلال طريق الدفن و معاملة رفات الفرد المتوفى⁴. وانعكاس ذلك لاحقاً على حياة الشخص الميت .

تلاحظ بدايات هذا الاعتقاد في بقايا رؤوس الأسرّة الحجرية المنحوتة ، جنباً إلى جنب مع بعض التوابيت التي تحتوي على رؤوس ، على شكل أنصاف دوائر للرجال ومثلثات للنساء⁵ ما يعكس حالة الاعتقاد بالعالم الآخر والحياة الآخرة وكيف تصورها الفرد الأتروسكي.

تميز الأتروسك في العصور القديمة بخبرتهم الدينية⁶، و أطلق عليهم لقب الأكثر تديناً بين الشعوب، واشتهرت لديهم العرافة والكهانة، حيث كان الرهبان (Haruspices) ، وهم رتبة

¹Krauskoph,I.,Op.Cit.p.501.

²History Of European Countries,Op.Cit.p.50.

³Smith,Ch.,The Etruscans: A Very Short Introduction,Oxford University Press,Uk,2014,p.104.

⁴History Of European Countries,Op.Cit.p.56.

⁵Ibid.p.56.

⁶Krauskoph,I.,Op.Cit.p.501.

من رتب الكهنة يتمتعون بقدرة محددة على تفسير العلامات الموجودة في أحشاء الحيوانات التي تم التضحية بها ، وقد احتلوا مكانة مهمة في الحياة الدينية الرومانية لاحقاً.¹

شكلت أواخر القرن السادس ق.م فترة حاسمة في تاريخ الإتروسك، فقد شهد بناء المدن وتخطيطها على نطاق أوسع، وكانت تلك فترة هامة من خلال الاتصال بالثقافات الأخرى، ولا سيما ثقافات اليونان وفينيقيا ووسط إيطاليا؛ وكان بمثابة تحول جذري شمل جل المجالات من تقنيات الزراعة إلى الممارسات السياسية في إتورريا.²

تطور نتيجة لذلك الفكر الديني في إتورريا ومنها مفهومهم عن الموت والذي شكل أحد أسس الديانة الإتروسكية، وهو ما تثبته المقابر ولأثار من خصائص الدفن والتنظيم والعمارة³، وأدخل الإتروسك مفهوم الشر والخير، والارتباط بين خير الآلهة وشر الشياطين والتي كانت على اتصال وثيق بعالم البشر أكثر حتى من الآلهة ، ولكن لا يمكن التعرف عليها دائماً إلا من خلال حقيقة أنها تؤثر على شيء ما، و لا يمكن تصور ما ماديا أو تجسيم القوى الشيطانية عكس الآلهة،⁴ التي تطورت تخيلاتهم عنها من خلال أخذها الشكل البشري، مستلهمين هذا المفهوم عن العالم الأسطوري اليوناني ، وأسقطوه على عالمهم بما يتناسب معه، ليكون مظهر التجسيم إحدى أهم تلك الأمور الدخيلة على ثقافتهم الدينية بفعل الاحتكاك مع الإغريق .⁵

هذه الاستعارة خلقت تصورا لعهود عن كون ثقافة الإتروسك إنما هي في الحقيقة تقليد لثقافة جيرانهم الهيلينيين المتفوقين ثقافياً⁶ وان كان ذلك يحتاج إلى تدقيق أكبر وتمحيص أوسع فالإتروسكيون كانوا يعتقدون بالدرجة الأولى أن دينهم محلي وليس وافدا ، فقد نزل إليهم في

¹Smith,Ch.,Op.Cit.p.104.

²Izzet , V.,The Archaeology Of Etruscan Society , Cambridge University Press,Uk,2007,p.1.

³Smith,Ch.,Op.Cit.p.104.

⁴Macintosh. J .T.,Etruscan World,Routledge Worlds, Usa,2013,p.522.

⁵Smith,Ch.,Op.Cit.p.104.

⁶Izzet , V.,Op.Cit.p.1.

الأيام الأولى من قبل العرافين ؛ و تم تكريس هذا المفهوم ،في نظام إيتروسكي ، الذي يعرف بالممارسة الدينية للعرافة، في عدد من كتب الطقوس الاتروسكية. وقاموا بتفسير الرعد والبرق ، والذي كان يعتقد أنه ينذر بأحداث في حياة الإنسان اليومية وطوروا فن العرافة بناءً على فحص أحشاء الحيوانات التي تم التضحية بها.¹

مأخذه الرومان في وقت لاحق لتفسير البشائر التي فشلوا هم أنفسهم في فهمها ، ويبدو أيضا أن الأتروسكيين قد قدموا تضحيات بشرية حيث يسجل المؤلفون اليونانيون واللاتينيون عددًا من التضحيات البشرية التي تم تقديمها في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك عندما قدم الأتروسك شخصية رفيعة المستوى كاقربان شكر للآلهة.²

كما كانت الطريقة الشائعة لإرسال ضحاياهم هي جعلهم يقتلون بعضهم البعض في مبارزات حتى الموت.³ والتي كانت بمثابة صور مطابقة للنموذج الذي عمل عليه الرومان في حلبات القتال والمصارعة في روما، كل تلك التطابقات بين الثقافتين الاتروسكية والرومانية في بدايتها تجعلنا نقر بعلاقة التأثير والتأثر ،خصوصا وأن كلا الثقافتين كانتا زراعتين في بدايتهما .

وإن كانت بيانات النصوص القديمة عن المجتمع الأتروسكي قليلة للغاية، إلا أنها تشير أنهم اهتموا بالنظام الزراعي وتمسكوا بالأرض باعتبارها الحاضنة الأولى للإنسان وخاصة في ظل الصراع على الملكية الذي دخلوا فيه ضد خصومهم في شبه الجزيرة الإيطالية⁴ تماما

¹Cary.,M,Scullard.,H,Op.Cit.p.24.

² Bonfante,L., "human Sacrifice Etruscan Rituals For Death And For Life", American Journal Of Archaeology, Vol. 88, No. 4, The University Of Chicago Press, Oct 1984, p.68.

³Cary.,M,Scullard.,H,Op.Cit.p.24.

⁴Christol,M.,Op.Cit.p.30.

مثل الرومان ولذلك امتلك الطرفان أنظمة عبادة متشابهة إلى حد ما¹ بسبب كثرة المشتركات بينهما وبسبب التداخل الحاصل وعلاقة التأثير والتأثر .

3-1 اللاتين (Latins)

جاء اللاتين من الشمال الأوربي عبر جبال الألب²، وشكل اللاتين فرعاً من الشعوب الإيطالية ، الذين وصلوا إلى شبه الجزيرة خلال الألفية الثانية قبل الميلاد³ و سكنوا منطقة جبال الابنين، مشكلين من خليط من امتزاج أربعة عناصر رئيسية هم: مهاجري العصر الحجري الحديث والثاني مهاجري العصر البرونزي من أصحاب الثقافة الهندوأوربية والثالث مهاجري أوائل العصر الحجري الحديث والرابع القادمين من المناطق المجاورة في جبال الابنين⁴.

استقروا في إقليم اللاتيوم (Latium) واختلطوا بالسكان المحليين وأصبح سكان هذا الإقليم الخليط يسمون اللاتين، ولم يكن اللاتين موحدين بل انقسموا إلى مجموعات سكنوا مناطق مختلفة مثل البالونجا (Alba Longa) التي لعبت دورا كبيرا في تزعمها باقي المجموعات التي عبدت الإله جوبيتر لاحقا و كانت النواة لتأسيس مدينة روما⁵.

يقول فرجيل (Virgilius) صاحب الإنيادة عن الرومان وقصد التفاخر بالعرق اللاتيني تحديدا : أننا شعب شديد المراس نحمل أطفالنا إلى الأنهار ونعودهم قوة التحمل في المياه القارصة وهم في الصبي يقضون الليالي ساهرين على الصيد ويقطعون أخشاب الغابات

¹Smith,Ch.,Op.Cit.p.104.

² Fregiato ,F., A Brief History Of Italy, Studies In Culture Reports And Research,2014,p.1.

³Le Bohec ,Y., H.R.A. Paris,2012,p.9.

⁴ حسن الشيخ،الرومان، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2005، ص29.

⁵ خزعل الماجدي، المعتقدات الرومانية، دار الشروق، الأردن، 2006، ص 39.

ورياضتهم هي كبح جماح الجياد وقذف النبال بالقوس وإذا بلغوا سن الشباب يزداد جلداهم على المشاق واحتمالهم للضنك ليسخروا الأرض بمعاولهم أو يهزون المدائن في الحرب.¹

أعتبر اللاتين أول مواطني روما وكان أول حكام اللاتين هو الملك لاتينوس (Latinus) والذي يعتبر شخصية أسطورية أشتق منها اسم اللاتين لاحقاً ومن المشاركين في حرب طروادة وقد جعله الرومان أب لكل اللاتين، لقد كانت مستوطناتهم مختلفة في تشكيلها عن المستوطنات الأخرى في الشمال والجنوب حيث الإغريق وكونت كل مستوطنة عشيرة اعتبرت النواة الأولى للقبيلة اللاتينية، ليتم استيعابهم لاحقاً في تشكيل روما.²

4-1 الإغريق (Greeks)

أعتبر الإغريق عنصراً دخيلاً على شبه الجزيرة الإيطالية حيث بدأت الحركة التوسعية اليونانية تخرج من نطاق بحر إيجه إلى حوض المتوسط، استعمر اليونانيون صقلية وجنوب إيطاليا، وظل الناس يتحدثون باللغة اليونانية في تلك الأجزاء حتى أزمنة متقدمة³، وكان هؤلاء اليونانيون هم أول من اتصل بهم الرومان في الفترة الملكية والجمهورية المبكرة، استقر معظمهم ليصبحوا مزارعين، حيث أن الزراعة كانت في الغالب الدافع الاقتصادي الرئيسي وراء المشروع الاستعماري.⁴

وكانت أولى رحلاتهم نحو شبه الجزيرة الإيطالية، ليتم تأسيس أول مستوطنة إغريقية عند خليج نابولي في جزيرة إيشيا ثم كومس (Cumae)، حوالي 800 ق.م ثم مستوطنة ريخون (Rhegion) حوالي 740 ق.م.⁵

¹ فرجيل نقلاً عن محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، عين للدراسات والبحوث، مصر، 1998، ص 62.

² History Of European Countries, Op.Cit.p.34.

³ Hunt, W., Op.Cit.p.3.

⁴ Forsythe, G., Op.Cit.p.35-36.

⁵ خديجة منصور، "الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة"، مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 2، العدد 01، ديسمبر 2002، ص 167.

كانت الصلات الحضارية بين الإغريق والأتروسك هي الأسبق في إيطاليا من صلة الرومان بالإغريق، وتأثر الأتروسك بحضارة الإغريق في مراحلها الأولى، ثم رسخ الرومان علاقاتهم بالإغريق حيث أرسلوا شبابهم إلى أثينا لدراسة مختلف العلوم ثم تحولت مراكز الإغريق في إيطاليا إلى مراكز للفن في مختلف مجالاته حيث برز الفن الإغريقي في التحف والفخار، وتم صك العملة الرومانية على شاكلة العملة الإغريقية، كل تلك التأثيرات جعلت من المكون البشري اليوناني له دور في قيام المجتمع الروماني.¹

2- مكانة الأسطورة والدين عند الرومان

1-2 مكانة الأسطورة عند الرومان

شكلت الأساطير في الحضارات القديمة أول بناء ربط به إنسان ما قبل الكتابة الماضي بالمستقبل، الماضي باعتبار ما كان وهو ما يجذب إليه، والمستقبل على اعتبار ما سيكون، يتطلع إليه في محاولة لتلافي أخطار أو أخطاء حدثت له، ويعرفها فراس السواح بكون الأسطورة شكلا هي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي كما يحافظ نصها الأسطوري على ثباته عبر أجيال، كما أنه لا يعرف مؤلفها، وتلعب فيها الآلهة دورا أساسيا والإنسان دورا تكميلا كل ذلك في إطار زمني مقدس.²

تصبح الأسطورة إذا معبرة عن تجربة الإنسان الماضية في حياته بجميع صورها ومحاولته بناء فعل جديد يقيم به مستقبله و حلقة وصل مهمة بين العهود التاريخية، لأنها في الغالب تعد المصدر الوحيد الذي نعرف منه تلك الكيفية التي عاش بها القدماء.

¹ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 37.

² فراس السواح، الأسطورة والمعنى دراسة في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، دمشق، 2001، ص 14-

يرى المؤرخ ميرسيا إلياد (Mircea Eliade) أن الأسطورة واقعة ثقافية شديدة التعقيد، يمكن مباشرتها وتفسيرها من منظورات متعددة، يكمل بعضها بعضاً،¹ وتسهم في الكشف أن لكل من العالم والإنسان والحياة أصلاً فائقاً للطبيعة وتاريخاً متميزاً ذا معنى وقيمة كبيرين يجعلانه نموذجاً يحتذى به.²

ينظر دائماً إلى الأسطورة من حيث موضوعاتها وتطرقها لموضوعات خلق الآلهة والعالم وهو ما يفسر حقيقة كونها حكاية تدور حول المعبودات والأحداث الخارقة، ولكن الشيء المؤكد أنه ثمة علاقة وثيقة بينها وبين الدين، وخاصة في المراحل الأولى لقيام المجتمعات والحضارات القديمة،³ لأنها كثيراً ما كانت تشرح ظواهر الكون والمجتمع بمنطق العقل البدائي، بالتالي فهي تعكس حياة القدماء وعاداتهم وأفكارهم.

امتلكت كل الثقافات والشعوب تراثاً أسطوري وان اختلف في تشكيله، إلا أن الثابت هو الاشتراك في وجود الأساطير، وعلى الرغم من أن شعراء وآباء الرومان قد صنفوا لنا الأساطير الرومانية، إلا أنهم لم يحافظوا على دقتها، بل قدموها بالصيغة التي يريدون. ومنها أساطير الخليقة الرومانية، وخاصة تلك التي تتناول بداية ونشأة الكون، وكيفية الحياة فيه، و ظهور الآلهة.⁴

2-2 مكانة الدين عند الرومان

الدين في أصله النفسي هو اختبار للمقدس من خلال حالة انفعالية سابقة للعقلانية⁵، وتلعب فيه الأسطورة دور الموجه للخبرة الدينية حيث يتبلور بالتساوي مع الأساطير ليتحول إلى معتقد

¹ميرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر نهاد خياطة، دار كنعان للنشر، سوريا، 1991، ص9.

²كارم محمود عزيز، أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، مصر، 2007، ص 71.

³كلود ليفي شتراوس، الأسطورة والمعنى، ترجمة شاكر عبد الحميد، المانة كتاب، العراق، 1986، ص11.

⁴رمضان عبد الرزاق مختاط، تطور الديانة الرومانية حتى أواخر عصر الجمهورية من 753 إلى 44 ق م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة التحدي، ليبيا، 2008، ص57.

⁵يقدم فراس السواح الدين والتجربة الدينية، كونها انعكاس للظاهرة الثقافية للفرد، وأن الدين في بداياته هو تجربة انفعالية تتشكل وتتكون وفق البيئة والثقافة التي خرجت منها، ثم تمر بمرحلة المقدس حسب أي أنها تأخذ صفة القداسة حين تنتقل من تجربة فردية خاصة إلى تجربة جمعية مشتركة.

بعد مرحلة الانفعال وبذلك تكون الأسطورة نابعة من الدين،¹ وفي سياق العلاقة بين الدين والأسطورة تقوم الأخيرة بدور الوظائف الدينية في الثقافة البدائية² لتعبر عن الإيمان وتعززه وتنظمه، كما أنها تحمي الأخلاق وتؤكد عليها، وهي تؤكد أيضا على فعالية الطقوس، وتشتمل على قواعد عملية من أجل هداية الإنسان.³ تماما مثل المخرجات التي يفضي إليها الدين .

تهدف الأساطير ضمان أن يكون المستقبل شديد الصلة بالحاضر، وأن يكون في الوقت ذاته مختلفا عن الحاضر، والأساطير في انتقالها عبر التاريخ من منطقة لأخرى. ومن جماعة إلى جماعة، كانت تسجيلا للتاريخ لتكون الأسطورة هي الصياغة الأولى للتاريخ والمكان والزمان.⁴

تبع الرومان الإغريق في نسج بعض الأساطير وان لم يكونوا واسعي الخيال مثل سابقهم ، و استعار الرومان في الغالب من الإغريق معظم آلهتهم، وأضافوا إليها بعضا من أساطيرهم ،بعد أن حولوا أسماء الآلهة الإغريقية إلى أسماء رومانية مثل باخوس عند الرومان ،وأصله الإغريقي ديوفيسوس وهو ابن الإله زيوس ،وهو إله الخمر ويرمز له بالكروم والكأس ومن الآلهة الخاصة بالرومان الإله هرقل الروماني.⁵

هذا التداخل بين الرومان والإغريق يعود إلى بدايات التواجد والاتصال بين الطرفين كما أسلفنا ،حوالي القرن التاسع ق.م، ما يجعل من انتقال الأفكار والمعتقدات بينهما أيسر ،كما نجد أن بلاد الإغريق أصبحت جزء أساسي من الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الأول والثاني للميلاد ما يزيد من تعزيز الروابط الثقافية والدينية بينهما .

¹ افراس السواح، 2001، المرجع السابق، ص 24.

² كلود ليفي شتراوس ، المرجع السابق ، ص 7.

³ كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص 75.

⁴ نفسه، ص 73.

⁵ هاشم عبود الموسوي، موسوعة الحضارات القديمة ، دار الحامد، الأردن، 2013، ص 184.

أعتبر تأسيس روما¹ عملاً دينياً تم في حفل مقدس فوق تل بالاتين (Palatine)، لتكون الرواية الأسطورية لروما مزيجاً معقد بين الحقائق التاريخية والأفكار الأسطورية تتوافق بشكل مع كتابة التاريخ الأسطوري لدول المدن القديمة الأخرى، فقد كان الرومان على استعداد لقبول تأثيرات اليونانية الأسطورية² ودمجها في تاريخهم وإعادة صياغتها بما يوافق الخصوصية الرومانية وما يتوافق مع بناء الديانة الرومانية، لقد فهم الرومان البعد الديني لمختلف الظواهر الطبيعية والكونية وكذا علاقتهم بالآلهة ورغباتها من خلال رابط تعبر عنه الأساطير والطقوس.³

3- السحر في الديانة الرومانية

إن منطلقات ظهور الفكر الديني الروماني تتابعت في أربعة مراحل هي السحر ثم الدين ثم الفلسفة وأخيراً العلم التجريبي في تطابق واضح مع نظرية هيجل للتطور الفكر الإنساني والذي يؤكد على أسبقية السحر للدين،⁴ إلا أن الارتباط بينهما ظل محل نقاش خاصة في دراسة المجتمعات البدائية والتي ارتبط فيها السحر بالدين وطبقت فيه الممارسات السحرية لجلب المنافع أو إبعاد الأخطار والشور عن الإنسان تماماً مثلما حمل الدين نفس الخصوصية.

¹ يحكى أن توأمين هما رومولوس (Romulus) وريموس (Remus) ألقتهما والدتهما في نر التبير خوفاً عليهم إلى أن توقفت سلة الرضيعين عند موضع ما منه لتلتقطهما ذئبة وترضعهما وأن طائر كان يطعمهما، وأن زوجة راع عنيت بهما. وعندما كبرا صارا مقاتلين، وبنيا بلدة أصبحت هي مدينة روما فيما بعد حيث كانا يعيشان، ثم قتل ريموس، في وقت قويت فيه عشيرة روميلوس، ولكن هبت عاصفة قضت على رومولوس فألهه الناس بعد وفاته، وعبده و بذلك نصب نفسه كأول ملك على المدينة والمناطق المجاورة لها، فتعاقب على حكمها حسب المعطيات الأسطورية سبعة من الملوك عملوا على إرساء قواعد الحكم مع الاهتمام المستمر بتوسيع المدينة إلا أنا هذه السردية الأسطورية بقيت محل جدال بين المؤرخين في الإضافات اللاحقة بها ومدى نسبها لروما. حسن صبحي بكري، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني، عالم الكتاب، الرياض، 1985، ص203.

²Donlan, W., "The Foundation Legends Of Rome: An Example Of Dynamic Process ", The Classical World, Vol. 64, No. 4, Classical Association Of The Atlantic States, Usa, Dec 1970, p.109-110.

³Le Bohec, Y., Op.Cit.p.24.

⁴فراس السواح، 2001، المرجع السابق، ص27.

3-1 مفهوم السحر

للسحر معاني متقاربة إلى حد كبير منها : صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره أما مفهوم السحر في اللغات الأجنبية فهو مستمد من أصل الكلمة اليونانية ماجيا (Mageia) التي أول ما استخدمت كانت تشير إلى المراسم والطقوس التي يؤديها الكهنة.¹

يشمل السحر جميع الفنون والعلوم الخفية والخرافات والفولكلور،² في المجمل السحر مختلف عن الدين الذي هو اعتقاد بقوى غيبية في الكون يجب الإيمان بها والخضوع لها، أي أن السحر يختلف عن الدين في نوعية المعتقد، ثم من حيث الأسبقية حيث أن التطور التاريخي للسحر سابق للدين³ فالقوة الخفية في الدين خارجية وتجسدها كائنات إلهية أو كائن إلهي، وهي التي تسيطر على الإنسان وترسم له مصيره ، في حين أن القوة الخفية في السحر تكمن داخل الإنسان وإن وجدت خارجه فإنها تظل مرتبطة به بطريقة ما.⁴ ويمكن السيطرة عليها وتحريك الكون كله بها، ثم إن الدين يتضمن بالإضافة إلى المعتقد والطقس الأسطورة ، في حين يخلو السحر من الأسطورة.⁵

3-2 علاقة السحر بالفكر الديني الروماني

يرى الإنسان البدائي أن السحر هو العلم الذي يحاول أن يسيطر به على ظهر الطبيعة والمجتمع⁶ دون أن يعتبر أن السحر شعوذة أو حيلة طارئة بل طريقة فهمه للعالم وتفسيره له وسيطرته عليه، وقد نتج عن هذا أن أصبح السحر عند الأقوام البدائية نظاما معرفيا متماسك في مادته تمكن دراسته والتعرف على قوانينه وتقنياته وتحديدتها بدقة.⁷

¹لين ديفيز، السحر، تر رحاب صلاح الدين، 1ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص 83.

²Mundi,A.,Magic And The Occult In The Greek And Roman Worlds, The Johns Hopkins University Press,Usa,2006,p.33.

³فراس السواح ، 2001،المرجع السابق، ص 27.

⁴Dickie.W.M.,Magic And Magicians In The Greco-Roman world, Routledge,Uk,p.18-19.

⁵خزعل الماجدي،بخور الألهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، دار الأهلية، عمان، 1998، ص33.

⁶ Matthew W.,Dickie,Op.Cit.p.19-20.

⁷ إذا كان الدين في شكله المعروف يتكون من ثلاثة مكونات ؛ أساسية هي المعتقد والطقس والأسطورة فإن السحر الذي هو أكثر أشكال الدين بدائية يتكون من مكونات مشابهة ولكنها تأخذ شكلا بسيطة وأولية ، باستثناء الطقس الذي هو أساس

يبدو أن السحر في بدايته كان حكرا في ممارسته على مجموعة محددة من الأشخاص الذين اختلف في تحديدهم، لقد اعتقد الإنسان البدائي بالسحر وجعله طريقة لفهم العالم ونوعا من الصياغة لعلاقته به ، وكان الساحر البدائي شخصا ذا مهارات عديدة وغير منظورة ، ويمكن أن تكون فكرة الزعامة أو القيادة قد ارتبطت به أو ظهرت معه ، ولم يكن الساحر في حينها يدرك أنه يوهم الناس أو يتلاعب بأحاسيسهم¹ وذلك بسبب الهالة التي كان يكتسبها الساحر والاعتبار الذي يشغله من حيث كونه سلطة في جماعته ،سلطة تخول له الفصل والتفسير والتقرير في مصائر الجماعة التي ينتمي إليها .

وعليه ان فهم مكانة السحر في الثقافة الرومانية وعلاقته بالدين ضروري ، حيث يلعب السحر فيها دور التأكيد على وجود روابط بين البشر والآلهة ،و يتكفل العرافون والسحرة بتتبعها وفهمها وفقاً لشيثرون، فإن العلاقات مع الآلهة تتم في إطار مرتكزين من الطقوس، طقوس التضحيات والندور وطقوس الولاء والعرافة².

نستطيع تتبع تاريخية هذه الطقوس والممارسات من خلال الخلفية اليونانية لها حيث لعب السحر والسحرة دورا مهما في حياة الإغريق الاجتماعية ، وامتلك وصفا جيدا لمثال عن تلك الممارسات حيث مورس طقس إنزال الجنون بشخص والذي اعتبر نوعا من عقاب الآلهة على الفرد فتصيبه بالمرض بقرار منها ، ما فسر كونه احد صنوف السحر³.

ارتبط السحر في الكثير من الحضارات الكبرى بالآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الأسطوريين ، وهذه القوى السحرية يعزى إليها دائما القيام بمساعدة البشر في الحصول على العلاج وتدخلت الآلهة سواء عن طريق تدخلها المباشر أو بإيعاز أمر اختراع الوصفات الطبية

السحر وجوهره، فالمعتقد السحري يقوم كما قلنا على أساس وجود قوة مقدسة داخل شخصية الساحر تمكنه من السيطرة على العالم الخارجي والتحكم به . خزعل الماجدي، 1998، المرجع السابق،ص47.

¹خزعل الماجدي، 1998، المرجع السابق،ص34.

²Humm,M., R.R.S.E. Armand Colin, France, 2018,p.33.

³اسامة عدنان يحي، السحر والطب في الحضارات القديمة، آشور بانبيال للكتاب، العراق، 2016،ص114.

العلاجية للحررة ، لذلك ربط بالساحر عملية تنفيذ الطقوس السحرية، للتعبير عن إرادة الآلهة أو بالنيابة عنها¹.

وان كان تطور مهام الحررة والكهنة لاحقاً أمراً ملاحظاً في سعيهم إلى السحر و الشعوذة لتهدئة الآلهة والشياطين، وتطورت لتشمل الطقوس التضحية البشرية وغيرها من الممارسات مثل التعزيم، والتنبؤات والعرافة من كل مصدر مثل الصادرة عن طيران الطيور، وفحص أحشاء الحيوانات، والبرق والرعد، والتي تبلورت لاحقاً وانتظمت ضمن ما يسمى فن الكهانة والسحر² وهكذا، بدأت تظهر الطبقات التي تحتكر المعرفة السحرية وأسرارها وتطبق نوع من السلطة والاستغلال ، تمارسه الأقلية على الأكثرية.

أعتبر الساحر العارف والمتكفل يأمر القوة الخفية بينما يخضع المتدين لها. إن باستطاعة الساحر تحريك القوى اللامرئية التي يؤمن بها ، بحيث يتحكم ويفعل في العالم المادي وفي العالم المرئي وحتى في الإله نفسه ، وهو يعتقد أن بإمكانه توجيه قوى الطبيعة³ من خلال فكرة جوهرية أساسية ، هي الاعتقاد بوجود قوة خفية في الإنسان .

يستند السحر أساساً على الطقس ويضمّر المعتقد فيه عكس الدين الذي يقيم توازنه بين المعتقد والطقس، والأسطورة التي تتلاشى ويكون بديلها التعويذة أو الكلمة السحرية . وهذا يعني أن شخصية الساحر هي الركن الأساس في السحر⁴.

بدأت الطقوس السحرية للرومان في شكلها ذات طابع سري وبالتالي محاطة بالغموض، ولكي يضمن الرومان لأنفسهم الأمان والاستقرار ، اعتقدوا أن عليهم استرضاء هذه القوى وكسبها إلى جانبهم، وكانت الأضاحي الطريق الأقصر لتحقيق ذلك مترافقة مع الطقوس السحرية التي من شأنها إكراه الآلهة ذاتها على الفعل في اتجاه معين لا مجرد استرضائها،

¹ اسامة عدنان يحي ،المرجع السابق ،ص141.

² هـ دياكوف ،س كوفاليف،المرجع السابق، ص465.

³ خزعل الماجدي، 1998،المرجع السابق،ص33.

⁴ نفسه، ص47.

وعلى الرغم من أن الرومان في العصور التاريخية قد اعتبروا الممارسات السحرية واردة إليهم من البلدان الشرقية،¹ التي اشتهرت بالممارسات السحرية المختلفة .

حظور السحر كان واضحاً في الإمبراطورية الرومانية ، وكان هدف السحر، والعرافة واحداً في إشباع الرغبات الحسية ، وإن أضر ذلك بحياة الآخرين ، وامتنع بعض الكهان أعمال السحرة ، مستغلين الجهلة من الناس . وشاركت الآلهة الشرقية مثل ميثرا وإيزيس في رسم تصورات وربط علاقات بالممارسات السحرية وكل ماله علاقة بمجال السحر .²

حيث قدمت سراديب الموتى الرومانية مثلاً ، أدلة على كونها مواقع لممارسات السحر في الفترات القديم مرتبطة بطقوس التضحية والقرايين والتي حولتها الكنيسة في الوقت الحاضر لمواقع مقدسة تحافظ على تراثها المسيحي بعد استيلاء المسيحيين عليه³ لتكشف، سراديب الموتى عن عالم غير معروف مارس فيه المسيحيين القدامى المتأخرين للسحر ما يعقد الأفكار حول المسيحية المبكرة،⁴ وارتباطها بالممارسات السحرية ، فقد كانت المقابر في الإمبراطورية الرومانية وفي المخيلة الرومانية ، عبارة عن مساحة محدودة، خطيرة وملئمة بالكائنات السحرية⁵ والتي شابتها الكثير من الانتهاكات ، وحامة حولها الكثير من الإشاعات ، فيها ما يصح وما لا يصح ، خاصة وإذا تتبعنا الرواسب الوثنية المختلفة التي تخللت التطور التاريخي للمسيحية عبر مراحلها .

تطور مفهوم السحر في العصور القديمة ، يرتبط في المخيلة الفردية والجماعية بالاتهام المهيئ والازدراء الذي يهدف صاحبه إلى إيذاء وتهميش فرد آخر أو مجموعة من الناس. غير ان القانون الروماني لم يكن فيه أي مفهوم مميز للسحر ولا للعملية والطقوس السحرية ، ولا أي قوانين ضده

¹ فراس السواح ، موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الثالث، ط4، سوريا، 2017، ص241.

² حسن صبحي بكري ، المرجع السابق ، ص349.

³ Bonfante, L., Op. Cit. p. 68-69.

⁴ Denzey , L.N., Popular Christianity And Lived Religion In Late Antique Rome : Seeing Magic In The Catacombs , Cambridge University Press, 2017, p.260.

⁵ Denzey, L.N., Op. Cit. p. 261.

إلى غاية بدايات العصر الإمبراطوري،¹ على الرغم من أن القوانين ضد الاستخدام الضار للتعاويذ تعود إلى أقدم قانون قانوني في روما، وهو الجداول الاثني عشر، حيث تحظر اللوائح استخدامه للسرقة أو الإضرار بشخص ما ولكنها لم تحظر استخدام التعاويذ نفسها.²

تطور السحر خلال الفترة الإمبراطورية، عن طريق إيلاء اهتمام خاص بعلم الكونيات واللاهوت وعلم الشياطين،³ وما يرتبط به لتكون بذلك الأفكار السحرية أكثر تمحيصاً وفصلاً عن علم الكون واللاهوت، أورد بليني الكبير أن الفنين، الطب والسحر، تم تطويرهما في وقت واحد، الطب من قبل أبقرات، والسحر من قبل ديموقريطس، في وقت الحرب البيلوبونيسية،⁴، يدعي بليني أن "السحر" نشأ من الطب واعتمد بالإضافة إلى ذلك قوى "الدين" و"علم التنجيم" من أجل الاحتفاظ "بعواطف الرجال في رابطة ثلاثية بينهم."⁵

رغم أنه لا يوجد تأكيد على كون السحر دخيلاً على روما وأن للشرق من فارس ومصر دور فيه ذلك أن الكهنة المصريين هم أيضاً متخصصون بارزون وبارعون، في الممارسات السحرية و أن هناك أيضاً جماعات يهودية أتقنت فن السحر وممارسته، وهو ما ذهب إليه فيثاغورس و "ديموقريطس"، الذين اتهموا المصريين والفرس بنشره في جميع أنحاء الأراضي اليونانية والرومانية. على الرغم من أن عمليات نقله غير واضحة، فضلاً عن كونه فن يتطلب تدريباً خاصاً وخبرة.⁶

¹Dickie.W.M.,Op.Cit.p.124.

² Collins,D.,The Cambridge History Of Magic And Witchcraft In The West From Antiquity To The Present, Cambridge University Press,Uk, 2015,p.99.

³Ibid.p.115.

⁴ Janowitz ,N.,Magic In The Roman World: Pagans, Jews And Christians,Routledge,2001, p.26.

⁵Pliny The Elder ,Historia Naturalis ,Book 30, Chapter 1,Perseus Digital Library,Tufts University.

⁶ Collins,D.,Op.Cit.p.125.

ينسب الرومان الفضل إلى مجلس الشيوخ في القضاء على بعض الممارسات السحرية في روما ومقاطعاتها وعلى رأسها التضحية البشرية، والتي انتشرت بشكل كبير في بلاد الإغريق¹، ثم تطورت اجراءات السلطة الرومانية تجاه السحر وأصبحت تهمة ممارسته سلاحًا في العهد الإمبراطوري يستخدم بشكل متكرر في الصراع بين الجماعات المسيحية والوثنيين وتم توصيف المسيحية المبكرة من طرف الوثنيين على أنها ممارسة سحرية بغیضة، وصنفت هذه التهمة كمحاولة لاضطهاد أصحابها². و لم يكن السحر بأي حال من الأحوال التسمية الوحيدة؛ حيث تم وصف هذه الممارسات المسيحية بأنها خرافات³.

وصفت أفعال يسوع وأتباعه في بعض الأحيان بأنها سحر من قبل الوثنيين، حيث يُقال إن يسوع أخرج الشياطين وقام بشفاء المرضى وحتى أعاد الموتى للحياة، كان هذا في نظر أصحاب الديانات الوثنية يعد سحرا، لا معجزة بالتصور الديني، وتم وسم المسيحية بالممارسة السحرية ونعنت من قبل اليونانيين والرومان الوثنيين بكونها نتاج عمل سحري ليسوع⁴ نفسه⁵، خاصة وأن أغلب سلوكيات المسيحيين لم تكن مقبولة للوثنيين كونها عرفت في بدايتها بالسرية التامة نتيجة الاضطهاد، وهو ما زاد من الشكوك حولها ورسم عليها هالة سحرية، رسختها معجزات المسيح في نظر الوثنيين صنف الرسل بالإضافة إلى يسوع، والقادة المسيحيين الآخرين أيضًا على أنهم ممارسون للسحر حتى في أواخر القرن الرابع للميلاد اعتبر الإمبراطور جوليان الرسول بولس ساحر ودجال، و ارتبطت تهم القتل الطقسي وأكل لحوم البشر بالمسيحيين، ول يدحضوها بل أصدروا هم أيضًا اتهامات مضادة ضد العبادات والممارسات اليونانية الرومانية الوثنية⁶.

¹ Bonfante,L.,Op.Cit.p.68-69.

²Janowitz ,N.,Op.Cit.p.3.

³ Collins,D.,Op.Cit.p.150.

⁴وصف سيلسوس CelSus الأفلاطوني في القرن الثاني للميلاد يسوع باعتباره ساحرًا وشبهه بالدجالين الذين يؤدون حيلهم مقابل المال في الأسواق علاوة في نظر اليونانيين الرومان، وذلك لان أعمال يسوع يشبه العديد من الممارسات التي كانت تعتبر عادة سحرية للسحرة والدجالين وطاردي الأرواح. Collins,D.,Op.Cit.p.150.

⁵ Mundi,A.,Op.Cit.p.38.

⁶ Collins,D.,Op.Cit.p.150.

4- العرافة في الديانة الرومانية

4-1 مفهوم العرافة

شجعت الرغبة في معرفة المستقبل ومعرفة إرادة الآلهة إلى ولادة العرافة ، فقد كان الإنسان في كل العصور القديمة حين ينتبه القلق على المستقبل يجتهد في ابتكار الوسائل الكفيلة بجعله يكتشف الغيب أو يحصل على إجابات أو دلالات توجه عاطفته وتنزع خوفه .

كانت العرافة عند الإغريق تعني التنبؤ "بإرادة الإله جوبيتر(Jupiter)" ، وكانت كاهنات هذا الإله فقط من تتكفل بذلك، ولكن سرعان ما امتدت خدمتهم لتشمل جميع الكهنة، و أعطى الإغريق اسم بيثيونسي (Pythonesses) لجميع النساء اللاتي مارسن مهنة العرافين ، لأن إله العرافة ، (Apollo)، كان يطلق عليه (Pythius)¹، و ازدهرت العرافة في آسيا القديمة، و في مصر ، و في بلاد الرافدين وشكلت العرافة جزءاً من الديانة اليونانية.²

4-2 مكانة العرافة عند الرومان

دخلت العرافة في رتبة مؤسسات الدولة للرومان و يؤكد شيشرون أن فن العرافة قد بدأ عند الرومان مع بداية تأسيس مدينتهم، حيث إن رومولوس قد أقدم على تأسيس روما مدفوعاً بنبوءة من الآلهة؛ وأكثر من ذلك كان رومولوس نفسه أحد المتمرسين في فن العرافة؛ وتبعه في ذلك ملوك الرومان الذين حرصوا على استشارة النبوءات عبر العرافين³.و التي كان لها قواعدها وتم تمييز نوعين منها: أحدهما مصطنع والآخر طبيعي. وأطلق على العرافة الاصطناعية اسم التكهّن أو الاستقراء بناءً على وجود العلامات الخارجية.⁴

¹Commelin,P., M.G.R. Paris,2018,p.277.

² Ibid.p.279.

³Cicero, De Divinatione,Book 01,Section 3,Perseus Digital Library,Tufts University.

⁴تم تقسيم الإشارات والعلامات التي ترجمها العرافون إلى مجموعات وهي تلك التي تأتي من السماء مثل البرق، أو تلك التي تشير إليها الطيور أثناء عملية الطيران، وتلك التي تشير إليها أثناء تغريدها ، وتلك التي تخرج من الحيوانات ذات الأربع ، رمضان عبد الرزاق مختاط ،المرجع السابق،ص75.

المرتبطة في الغالب بأحداث مستقبلية؛ و العرافة الطبيعية ، تلك التي أنذرت بالأشياء من خلال حركة داخلية بحتة ، واندفاع الروح بشكل مستقل عن أي مؤثرات خارجية،¹ لذلك كان العرافون ضروريين باستمرار في الدولة والمجتمع على السواء وسبقت العرافة الكهانة ، وغير أن العرافة اختلفت عن الكهانة في كونها تخصصت في دراسة العلوم وتفسير العلامات والإشارات التي تلي من قبل الآلهة وبالتالي أصبح لها مختصون ومكلفون بهذا الفن وهم العرافون،² أصبحت العرافة إحدى الركائز الأساسية في الحياة الرومانية تندرج تحت تمسك الدولة والفرد بإرضاء الآلهة³ حيث يذهب المرء عادة إلى العراف للحصول على المشورة

كانت تقدم للآلهة حيوانات من الجنسين ، وكانت تلك المخصصة لآلهة العالم السفلي سوداء دائماً ، بينما كانت لجوبيتر وجونو حيوانات بيضاء، كان الحجم الحيوان مهماً أيضاً،⁴ وكانت هناك قواعد محددة لتفسير الأحشاء ، و فحص الكبد والقلب والكلى والأمعاء بدقة من حيث شكلها ولونها وأي علامات غير عادية بها⁵، ويتم التأكد من عدم وجود أي أمراض بها ، تم حرقها على مذبح مؤقت، تم ذبح بقية الحيوان وتوزيعه على الجنود في نهاية المعركة التي تلت ذلك ، كانوا يأكلونها في وجبة واحدة.⁶

¹Christol,M.,Op.Cit.p.31.

²رمضان عبد الرزاق مختاط ،المرجع السابق،ص75.

³أحمد علي عجيبه ،دراسات في الأديان الوثنية القديمة ،دار الأفق ، مصر ، 2004،ص 181.

⁴Dunlod,M.D., "augury And Divination In The Roman Empire",Project Appraisal, Vol 2, Number 1, England,March 1987,p.68.

⁵كيندرج فحص الكبد من قبل العرافين في طقوس العبادة ويضاف إليها التراتيل التي يتم تلاوتها من قبل العراف لاستبيان رغبات الآلهة . عبد الرزاق رحيم الموحى ،العبادات في الأديان السماوية ،الأوائل للنشر ،2001،ص34.

⁶Dunlod,M.D.,Op.Cit.p.68.

4-3 العرافون الرومان

سعى العرافون (Augures) إلى معرفة الأشياء السرية أو المستقبلية ذات الاهتمام العام من خلال نوع الطير و مراقبة طريقة طيرانه وأصواتها وما تشير إليه و تدخل كلها ضمن اختصاص العراف الذي يعمل على تمييزها من بعضها.¹

كانت التضحية بالحيوان المناسب للإله أو الإلهة المعنية² جزءاً مهماً من الطقوس التي تهم الجمهور في الإمبراطورية الرومانية ، مثل معركة أو انتخابات أو بناء معبد جديد ، يتم دائماً استشارة عضو من هيئة العرافين ، للتأكد من أن الآلهة كانت موافقة أو رافضة، وان كان الحذر واجبا فقد كان لدى الآلهة العديد من الطرق المختلفة لإظهار استيائهم ، وإذا تم تجاهل علامة واحدة فقط ، فستحدث مأساة،³ ويمكن القول أن خبرة العرافين لم تقتصر فقط على تفسير الذور والعلامات فحسب، بل كان العرافون على خبرة و علم بالتقنيات المختلفة المستخدمة لتطويع إرادة الآلهة أيضاً.⁴

كان العرافون ، ومفسرو الاحلام ، والكهنة، يتمتعون باهتمام كبير ويتمتعون بالسلطة أيضاً،⁵ لكونهم مرتبطين بخدمة المعابد والمذابح، حتى أنهم رافقوا الجيوش في بعثاتهم، و في

¹ عبد الرزاق رحيم الموحى، المرجع السابق، ص34

² تدخل هذه الطريقة في طقوس العبادة فكانت تتألف من طقسين متلازمين هي الصلاة والذبيحة، وكانت أهم الأعضاء التي يتم فحصها ستة هي الطحال والمعدة والكليتان والقلب و الرئتان والكبد فبعد أن يرش على الضحية الخمر وتنتثر عليها فتات الكعكة المقدسة، يقوم مساعد الكاهن بذبحها ثم تفحص الأحشاء فحصاً دقيقاً وخاصة الكبد فإذا وجد فيها بشير للخير وضعت على المذبح واكل ما تبقى من الحيوان، ويقوم الكاهن بتلاوة نوع من الصلاة بصوت منخفض وقد غطى رأسه، ويقوم آخر بنفخ المزمار ليغطي صوته على أصوات الشر بينما يقف السامعون صامتين. ومن شروط هذه الطقوس ممارستها بدقة وإلا فإن اي خطأ كفيل بإعادة الصلاة من جديد وتقديم ذبيحة جديدة ككفارة. علي عكاشة، اليونان والرومان، دار الأمل، الأردن، 1991، ص 334.

³ Dunlod, M.D., Op. Cit. p.67.

⁴ رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص75.

⁵ ينتمي العرافون إلى فئة الكهنة، وكانوا يتشكلون في الأصل من ثلاثة أعضاء، لكنهم زادوا العضوية إلى خمسة ثم عضوا 15 بحلول عصر سولا (حوالي 80 ق.م). وفي عام 47 ق.م، تحت حكم يوليوس قيصر، زاد العدد 16 عضوا وقد كانت

روما اتخذت وظائفهم طابعاً رسمياً حيث كانوا هم وحدهم الذين يستلهمون تنبئهم من الوحي الإلهي أو من الطبيعة أو من الأحلام، وكلها مسارات تنفذ فيها الآلهة رغبتها متجلية في السماء والنجوم والهواء و على الأرض وفي الحيوانات والنباتات، ولذلك وجب وجود مختصين في قراءتها وانقسموا إلى أقسام.¹

4-3-1 العرافون الطبيعيون

عمل العرافون الطبيعيون على التنبؤ بالمستقبل من خلال مراقبتهم لحركات سير الحيوانات وطيوران الطيور،² ومنها يستخلصون النتائج سواء الفأل الحسن المشجع على مباشرة العمل المطلوب؛ أو الفأل السيئ، الذي يستلزم تأجيل العمل حتى الوقت الذي يحكم فيه بشير جديد،³ وبذلك يقرر عرافوا روما، بصفتهم الرسمية، ما إذا كان عمل معين مناسباً ومقبولاً من قبل الآلهة أو لا.⁴

برز من العرافين الطبيعيين عرافي الوحي الإلهي حيث تؤدي بعض الشعائر بكل ورع وخشوع، مثل طقس الصيام الذي يقوم به العراف ويشترك معه الكاهن حيث أن صيام التنبؤ هو صيام خاص تقوم به العرافات للاستعداد لعملية العرافة و يمتد طيلة ثلاثة أيام تمتنع فيه عن الأكل والشرب إلا من أكل ورق الغار وذلك لتميز الروائح والأبخرة المتصاعدة.⁵

كما لم تقتصر العرافة على جنس الذكور دون الإناث في روما بل كانت للنساء نصيب هام فيها حيث كانت العرافة تختار بعناية، ويقوم باختيارها كهنة المعبد الذين يكلفون بتفسير

العرافة ممارسة لها احترامها وكان منصب العراف له قوة سياسية، لا سيما خلال فترة

الإمبراطورية، M.,Encyclopedia Of، bunson، p.55، Acid Free Paper، Usa، 2002، The Roman Empire،

¹Commelin، P.، Op.Cit.p.279.

²أحمد علي عجيبية، المرجع السابق، ص 183.

³Commelin، P.، Op.Cit.p.281.

⁴Bunson، M.، Op.Cit.p.55.

⁵عبد الرزاق رحيم الموحى، المرجع السابق، ص 35.

نبوءاتها، وهو ما يدل على السماح للنساء بممارسة الكهانة والعرافة¹ إلا أنه يشترط في العرافة أن تكون عذراء لأنها تستقبل الوحي من قبل الآلهة².

أشهر صنف آخر من العرافين في روما وهم العيافون، مهمتهم مراقبة وتتبع الطيور و كثيرا ما يرافق العيافين قادة الجيوش حتى يكون لدى قائد الجيش دائما فكرة عن رغبات وميول الآلهة، وذلك من خلال حمل الدجاج المقدس في أقفاص، والذي يعمل العراف على تغذيته³ ومراقبتها في أي وقت من اليوم، خلال الحرب البونيقية الأولى مثلا، كان القنصل أبيوس كلوديوس بولشر (Appius Claudius Pulcher) على وشك الدخول في البحر في معركة ضد الأسطول القرطاجي، غير أن العيافين أخبروه أن الدجاجات المقدسة رفضت مغادرة قفصها وحتى تناول الطعام، غير أنه دخل القتال وتعرض الجيش لكارثة⁴.

4-3-2 عرافو البرق

يقوم العراف المختص بتتبع البرق بتفسير معاني ظهوره وقد انتشر هذا الفن وتطور عند الأتروسكيين، حيث قسموا السماء إلى ستة عشر قسما كما وضعوا تفسيراً لظهور البرق في كل قسم من أقسام السماء⁵، كان الرعد والبرق أهم دالين فإذا جاء من الشرق، فقد اعتبرا سعداء؛ إذا مرا من الشمال إلى الغرب، كان العكس تماما، كانت الرياح أيضا علامة على الفأل الحسن والفال السيئ⁶.

¹ عبد الرزاق رحيم الموحى، المرجع السابق، ص 34.

² Bunson, M., Op. Cit. p. 76.

³ كان الطعام يُعطى عادة للدجاج، واعتمادا على شهيتهم يتم مراقبة سلوكهم وتفسيره بما يتماشى مع العراف الذي يترجم طريقة أكل الدجاج وكمياته للخروج بنتيجة معينة. Bunson, M., Op. Cit. p. 55.

⁴ Commelin, P., Op. Cit. p. 280.

⁵ رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص 78.

⁶ Commelin, P., Op. Cit. p. 280.

كان عرافو البرق في روما يرتدون شعلة جوبيتر ومارس وكانوا يقدمون الترانيم إلى مارس وإلى آلهة البذر وقت الزراعة¹، ويروي شيشرون أن كل من القنصلين ، بوبليوس كلاوديوس ولوسيو جونيوس أبحرا خلافاً لمشورة العرافيين وهما، يستحقان عقوبة الإعدام لفعلهم ؛ لأنه كان ينبغي عليهم احترام الدين الراسخ وألا يتعاملوا مع عادات أجدادهم بمثل هذا الازدراء الوقح. لذلك كان انتقاماً عادلاً أن الأول أدين بأصوات الشعب وأن هذا الأخير انتحر. لأنه لم يطع مشية الالهة ، لذلك هلك مع جيشه"².

4-3-3 العرافون الصناعيون

امتاز العرافون الصناعيون باستخدام الاستدلالات المبنية على التخمين أو المبنية على دلالات خارجية مرتبطة بالأحداث الخارجية وهم الذين يستعملون الأدوات لتحقيق قراءاتهم للطالع ومنها استعمال أدوات القتال والأنصاب³، كان العرافون الصناعيون يرتدون ثياب وعصى ، في احتفالات مصممة لتحديد ما إذا كانت الآلهة قد وافقت على قراراتهم انطلاقاً من صحة جميع العلامات والتي يتمكن العرافون المدربون من رؤيتها بوضوح⁴، وقد استمر هذا النوع من العرافة وتتبع حقيقة العلامات حتى أواخر فترات الجمهوريين وبداية الفترة الإمبراطورية المبكرة⁵.

¹ علي عكاشة، المرجع السابق، ص334.

²Cicero, De Divinatione, Book 02, Section 71, Perseus Digital Library, Tufts University.

³ علي عكاشة، المرجع السابق، ص334.

⁴Bunson, M., Op. Cit. p.55.

⁵Lindsay ,G.D., Roman Republican Augury: Freedom And Control, Oxford University Press, Uk, 2019, p.120.

5- المعتقدات الأرواحية والديانة الرومانية

1-5 مفهوم الأرواحية (Animism)

يتم عرض الأرواحية (Animism) أو "الروحانية" على أنها معتقد ديني بسيط ونظرية معرفية بدائية لشعب يعتمد على الصيد وجمع الثمار في فترات الممارسات الإنسانية البدائية،¹ وتم تقديم هذه الكلمة بواسطة عالم الأنثروبولوجيا إدوارد ب. تايلور (Edward Burnett Tylor) للإشارة إلى ديانات ما يسمى بالمجتمعات "البدائية" ويقدم إدوارد تايلور طرحه بالقول أن أبسط شكل من أشكال الدين البشري هو الروحانية،² حيث تُنسب الأرواح إلى عناصر طبيعية وحيوانات و لتكون دين الرجال الأوائل ؛ ولذي سيتم خلفته بعبادة الطواطم؛³ ثم جاء تعدد الآلهة كما في البانثيون اليوناني أو الروماني أو الهندوسي ؛ وأخيراً ديانات التوحيد اليهودية، المسيحية والإسلامية.⁴

¹Nurit,B.D., "Animism", *Current Anthropology*, Vol 40, Feb 1999, p.67.

²المذهب الأرواحي هو الإيمان بالأرواح التي تسكن أو تتطابق مع أجزاء من العالم الطبيعي ، مثل الصخور والأشجار والأنهار والجبال. وفي القرن التاسع عشر دعم تايلور طرح الأرواحية بكونها تمثل شكلاً مبكراً من أشكال الدين ، وهو الشكل الذي سبق الأديان التوحيدية في تطور "الفكر الديني البدائي". يستخدم المصطلح أحياناً بشكل فضفاض لتغطية المعتقدات الدينية لمجموعات السكان الأصليين ، على سبيل المثال في إفريقيا وأمريكا الشمالية ، قبل دخول المسيحية ، ولا يزال يستخدم على نطاق واسع لوصف الممارسة الدينية لما يسمى بـ "المجموعات القبلية أو الأصلية" في مناطق مثل جنوب شرق آسيا ، Barnard ,A., Spencer,J., *Encyclopedia Of Social And Cultural Anthropology*, Routledge, Usa, 2002, p.755.

³- يعرف كلود ليفي شتراوس Claude lévi-strauss الطواطم (Totem): بكونه "عقيدة دينية تقوم على فكرة ارتباط الإنسان مع حيوان أو نبات أو مظهر من مظاهر الطبيعة وان الإنسان منحدر من أصولها لتصبح بذلك مقدسة ورموز دينية لديهم وبذلك يصبح الرمز مركز العبادة الطوطمية ويكون الرمز إما رسماً للطواطم أو شكلاً هندسياً أو مجموعة خطوط أو جلد حيوان أو ملابس ، وقد عرفت الحضارة الرومانية المظاهر الطوطمية فيها من خلال بقايا الطوطمية وبعض ممارسات تقديم بعض الحيوانات مثل الذئبة لوبا التي يقال أنها أرضعت رومولوس وريموس والدجاج الذي يفيد في معرفة الحظ ويومة مينيرفا وكذلك الرموز مثل وبرع وصاعقة جوبيتر والشركة الثلاثية لنبتون كما كانت توجد صور ذئاب ونسور وخنازير على رايات الفرق العسكرية وتتكربأن هذه الأرواح ليست آلية وإنما قوة روحية تحول هذه الأرواح إلى إلهة لاحقاً". كلود ليفي شتراوس ، المرجع السابق ، ص36.

⁴ Decollectif., *Mesure*, S., Savidan, P., *Dic.S.H.Puf*, 2006, p.1311.

الروحانية هي إسقاط لمفهوم الروح على كائنات طبيعية والشعور الذي شعر به الإنسان البدائي داخل نفسه، يمكن للإنسان التوفيق بين هذه الأرواح من خلال الطقوس والممارسات السحرية أو حتى الصلاة ، والتي يتخصص فيها غالبًا الكهنة أو السحرة ؛ والارواحية تعني تولد الإيمان بالآلهة من انعكاس الناس البدائيين بحيث صاغ الإنسان البدائي كائنات روحية على أساس الفكرة التي كانت لديه عن روحه.¹

تستند الديانات الروحانية على فكرة النموذج الأولي لمفهوم الأرواح وهو المانا (Mana²)، وهي قوة غير مادية تعمل من أجل خير الإنسان أو شره، هذه القوة تحيي أشياء من الطبيعة (حيوانات ، أماكن ، حجارة) واستخدمت كلمة مانا لوصف "الخارق للطبيعة وعبرت المانا عن مرحلة أكثر بدائية الإيمان بقوة خارقة للطبيعة غير شخصية إنقسمها إلى مانا خيرة وأخرى شريرة استعار إميل دوركهايم أيضًا مانا لوصف "مبدأ الطومبي" أو الطومية قوة مقدسة غير محددة ، قوة مجهولة "مصدر كل التدين".³

اعتبرت مجالات الديانة الارواحية مسائل حول الحياة والموت ، والصحة والمرض ، والنوم والأحلام ، والنشوة والرؤى وعلاقة الروح بالطبيعة و أن لكل شيء روح تسكنه، وتطورت لاحقًا بمراحلها المتعاقبة بما يمثل الحالة الدينية للجنس البشري على مر الزمن وتم التعامل بداية مع الروح وتعريفها على أنها مادة مادية ، ثم تحولت لاحقًا عن حالتها المادية وأن استرضاء هذه الأرواح عن تقديم القرابين والذبائح الجنائزية وما إلى ذلك من أرواح الحيوانات والبشر والنبات لتشكل بذلك الأرضية الدينية التي تقوم عليها فكرة الآلهة وتعددتها ووجوب استرضائها.⁴

¹Decollectif., Measure,S., Savidan,P., Op.Cit.p-p.1314.1515.

²خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 131.

³ Barnard ,A., Spencer,J.,Op.Cit.p.440.

⁴ Burnett .T.E., Primitive Culture researches Into The Development Of Mythology , Vol 1,Dover Publications, New York,2016,p.314.

2-5 الارواحية والديانة الرومانية

ارتبطت الارواحية بالديانة الرومانية منذ البدايات الأولى لتشكل المعالم الكبرى في الديانة الرومانية وكانت الديانة الرومانية الأولى تسمى الارواحية وكان الرومان يؤمنون بأن كل شيء حولهم في الكون يخضع لقوى لا يمكن رؤيتها بالعين و تكمن وراء الطبيعة،¹ وكذلك جميع أنواع الفضائل والرذائل والقوى الجسمية بأن لها ارواحا ، أو قوة او إرادة تتجلى في كل مكان ، وليس هذا فحسب بل تعمل ولكن كيفية عملها، غير معروفة لهم.²

حفز ذلك الرومان الأوائل لتقديس القوة الخارقة للطبيعة و الإيمان بأن الأشجار والجبال والأنهار والتكوينات الطبيعية الأخرى تمتلك قوة أو روحًا محفزة، وغالبا ما يحسون بان هذه الأرواح لم تتخذ بعد هيئة أو شكلا معيناً تمكنهم من تسميتها باسم من الأسماء، لذلك يتردد في ترانيمهم القديمة المدونة القول " يا أيتها الروح سواء أكنت ذكرا أو أنثى ، إلهة أو إلهة"³

اعتبر الرومان أن الأرواح تحيط بهم وأنهم ويعيشون بينها ، لا يستطيعون إنكارها وتجاهلها ولعل ابرز مثل عن تطور هذا المعتقد هو تحول إحدى هذه الأرواح إلى ما يعرف باللاريس(Lares)حارسة الحدود⁴ والتي تعد من البقايا الهامة لهذه المرحلة من مراحل الاعتقاد الروماني ، ولقد بذل أصحاب النظريات جهودا مضنية لتفسيرها، ويوحى التشابه بينا وبين أجزاء من العالم الآخر إنها كانت أرواح الأسلاف التي تشرف على الخصوبة في الأرض الزراعية، لار فاميلياريس (Lar Familiaris) ، دخل بيت المزرعة مع العمال الزراعيين.⁵

¹ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 153.

² رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص 64.

³ بارندر جيفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر امام عبد الفتاح امام، 1993، ص 71.

⁴ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 132-133 .

⁵ بارندر جيفري، المرجع السابق ، ص 72.

6- مفهوم قوى الفتشية (Fetish) والنيومن (Numen) عند الرومان

1-6 القوى الفتشية (Fetish) عند الرومان

الفتشية عبارة عن عبادة شيء ما مشخصا في جسد أو روح، مع ملاحظة أن هذه الروح تسكن في كل مظهر من مظاهر هذه الطبيعة ، وقد اشتقت كلمة نيومن من الفعل (Nuere) الذي يفيد الحركة¹ و هي قوة ذات فاعلية فائقة القدرة تشير إلى القوة الزائدة التي أصبحت الآلهة تملكها بوفرة وبالتالي أصبحت قدرتهم تعتمد على مدى امتلاكهم هذه القوة وكذلك نيومن الإنسان والذي يجعل منه شخصا مميز ، ويعتقد أن نيومن الإنسان هو الذي دفع الرومان إلى تأليه الأشخاص المميزين وخاصة الأباطرة الذين ألهو فيما بعد ،² وتطور المفهوم ليتشكل في صياغة نهائية عبرت عنها عبادة الإمبراطور.

2-6 النيومن (Numen) عند الرومان

النومين أو القوة الإلهية المجهولة، إنما هي روح ساكنة في كل مظهر وظاهرة من مظاهر هذه الطبيعة وظواهرها، وفي حركتها، ويتجلى في كل حدث عن طريق عمله،³ من ثم، كل مظهر إنما يمثل تجليا، لناحية من قوى هذه القوة المجهولة التحديد المبهمة المصدر، بدأ العقل يحدد هذه التجليات بطريقة تمكنه من تمييز هذه الاختصاصات حتى يتمكن من فهم نوايا هذه القوة المجهولة بالنسبة إليه، ومن ثم بدأ يضيف على كل مظهر وظاهرة اسم خاص.⁴

¹خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص134.

²رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص69.

³أبكار السقاف، الدين عند الاغريق والرومان والمسيحيين، دار الانتشار العربي، بيروت، 2004، ص262.

⁴نفسه، ص 262.

الفصل الأول : تطور الديانة الرومانية

1- المنظومة الدينية الرومانية

1-1 الكهنة الرومان

1-1-1 الكاهن الأعظم (Pontifex Maximus)

1-2 الالهة الرومانية

1-2-1 الإله جانوس (Janus)

1-2-2 الإله جوبيتر (Jupiter)

1-2-3 الالهة جونو (Juno)

1-2-4 الإله مارس (Mars)

1-2-5 الإله ساتورن (Saturn)

1-2-6 الالهة فستا (Vesta)

1-2-7 الإله فولكان (Vulcan)

1-2-8 الإله مركوري (Mercury)

1-2-9 الالهة منيرفا (Minerva)

1-3 دور العبادة عند الرومان

1-3-1 المعابد الرومانية

1-3-2 دور المعابد في الفترة الإمبراطورية

2-عبادة الإمبراطور (Emperor Worship)

1-2 جذور العبادة

2-2 دخول عبادة الإمبراطور إلى روما

2-3 تطور مفهوم عبادة الإمبراطور عند الرومان

3- الديانات الشرقية الوافدة إلى الرومان

1-3 ديانة الالهة سيبيلي (Cybele)

2-3 ديانة الإله ميثرا (Mithra)

3-3 ديانة الالهة ايزيس (Isis)

1- المنظومة الدينية الرومانية

كانت الوثنية الشكل السائد للعبادة في العصور القديمة وخاصة في فترة دراستنا حيث عمت كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية وبالرجوع إلى أصل المصطلح نجد أن الوثنية (paganism) من المصطلح اللاتيني (paganus) يرجح أنه اشتق من اسم قرية باقوس (pagus) تغير اللفظ من الدلالة على المنطقة الريفية للسياق الدين، حيث عبر المصطلح عن الفرد المتدين بالمعتقدات القديمة، وعبرت بعض الآراء عن كون الوثنية الديانة التي تخلو من كل المظاهر الدينية اليهودية والمسيحية¹، وأنها جملة الممارسات والاعتقادات المرتبطة بعبادة مختلف الالهة² ووضعت الوثنية في مواجهة الديانات التوحيدية التي تؤمن بوحداية الإله ومركزيته في مرحلة متطورة من مراحل التطور الديني للإنسان بعد أن كان التعبير الوثني عن هذا المعتقد يركز على أن الفرد الوثني يؤمن بأكثر من إله.

طور الرومان خلال فترات تاريخية متتابعة تصوراتهم وتطبيقاتهم للمعتقدات الوثنية الموروثة في شكل منظومة دينية لها مقوماتها وأسسها، بداية بالتأسيس لفكرة ظهور الالهة و ما عرفته من تأثيرات وتحولات طرأت عليها³ كما أسلفنا ثم اعتقادهم بالأرواح⁴.

¹ Bunson,M.,Op.Cit.p.406.

² Di Berardino,A.,Op.Cit.p.2302-2303.

³ إن هذا التحول من الحالة الروح إلى الإله هي أساس نظرية وضعها الباحث الإنجليزي إي بي تايلور Edward B-tylor (1832-1917)، أحد مؤسسي الأنثروبولوجيا الحديثة، من أجل تفسير أصل الدين وتطوره. كانت نظرية تايلور متناغمة بشكل عام مع وجهات النظر التطورية السائدة في عصره، وتقوم على افتراض أن الشكل الأول للدين كان يتسم بالأفكار البشرية المتعلقة بتعدد الأرواح والأشباح وقوتها الكامنة التي سمحت لها بلعب وظائف حيوية وتطورت حسب المعتقد الإنساني عبر مراحل تاريخية لتأخذ شكلها الإلهي النهائي تماما مثل زيوس عند مجمع الالهة اليونانية أو الإله برهما عند الهنود، .

364.-Jons,L.,Op.Cit.p.362

⁴ اعتبر هذا التصور الأرضية الأساسية في الاعتقاد أي المستوى الأكثر بدائية والأقل تعقيدا وقد ارتبطت هذه القوى الروحية بمهام مثل العمليات الزراعية، التي كانت الأساس الأول لتكوين المجتمعات البدائية الزراعية، ومن ثمة ارتباطها بالنواة الأسرية التي من خلالها يتشكل المجتمع الروماني ويرتكز، وذلك لما تحمله من أهمية معيشية للإنسان الروماني، وقد عرف هذا المعتقد تطورا نقله من مرحلة الأرواحية إلى مرحلة الإله بصيغة أكثر ملائمة لتطور الحالة الحياتية ونشاطاتها

وتأثير القوى الأرواحية، إضافة إلى الأدوار التي شغلها السحر والعرافة، وانتقال تلك الأدوار إلى الكهنة اللذين سيروا الحياة الدينية وشكلوا ملامحها منطلقين من حرصهم على التطبيق الأمثل للطقوس الدينية بشكل يرضي الالهة ورجباتها، والتي اتخذت من المعابد الرومانية محل لها ومكان لممارسة الطقوس وتقديم العبادات.

1-1 الكهنة الرومان

ساير الرومان في سلوكهم الديني طريقة استرضاء الالهة مثل كل الشعوب القديمة ، حيث انتشر في تلك الحقبة من الزمن اعتقاد راسخ أن الملك الذي يستطيع أن يفوز برضى الالهة يستطيع بالمقابل أن يحقق سلاما يعود بالنفع والخير على مجتمعه ومدينته وحكمه و على أهل الأرض ،ولذلك يحرصون على دوام قيام رابطة الحب والطاعة للآلهة في علاقاتهم ببعض وبينهم وبين قوى الطبيعة ، حتى لا تغضب ولا يكون عقابها من خلال إهلاكهم بكل صنوف الكوارث ¹ .

ولما كان الملك لا يمكنه القيام بأعباء تأدية فروض الطاعة والولاء لآلهة المدينة وحدها ،فإنه استعان برجال الدين في شكل مجلس صغير يضم أعضاء يتم اختيارهم وهم الكهنة (Pontifices) إلى مجموعة من العرافين الذين كانوا مسئولين عن تفسير وقراءة الطوابع والظواهر الطبيعية تفسيراً دينياً وكذلك التنبؤ بمشيئة الالهة ،² ولم يكن الكهنة من الذين يكونون طبقة خاصة متميزة عن غيرهم من الطبقات الاجتماعية، ولا تتطلب وظيفتهم إعداداً خاصاً أو تمريناً وممارسة خاصة في المراحل الأولى من التاريخ الروماني ³ .

حيث كان كويرينوس (Quirinus) مثلاً قوة روحية غامضة، اندمجت مع مؤسس روما حسب الأسطورة روميلوس (Romulus). بارندر جيفري، المرجع السابق ، ص 74 .

¹ أحمد علي عجيبية، المرجع السابق، ص 181-182.

² محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 73.

³ لا يقوم الكاهن في روما بما يقوم به في بلاد اليونان من الأعمال الروحية، فيلاحظ معبده ويدير شؤون أملاكه ويقوم بالاحتفالات لإكرامه وهكذا كانت جمعية السالبيين (الرقاصين) تحتفظ بترس وقع عليها من السماء؛ كما زعموا، وكان يعبد كما يعبد الصنم، وكانت تقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة رقص بالسيوف وما كان الكهنة، ولا العرافون، ولا الأحبار يؤلفون

ينقسم الكهنة الرومان إلى قسمين

أ- رجال دين يكلفون بالإشراف على ديانة الدولة و طبقتهم تضم كبار رجال الدين والعرافين.¹

ب- كهنة الالهة،²و كانت مهمة الكهنة من خلال الدين تأمين رضا الالهة عن طريق تقديم القرابين³ وتأدية الطقوس، لكونهم حراس القانون المقدس مسئولون على الحفاظ على التقاليد الدينية للدولة وإقامة الاحتفالات المناسبة.⁴

اختص تقديم القرابين بجماعة الكهنة، وارتبط الملوك الرومان وهم الزعماء الروحيون في فترة الحكم الملكي لروما بالقيام بدور الكاهن الأكبر للدولة وسمي ملك القداسة (Rex Sierosm). والذي تنازل عن بعض صلاحياته كما أسلفنا الذكر سابقا لبعض الكهنة ما زاد من نفوذهم الديني.⁵

عند زوال حكم الملوك في روما ، كان المنصب الكهنوتي الرئيسي هو منصب ملك الطقوس المقدسة (Rex Sacrorum). و انتقلت إلى هذا المنصب بقية السلطات والواجبات

طبقة خاصة بهم، بل يجري اختيارهم من كبار الرجال ويبقون على القيام بجميع وظائف الحكومة .شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم، تر، محمد كرد علي، دار العالمية، مصر، 2012، ص 148.

¹علي عكاشة، المرجع السابق، ص 233.

²نفسه، ص 233.

³ أمر قانون الألواح الاثني عشر باستخدام الذبائح فقط من قبل الخدام المتحررين من كل دنس. كان الكاهن يرتدي الزي الأبيض ويتوج بأوراق الشجر ، ويبدأ الاحتفال دائماً بالنذور والصلاة ويقدم للالهة الثمار ثم بعدها إدخال الحيوانات قرابين للالهة واعتبرت إراقة الدماء أمراً مقبولاً للغاية بالنسبة لطقوس التقرب من الالهة . كانت الحيوانات المخصصة للتضحية تسمى الضحايا أو القرابين. كان عليهم أن يكونوا سليمين ، وكان لكل إله مفضل حيوان مفضل. تبدأ العملية حين يلقي الكهنة على الضحية عجينة مصنوعة من دقيق القمح والملح على الرغم من أن هذا الاحتفال كان في الأصل مجرد حفل تمهيدي. بعد هذا التكريس يتذوق الكاهن الخمر ، ويناولنها للحاضرين لتذوقها ، وسكبها بين قرني الضحية. شكلت هذه مراسم الإراقة ثم تشعل النار ، مع احتراق البخور . Commelin,P.,Op.Cit.p.285.

⁴إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، العالمية للكتاب، لبنان، 1996، ص 97.

⁵أبو اليسر فرح، محاضرات في تاريخ الرومان، جامعة عين شمس، القاهرة، ص 79.

الدينية التي كانت للملوك، توفرت في المناصب الكهنوتية مكانة اجتماعية وسياسية، والتي أصبحت محل صراع لاحقاً بين مختلف الفئات والطامحين بعد زوال المرحلة الملكية.¹

لقد كانت العبادة الوثنية مؤسسة قائمة بذاتها واتخذت صبغة سياسية ودينية في نفس الوقت ، حيث يكون أصحابها مسؤولين عن إدارة أو الإشراف على شؤون الدولة وكذلك شؤون الدين ، ويتم اختيار الكهنة المنتخبين من قبل الشعب ، أولاً من بين الأرستقراطيين ، ثم باقي الطبقات، وان كان دخول العامة رهين الإصلاحات التي شهدتها روما في فترات متقدمة من تاريخها فلم يكن هناك تأسيس للمساواة الدينية، وحتى حين دخل العامة جميع الكليات الكهنوتية ، فقد أخذ في الاعتبار في الانتخابات الكهنوتية شرف وسمعة العائلات.²

ميز الرومان أنواع كثيرة من الكهنة حيث لم يكن البعض منهم مرتبطاً بإله معين لكنهم قدموا ذبائح لكل الالهة ومنهم إخوة ارفال (Arval) ملك الذبائح (Rex Sacrorum) كهنة الفستال (Vestal)، كهنة الفلاميون (Flamines) وهم كهنة المسؤولين عن مسائل العلاقات الدولية مثل المعاهدات وإعلان الحرب وما إليها ، Salii السالبيين ولوبريك³ (Lupercis)

1-1-1 الكاهن الأعظم (Pontifex Maximus)

كان الكاهن الأعظم زعيماً ليس فقط للكهنة ولكن أيضاً للمؤسسة الدينية بأكملها،⁴ والكاهن الأعلى لروما. وفقاً للعادات الرومانية بما في ذلك كليات الكهنة وغازي فستال وقد منحه هذا صلاحيات هائلة،⁵ وهو ما تحمله دلالة عبارة (Pontifex Maximus) إن كلمة (Pontifex) اللاتينية مركبة من (Pons) بمعنى جسر أو قنطرة ومن الفعل (Facere) والذي يعني يضع أو يقيم وسبب هذه التسمية أن الكاهن يكون بمثابة الواسطة والجسر بين الالهة و

¹ فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 256.

² Commelin, P., Op. Cit. p.284.

³ Ibid. p.284.

⁴ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 139.

⁵ Bunson, M., Op. Cit. p.443.

البشر، بمعنى آخر يوطد العلاقة بين الالهة والبشر¹ ، و وفقاً للتقاليد الروماني، يعود تاريخ نشأت المصطلح عندما عين الملك نوما (Numa) ستة أشخاص لمساعدته في مهام حكمه و عندما ألغى الرومان النظام الملكي ، تم إعطاء الجانب الديني للملك ليصبح الكاهن الأعظم.²

الكاهن الأعظم هو رئيس الكهنة الذين يكونون هيئات من قبل الدولة لمدة عام أو مدى الحياة، وازداد تأثيرها مع الوقت حيث كانت تتكون في البداية من ثلاثة أشخاص ثم تم زيادتها إلى ستة إلى أن أصبحت مجموعة من ستة عشر عضواً³يشكلون مجلساً صغيراً يشرف على العمل الديني للدولة، بعد أن يتم اختيارهم من مختلف طبقات المجتمع الروماني المتعلمة، إلا أننا نشهد في بعض الحالات دخول بعض العامة فيها. وأيضاً من حق هذه الهيئة أن تقرر الاعتراف بالالهة الأجنبية أو لا.⁴

لم يكن الكاهن الأكبر يترأس المجمع فحسب، بل يمثل الدولة في المظاهر الدينية الرسمية، كما كانت له السلطة على كل المواسم و المعابد وكذلك له اختيار العذارى⁵ خادمت الالهة فستا⁶.

تم انتخاب الكاهن الأكبر من قبل القبائل خلال الفترة الجمهورية (509 ق.م -27 ق.م) ، ولاحقاً نشهد جمع يوليوس قيصر بين منصبه كديكتاتور ومنصب الكاهن الأعظم ، مما جعل نفسه متفوقاً دينياً وسياسياً ، قام الأباطرة الرومان بإدراج لقب الكاهن الأعظم في صلاحياتهم

¹ فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 256.

²Bunson,M.,Op.Cit.p.443.

³رمضان عبد الرزاق مختاظ، المرجع السابق ،ص 80.

⁴نفسه ،ص80-81.

⁵هن كاهنات مكرسة لخدمة الالهة فستا؛ وهن شخصيات مهمة ، تحملوا العديد من المسؤوليات يعود تاريخ فستال إلى الأيام الأولى لعبادة فستا كان هناك في البداية اثنان من هؤلاء العذارى ، الذين خدموا لمدة خمس سنوات. ارتفع العدد إلى أربعة ، ثم ستة ، وامتدت فترة الخدمة إلى 30 عاماً. يتم اختيار الأعضاء عن طريق القرعة من قبل الكاهن الأعظم ويجب أن تتراوح أعمارهم بين ست وعشر سنوات ؛ ومن عائلات حرة ولكن ليس بالضرورة أرستقراطية.. كان الواجب الأساسي لعذراء فستال هو رعاية الموقد الأبدي لفستا . ، كانت فستال ترتدي دائماً اللون الأبيض ، وكان لديهن مقاعد خاصة في جميع المناسبات العامة ولم يحلفوا اليمين أبداً ، لأن كلماتهم كانت تعتبر مقدسة. يمكن أيضاً إنقاذ مجرم إذا قابلوا المتهم في طريقهم إلى السجن أو الإعدام ، ومنحوا الحصانة من أي متابعة . Bunson,M.,Op.Cit.p.576.

⁶ Bunson,M.,Op.Cit.p.576.

العديدة، إلى غاية حكم الإمبراطور جراتيان (Gratian) (367م-383م)، الذي حارب الوثنية ، منهيًا بذلك منصب الكاهن الأعظم.¹

1- 2 الالهة الرومانية

ساد المعتقد الوثني عند الرومان كسائر الشعوب القديمة ، و عبدوا مختلف القوى الطبيعية، و وضعوا لكل مظهر من مظاهرها إلهًا مستندين إلى نفس الأفكار اليونانية ومفاهيمها حول الإلهية بل واستوردوا آلهتهم وأطلقوا عليها تسميات رومانية،² في شكل من أشكال التوافق والاندماج.³

طور الرومان اعتقاداتهم حول الالهة التي غالبًا ما تصوروا أسلافهم الأوائل على أنها تجريدات ، تسمى نوميًا ؛ ثم تحت تأثير المعتقدات الإغريقية ، و قدموا تجسيمًا لها إضافة إلى تعديدها في أكثر من الهة⁴ غير أنهم لم يعرفوا تفسير لطبيعة الآلهة، ولا احتفظوا بكتاب مقدس ولا نص محدد يعلم الفضيلة والأخلاق الصالحة، ويكشف الظواهر الطبيعية للكون أو حياة ما بعد الموت من حساب وبعث⁵، لذلك كانت تصوراتهم عن آلهة السماء⁶ هي جملة المورثات التي ورثوها من الماضي الهنـدو أوربي ولم تتصل روح الرومان بالآلهة، فقد رأوا

¹ Bunson, M., Op. Cit. p.443.

² رؤوف السبهياني، تاريخ الأديان القديم، مؤسسة البلاغ، لبنان، 2011، ص 157.

³ حسن الشيخ، المرجع السابق، ص 236.

⁴ Le Bohec , Y., Op. Cit. p.24.

⁵ رؤوف السبهياني، المرجع السابق، ص 165.

⁶ وهناك آلهة أخرى تشترك في نفس الموروث و كانت تتمتع بمواضع محلية لإقامتها، منها بينتاس Penates آلهة المخازن والصوامع، وهناك أيضا الإله «ترمينوس Terminus (اله الحدود) الذي يجلس على صخرة الحدود. بارنـدر جيفري، المرجع السابق ، ص 93.

أنه ما دامت القوة موجودة، فلا حاجة للروح ، لدرجة أنهم كانوا حين ينتصرون على أعدائهم يستولون على ألهتها في محاولة للاستتفاع بها تماما كغنيمة حرب إلا أنها في شكل اله.¹

عرفت بدايات ملامح عبادة الآلهة مع بروز النظام العشائري، في كل عائلة عشيرة رومانية، حيث كان رب العائلة هو الذي يختص بالقيام بطقوس العبادة ويمنع على كل غريب حضورها وإضافة إلى العائلة العشيرة لقد كان المجتمع الروماني يتألف من عشائر وكوريات، ازدادت مع الوقت بتوافد المستوطنون جدد. ولم تكن أعداد هؤلاء قليلة² وهو ما جعل من تطور تلك المعتقدات أمرا حتميا في ظل الزيادة العددية والثقافية فلم يكن الوافدون الجدد مختزلين من ثقافتهم بل حملوا بعضها معهم.

اعتقاد الرومان أن ما يصيبهم في حياتهم من خير أو شر هو متوقف ليس فقط على إقامة الشعائر الدينية للآلهة بل على إقامتها طبقا لأصولها الصحيحة³ ، ومن هذه الشعائر وأصول تطبيقها كان يتألف القانون الروماني المقدس، وهو الذي صار جزءا هامة من القانون الروماني العام.⁴

مثل العديد من الشعوب القديمة الأخرى ، يؤمنون بوجود التعدد في الآلهة⁵، و، يمتلك كل منهم قوى معينة تمارس على جوانب منفصلة من العالم المادي، على عكس الإغريق ، لم يطور الرومان أساطير معقدة ؛ لقد تصوروا الآلهة ببساطة من الناحية العملية إلى حد ما على

¹ميغوليفسكي، أسرار الآلهة ، تر حسان مخائيل إسحاق، ط4، دار علاء الدين، مصر، 2009، ص51.

²نفسه، ص53.

³لم تعرف الديانة اليونانية والرومانية رسل ولا يوجد فيها من سعى إلى تفسير طبيعة الآلهة، وليس لديها كتاب مقدس ولا نص محدد يعلم الفضيلة والأخلاق الصالحة، ويكشف الظواهر الطبيعية للكون ولا يؤمنون بيوم الحساب والبعث. إذا لم يكن هناك كهنة ينشرون تعاليم دينية مثل الشكل اللاهوتي المسيحي . رؤوف السبهاني، المرجع السابق، ص165.

⁴إبراهيم رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص98.

⁵احتوت الديانة الرومانية على مجموعات من الآلهة حسب الأهمية والدور والمكانة مثل مجموعة الإله جوبيتر ، إضافة إلى آلهة آخرين ينتمون إلى مجموعة الآلهة التي تعترف بها الدولة . تشارلز ورث، الامبراطورية الرومانية، تر رمزي عبده جرجس، مكتبة الأسرة، 1999، ص112.

أنهم كيانات كاملة السلطة ، يعبدونها بجد من أجل الحصول على المساعدات وتجنب الشر وهو ما شكل ركيزة أساسية في أساس الديانة الرومانية.¹

1-2-1 الإله جانوس (Janus)

جانوس أو يانوس إله المداخل والبدايات والماضي والمستقبل عند الرومان.² و جانوس في اللاتينية ، (Ianua) تعني باب أو مدخل ، و (Ianus) هو مصطلح يقصد به الممر أو القوس.³ و هو مثال لإله ليس له أصول يونانية ؛ لقد كان إلهًا محليًا من شبه الجزيرة الإيطالية ، كان جانوس إبداعًا رومانيًا أصليًا ، ولم يؤخذ من أي آلهة أخرى ووفقًا للتقاليد ، تم تأسيس عبادته لأول مرة في روما⁴ إما على يد رومولوس أو على يد نوما وبقي على الدوام ذا شعبية طاغية بين الرومان.⁵

يأتي جانوس في المرتبة الأولى بين الآلهة⁶ كونه إلهًا للمداخل و للبوابات العامة (Jani) التي تنبثق عنها الطرقات، وللأبواب الخاصة وكانت علامته المفتاح و العصا ، فالمفتاح هو الذي يفتح ويغلق به الأبواب والعصا التي يستعملها البوابون لمنع كل غريب عن دخول المدينة ، وربط كذلك بفكرة الذهاب والعودة والسفر ، وبالتالي، إله وسائل الاتصال كافة، ويرجح انه اختص بالملاحة أيضا.⁷

¹Forsythe,G., C.H.E.R. California Press,Usa,2005,p.126.

²Bunson,M.,Op.Cit.p.282.

³Roman,L., Roman,M., Ency.G.R.M. Facts On File ,Usa,2010,p.289.

⁴Bunson,M.,Op.Cit.p.282.

⁵فراس السواح،2017،المرجع السابق ، ص 264.

⁶ جعلت الأساطير من جانوس ملك العصر الذهبي لمنطقة لاتيوم. وقيل إنه رحب بالإله ساتورن المبعوث من السماء من قبل جوبيتر. بعد أن اغتصب يانوس الحورية كرين، التي سميت لاحقًا كارنا Roman,L.,

التي سميت لاحقًا كارنا Roman,L.,

Roman,M.,Op.Cit.p.289.

⁷فراس السواح،2017،المرجع السابق ، ص 264.

عرف جانوس عبر مراحل التاريخ الروماني ، اكتساب العديد من الصفات والقوى وهو ما يدل على التأثيرات التي لحقت به مع الزمن ، ربطه الرومان بالبداية بوصفه إلهًا شمسيًا كان يشرف على عملية بزوغ الشمس و طلوع الفجر¹

وكان أحيانًا يسمى أبا الفجر (Matutin Part)² ، فقد اعتبره الرومان أيضًا أب الآلهة بل هو المادة الهيولية الأولى للكون وسرعان ما اعتبر المحرض على المبادرات كافة، والملهم الذي قاد النفوس إلى مسكنهم الصحيح³، أن جانوس كان يدعى كايوس (Chaos) أي العماء عندما كان الهواء والنار والماء والتراب كتلة غير متشكلة، وعندما انفصلت العناصر اتخذ كايوس صيغة جانوس الحالية⁴.

استدعي من قبل الإله جوبيتر⁵ لحماية بداية كل المساعي الإنسانية و أقيم مهرجان في يوم رأس السنة الجديدة حيث قدم الناس هدايا و عملات معدنية له للترحيب بعام جديد⁶ وكان يظهر في بداية المراسم الدينية، ونظرًا لكونه أبا الآلهة، كان الأول في قائمة الآلهة الرومانية وكان يبجل في بداية كل شهر. وقد حمل أول شهر من السنة اسمه (Januarius)⁷ بداية العام الروماني.

¹ رمضان عبد الرزاق مختاط ،المرجع السابق،ص107.

² نفسه،ص107.

³Forsythe,G.,Op.Cit.p.126.

⁴ فراس السواح ،2017،المرجع السابق ، ص 264.

⁵ يتشارك جانوس مع جوبيتر في ارتباطه بالأمن العسكري والقوة في روما ، ومثل جوبيتر ، هو شخصية أب إلهي (يطلق عليه أحيانًا اسم يانوس باتر ، "الأب يانوس"). باعتباره إله البدايات البدائي ، فهو مرتبط بخلق العالم نفسه. Roman,L., Op.Cit.p.289.

⁶Bunson,M.,Op.Cit.p.282.

⁷ فراس السواح ،2017،المرجع السابق ، ص 264.

برزت الصفات الرئيسية لجانوس، من خلال تصويره برأس إله له وجهان،¹ أو يتم تمثيله على أنه ذو رأس مزدوج، ينظر في اتجاهين في نفس الوقت ليتمكن من مراقبة الداخلين والخارجين في آن واحد وربما كانت تعبر عن نظرته للماضي والمستقبل.²

وهكذا يتراءى عمليات الانتقال من مكان إلى آخر ومن جزء من الوقت إلى جزء آخر في تجسيد للتحويلات، المكانية والزمنية،³ وقد صور على النقود براس ذي وجهين إحداهما أمرد والثاني له لحية دلالة على الشمس والفجر، وفي تطور ملحوظ أصبح الوجهان ملتحيين واختفى الوجه الأمرد الذي ربما كان يعبر عن صفته السابقة باعتباره إله شمسي⁴، غير أنه ليس لدينا أي تمثال كامل أو نصفي لجانوس، إلا صورته على قطع النقود العديدة، ولا يبدو عليه أي تاج أو أكليل غار في كل صورته.⁵

وفقاً للتقاليد الرومانية القديمة تم بناء معبد للإله جانوس⁶ في روما حيث يقول ليفي :
وبنى معبد جانوس في أسفل أرغيليتوم، كمؤشر للسلام والحرب، أنه عند فتحه قد يشير إلى أن الأمة كانت في حالة حرب، وعند إغلاقه تنتهي، استقرت جميع الشعوب حولها. تم إغلاقها مرتين منذ عهد نوما: مرة واحدة بعد انتهاء الحرب البونيقية الأولى.⁷

أصبح إغلاق البوابات رمزا دعائيا للسلام والأمن. كان معبد جانوس في الساحة العامة يمر من خلاله الجيش والقادة في بداية ونهاية الحملة العسكرية، وبالتالي فإن البوابة المغلقة

¹Forsythe,G.,Op.Cit.p.126.

²رمضان عبد الرزاق مختاط،المرجع السابق،ص107.

³Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.289.

⁴رمضان عبد الرزاق مختاط،المرجع السابق،ص107.

⁵فراس السواح،2017،المرجع السابق، ص 265.

⁶ تم استدعاؤه أولاً في الصلوات الرسمية، جنباً إلى جنب مع جوبيتر، من أجل الوصول إلى الالهة الأخرى. كان ضريحه

الأكثر شهرة في روما وكان عبارة عن هيكل صغير مستطيل الشكل له أبواب. Forsythe,G.,Op.Cit.p.126.

⁷Titus Livius , The History Of Rome, Book 1,Chapter19,Perseus Digital Library,Tufts

University.

ترمز إلى عدم الحاجة إلى رحيل الجيوش للحرب¹. وتُغلق فقط عندما يعم السلام في جميع أنحاء العالم الروماني ما يجعل منه الإله الناصر الحامي لروما² وأغلق نيرون معبد جانوس ذو الوجهين، كما لو أنه لم تكن هناك حرب في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية³. ان سبب هذه العادة غير معروف تماما⁴. غير انه شائع بشكل متزايد خلال الفترة الإمبراطورية⁵.

2-2-1 الإله جوبيتر (Jupiter)

جوبيتر اللاتيني إله النور اله الشمس والقمر ،⁶ ثم تحول إلى جوبيتر الإله الأعلى للآلهة الرومانية، قام جوبيتر بحماية روما وحكم الجنة كأب للآلهة⁷ وملكها وابن الإله ستورنوس وهو، النظير الروماني لزيوس (Zeus)⁸ عند الإغريق و هو شهادة على ارتباط الرومان البدائي بالشعوب الهندوأوروبية الأخرى⁹، كان أهم إله للرومان¹⁰ احتل المرتبة الأولى دائماً ؛ وكانت عبادته هي الأكثر شهرة والأكثر انتشاراً.¹¹

¹Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.289.

²Bunson,M.,Op.Cit.p.282.

³ Suetonius Tranquillus, Life Of Nero,Chapter13, Perseus Digital Library,Tufts University.

⁴فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 265.

⁵Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.289.

⁶فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 269.

⁷Bunson,M.,Op.Cit.p.294.

⁸كان زيوس هو الإله المهيمن للآلهة الأولمبية إله السماء الأولمبي. ملك الآلهة. ابن جبابرة كرونوس وريا، كان شخصية أبوية ورمزاً للسلطة المطلقة. ارتبط زيوس بالسماء والغيوم وتكوينات الطقس ، وخاصة الرعد والبرق. يشرف زيوس على حياة الإنسان وأفعاله ، ويرى كل الأشياء ، ويتحكم في النتائج. له ألقاب تتعلق بوظائفه ومجالاته المختلفة: على سبيل المثال ، Horkios (حامي قدسية القسم) ، Xenios (حامي علاقات الضيافة) ، Hikesios (حامي المتوسلين) .. Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.21

⁹Forsythe,G.,Op.Cit.p.126.

¹⁰Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.23-24.

¹¹Commelin,P.,Op.Cit.p.21.

ارتبط جوبيتر بالأصول الأتروسكية حيث كان يسمى عند الأتروسكيين¹، و كانت وظيفة جوبيتر الأتروري، هي تحذير البشر، وفي بعض المناسبات، معاقبتهم، ولهذا الغرض فهو يمتلك ثلاث صواعق².

بوسعه أن يرمي الأولى وقتما يشاء، كتحذير، ولكن لرمي الثانية، والتي كانت بمثابة إنذار ثان، والثالثة عليه أن يحصل على إذن اثني عشر إلهًا، لتكون الصاعقة الثالثة من أجل العقاب³ من خلال قوته المميزة تحكم في كل القوى السماوية⁴.

يسبق اسم جوبيتر اسم العديد من الآلهة الأخرى، حتى الملوك: مثل جوبيتر - أمون في ليبيا⁵، لقد حمل ألقاب عديدة تتناسب وواجباته المتنوعة: كان جوبيتر لوسيتيوس (Lucetius) إله النور، وجوبيتر إيليسيوس (Elicius) الذي يسبب هطول المطر، وجوبيتر ليبر (Liber) إله القوة الخالقة، وجوبيتر داباليس (Dapalis) الذي يشرف على عملية البذار والزرع، وجوبيتر تير مينوس (Teminus) الذي يرفع أحجار حدود الحقول⁶.

شغل دور مهم في حياة المزارعين لأهمية الزراعة عند الرومان وسائر الشعوب و باعتباره مرسل الرياح والمطر والبرق والرعد ومختلف الظواهر الجوية و كان يعبد جنبًا إلى جنب مع جونو ومينيرفا في معبد الكابيتول⁷، ومع ظهور هذا الثالوث نشهد تطورًا في مستوى الديانة الرومانية وان استوردوا فكرة الثالوث من أسلافهم الأتروسك حيث الثالوث الأتروسكي المعروف⁸.

¹ رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص 111.

² عاطف محمد سعيد الشيباب، تاريخ وأثار الرومان، الأردن، 2011، ص 50.

³ فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 269.

⁴ عاطف محمد سعيد الشيباب، تاريخ وأثار الرومان، الأردن، 2011، ص 50.

⁵ Commelin, P., Op.Cit.p.21.

⁶ فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 269.

⁷ Roman, L., Roman, M., Op.Cit.p.23-24.

⁸ رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص 111.

لعب جوبيتر دور مقسم الخير على البشر¹ غير أنه سرعان ما فقد وظائفه الريفية الزراعية وأصبح حامى المدينة والدولة العظيم، والإله المحارب، ويرمز إلى فضائل العدالة والصدق والشرف وبالمختصر كان القوة الحارسة للعظيمة للإمبراطورية، جوبيتر أو بتيوس ماكسيموس (Optimus Maximus). ويسعد بإرسال الرعد وهو الذي يزمجر في المرتفعات ويشرف على أعمال البشر.²

يصور جوبيتر غالبا على أنه رجل مهيب، ذو لحية، وشعر كثيف، يجلس على العرش. بيده اليمنى يمسك البرق بطريقتين، إما بعلامة مشتعلة من كلا الطرفين أو بألة موجهة إلى كلا الجانبين ومسلحة بسهمين. في يده اليسرى، وعند قدميه نسر بأجنحة ممدودة. والجزء العلوي من الجسم عارٍ والجزء السفلي مغطى،³ وتم تمثيله أيضا بشكل من الذهب والعاج: ظهر الإله جالسا على العرش، وعلى رأسه تاج زيتون، ممسكا بيده اليسرى نصرًا من الذهب والعاج أيضًا، مزينا بشرائط ومتوجة. على يمينه، كان يحمل صولجانًا، في نهايته استراح نسر متلألئ ببريق جميع أنواع المعادن. كان عرش الإله مرصعا بالذهب والأحجار الكريمة.⁴

¹عاطف محمد سعيد الشيباب، المرجع السابق، ص 51.

²فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 268.

³Commelin, P., Op. Cit. p. 21.

⁴Ibid. p. 21.

كان الحكام يتعبدون له قبل قيامهم بمباشرة وظائفهم ، كما كانت مواكب النصر ، يتقدمها قادة الجيوش تحمل الغنائم والأسرى لتقديمها لهيكل الإله جوبيتر لأنه اله الصمود في المعركة الذي يمنح الدولة وجيوشها الصمود في وجه الأعداء.¹ وتشير الأساطير² إلى أن جوبيتر كان كأبي من بني البشر مزاجي الطباع عادلاً أحياناً وظالماً أحياناً أخرى يثور ويرضى ويحب ويكره ويسامح وينتقم و غير ذلك من الصفات البشرية.³

تقدم الأساطير أن جوبيتر تزوج سبع مرات ؛ تزوج على التوالي (Metis) و (Themis) و (Eurynome) و (Ceres) و (Mnemosyne) و (Latona) و (Juno) ، أخته ، التي كانت آخر زوجاته. كما وقع في حب عدد كبير من البشريات ، وولد من بعضهن البعض العديد من الأطفال ، وجميعهم وضعوا في مرتبة الآلهة وأنصاف الآلهة. لذلك كانت سلطته العليا ، المعترف بها من قبل جميع سكان السماء والأرض.⁴

¹ علي عكاشة، المرجع السابق، ص232.

² تروي الأسطورة أن زيوس جوبيتر كان ابن ريا وساتيون الذي التهم أطفاله عندما جاءوا إلى العالم و عندما أرادت ريا إنقاذ طفلها ، لجأت إلى جزيرة كريت ، في مخابأ ديكتي ، حيث أنجبت في نفس الوقت جوبيتر و جونو. وقد رعته ريا عن طريق ارسال حوريتين (Adraste و Ida) ، من جزيرة كريت ، ومع ذلك ، لخداع زوجها ، جعلته ريا يبتلع حجراً مقمطاً. تغذى جوبيتر على حليب الماعز أمالثيا وعسل جبل إيدا في جزيرة كريت. عندما كان مراهقاً ، ربط نفسه بالالهة ميتيس ، الهة الحكمة. بمساعدة إخوته نبتون وبلوتو ، اقترح أولاً خلع والده وإبعاد الجبابرة ، عن طريق حصوله على الملك. لذلك أعلن الحرب عليهم وعلى ساتورن. واشرك في حربه أخوته وأعطى بلوتو الخوذة ، ونبتون رمح ثلاثي الرؤوس بهذه الأسلحة ، هزم الإخوة الثلاثة ساتيون ، وطردوه من العرش ومن مجمع الالهة ، بعد أن أخضعوه للتعذيب القاسي. بعد هذا الانتصار ، قام الإخوة الثلاثة ، الذين رأوا أنفسهم سادة العالم ، بتقسيمه فيما بينهم: جوبيتر لديه السماء ، نبتون البحر ، وبلوتو العالم السفلي. Commelin,P.,Op.Cit.p.19.

³ عاطف سعيد الشيايب، المرجع السابق، ص51.

⁴Commelin,P.,Op.Cit.p.20.

هبط جوبيتر من معبده فوق تل مدينة ألبا لونجا منذ عصر الملوك الأتروسكيين ليسيتر على مجمع الآلهة حاملاً لقبه (الأفضل والأعظم)¹ ثم ارتبط اسمه على نحو فريد بمصير روما، شيدت المعابد لتكريمه بأشكاله المختلفة، وأقيمت مهرجانات تكريمه في التاسع عشر أوت من كل عام، وكان 23 ديسمبر هو تاريخ تحول الظلام إلى نور، والانقلاب الشتوي، وكان جوبيتر يقدر في ذلك اليوم.² عبد جوبيتر في كل أنحاء إيطاليا. في (Quirinal) كان له معبد قديم جداً، (Capitolium Vetus).³ وهو ما يجسد تفوقه في دين الدولة الرومانية⁴ وكانت أكثر القرابين المقدمة له شيوخاً هي الماعز والأغنام والثور الأبيض الذي يتم تذهيب قرونيه إلا أنه لم يعلم أنه تم التضحية بأية قرابين من البشر وكثيراً ما كان الكهنة يكتفون بتقديم الدقيق والملح والبخور.⁵

3-2-1 الإلهة جونو (Juno)

جونو كانت راعية شؤون النساء وحامية الأسرة و إلهة النضج وهي شقيقة زيوس وقرينته. يعرفها الإغريق باسم هيرا (Hera)⁶، ملكة الآلهة وحاكمة السماء وكانت في الأصل ربة القمر ثم أصبحت ربة مختصة بشؤون النساء والزواج و النسوة،⁷ تربطها الأخوة مع الإله نبتون وبلوتو وسيريس وفتسا.⁸

أطلق الرومان اسمها على شهر يونيو جوان، وهو الوقت الذي وصلت فيه المحاصيل إلى مرحلة النضج الكامل لموسم الصيف، خلال العصور التاريخية، كانت جونو تعتبر إلهة للنساء والولادة فقط، لكن دورها في الديانة الرومانية المبكرة لم يكن مقيداً جداً، ربما شمل

¹بارنر جيفري، المرجع السابق، ص 95.

²Bunson, M., Op. Cit. p. 294.

³فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 269.

⁴Forsythe, G., Op. Cit. p. 126.

⁵Commelin, P., Op. Cit. p. 21.

⁶تزوجت هيرا من شقيقها زيوس وأنجبت منه أربعة أطفال: أريس (إله الحرب) وإيليثيا (إلهة الولادة) وهيبي (إلهة الشباب الأبدية) وهيفايستوس (إله النار والصياغة). في بعض المصادر. Roman, L., Roman, M., Op. Cit. p. 203.

⁷عاطف محمد سعيد الشباب، المرجع السابق، ص 51.

⁸Commelin, P., Op. Cit. p. 22-23.

مجالها على نشاط الشباب القادرين على حمل السلاح وبالتالي الدفاع عن الدولة. قد يفسر هذا إدراجها في ثالوث الكابيتول. كانت أيضاً الإله الوصي لمدينة (Lanuvium) اللاتينية ومدينة (Veii) الأترورية اعتمد الأتروسك عبادتها من اللاتين تحت اسم (Uni)،¹ وهو دليل واضح على الارتباط الحاصل بين الثقافتين والشعبين في العصور القديمة.

وقد وجدت عند السابينيين واللاتينيين، و هي المبدأ الأثوي للنور السماوي، الذي كان جوبيتر مبدأه الذكرى، ومثل جوبيتر كانت أيضا إلهة قمرية، وفي مظهرها الأخير هذا كانت قرنت بالإلهة ديانا (Diana) إلهة النور، كانت أيضا إلهة الولادة²، وان كانت أيضا مختصة ومتكفلة بتسهيل الولادة³ ما يبرز دقة وظيفتها لأن الطفل الوليد يؤتى به إلى النور، عندها كانت الإلهة جونو لوشينا (Lucina). وفي هذا المظهر كانت تحنل جزءا مهما في طقوس الزواج وما يليها⁴ وارتبطت جونو بشهر جوان والذي كان يُنظر إليه على أنه وقت مناسب لحفلات الزفاف⁵، وبذلك فهي واحدة من أهم الآلهة في البانتيون الروماني.

لديها العديد من الألقاب : جونو برونوبا (Juno Pronuba) التي تحمي ترتيبات الزواج، وجونو دوميدوكا (Juno Domiduca) التي تقود العروس إلى بيت زوجها وتطمئن إلى أنها تعبر العتبة،⁶ وكان يرمز لها أحيانا بشكل طاووس وتاج إكليل.⁷

طورت العديد من التجسيديات لها بصفتها وصية على الإناث، بصفتها (Matrona) أو (Virginalis)، رافقت حياة كل امرأة، وكان مهرجاناتها العظيم في الأول من مارس كل عام.⁸

¹ Bunson, M., Op. Cit. p. 294.

² فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 269.

³ حسن نعمة، موسوعة ميثولوجية وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، لبنان، 1994، ص 196.

⁴ فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 269.

⁵ حسن نعمة، المرجع السابق، ص 196.

⁶ فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 269.

⁷ عاطف محمد سعيد الشيايب، المرجع السابق، ص 51.

⁸ Bunson, M., Op. Cit. p. 294.

تعددت وظائفها و يرجح أن جونو كانت من الأرواح الحامية للمرأة حيث كانت لكل امرأة أرواح خاصة بها تحميها ، ثم تطورت وأصبحت من آلهة الدولة الرسمية وان هذا العدد الكبير من الوظائف التي كانت تحظى بها الالهة جونو هي في الحقيقة عبارة عن صفات الأرواح حملتها جونو بعد أن تطورت ودخلت إلى مصاف الالهة تذكر الأساطير أنها كانت غيرة شديدة الحساسية ومتكبرة وسريعة الانتقام خاصة في مغامراتها مع زوجها جوبيتر.¹

تطورت أسطورتها إلى العديد من الأشكال. وفقاً للتقاليد الرومانية ، حاولت منع إبحار أينيس من طروادة إلى إيطاليا ، ولكن تم إدخالها إلى روما من قبل مدينة فيبي الأترورية في أوائل القرن الرابع ق.م. وتقول الأسطورة أنها تزوجت جوبيتر شقيقها التوأم، تم الاحتفال بزواجهم في جزيرة كريت،³ و ، وغالباً ما تبرر الغيرة والكراهية لجونو اثر خيانات جوبيتر، و من جانبها ، كان لهذه الالهة الغاضبة مؤامرات عاطفية ، و تأمرت مع نبتون ومينيرفا للتخلص منه، اضطهدت جونو جميع عشيقات زوجها وجميع الأطفال المولودين من حبه غير الشرعي ، هرقل ، أوروبا ، بلاتيا ، و يقال إنها كانت تنفر بشدة من النساء العشيقات.⁴

كانت عبادة جونو تقليدية، وكانت المعابد المخصصة لعبادتها تحت عناوين مختلفة شائعة في جميع أنحاء الإمبراطورية، تمت عبادتها مع جوبيتر ومينيرفا كواحدة من أهم ثلاثة آلهة. دفعت التقاليد الهيلينية هذه الرابطة منذ البداية ، كان جوبيتر مرتبطاً بزيوس اليوناني ، وجونو بهيرا ، ومينيرفا بأثينا.⁵

انتشرت أيضا عبادتها في أرجوس إلى الشمال الشرقي وفي ساموس وهي جزيرة مواجهة لآسيا الصغرى و قرطاج في تونس حالياً، كما وأقيمت لها التماثيل من الذهب والعاج

¹عاطف محمد سعيد الشيباب، المرجع السابق، ص51.

²Bunson,M.,Op.Cit.p.294.

³يقال إن مشاجرات جونو وجوبيتر ليست سوى قصة رمزية: فهي تمثل الاضطرابات واضطرابات الهواء أو السماء. وهكذا ستكون جونو صورة الغلاف الجوي في كثير من الأحيان مضطرباً ومظلماً ومخيفاً. أما بالنسبة لجوبيتر ، فيبدو أنه يجسد الأثير النقي ، وهدوء السماء . Commelin,P.,Op.Cit.p.23.

⁴Commelin,P.,Op.Cit.p.22.

⁵Bunson,M.,Op.Cit.p.294.

وتصّب لها حرية رفيعة طويلة ودرع صغير، ويمثلونها عادة في صور سيدة ذات هيبية و جلال وبالقرب منها الطاووس وهو الطائر المحبب إليها.¹

حملت جونو في يدها ثمرة، وفي اليد الأخرى صولجان، حتى أنها كانت تسمى جونو الملكة؛ إلى جانب ذلك، كانت مغطاة بحجاب كبير من الرأس إلى القدم، كان القربان المفضل لها الشاة الصغيرة؛ وذلك في اليوم الأول من كل شهر، و كان يذبح لها أيضا الخنزير.²

1-2-4 الإله مارس (Mars)

مارس أي المشرق و الساطع، حامي البشر من الحيوانات ومن الشرور وباعث الفرح والسرور³ عرف في بلاد الإغريق في اليونانية أريس⁴ (Ares)، ويعني الشجاع كان مارس ابن جوبيتر وجونو.⁵ إن أصل اسمه مثار جدل فالبعض يربطه بالجزر (Mar) أو (Mas) الذي يعني القوة المولدة في حين أن آخرين يعطون الجزر (Mar) معنى الإشعاع، مما يعني أن مارس كان في البدء إله شمسي، و أقدم صيغ لاسمه هي (Maurus) و (Mavors)، ماورس ومافورس، التي تقلصت إلى الصيغة المعتادة لمارس،⁶ ويعرف أيضا بكونه إله النمو والرجولة والقوة الخلاقة، والذي يبدو أثره لي الحرب، والذي أقيم له معبد خارج بما يفتح في حالة الحرب ويغلق في حالة السلم وتجتمع في ساحته المجالس المنوية.⁷

¹ رؤوف السبهاني، المرجع السابق، ص 168.

² Commelin, P., Op. Cit. p. 23.

³ حسن نعمة، المرجع السابق، ص 267.

⁴ أريس (مارس) إله الحرب الأولمبي. ابن هيرا وزيوس. يظهر أريس في إلياذة هوميروس و تم مطابقة أريس مع إله الحرب الروماني مارس بالنسبة للرومان، كان اريس إلهاً مهمًا، في المرتبة الثانية بعد زيوس في البانتيون الأولمبي. في Theogony لهيسود، أريس هو الابن الوحيد لهيرا وزيوس وشقيق هيبى (إلهة الشباب) وإيليثيا (إلهة الولادة)،

80.-Roman, L., Roman, M., Op. Cit. p. 79

⁵ Commelin, P., Op. Cit. p. 43.

⁶ فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 265.

⁷ علي عكاشة، المرجع السابق، ص 232.

أعتبر مارس بمثابة إله الحرب، والأكثر تقديسا عند الرومان وذلك لخصوصيته الحربية وطبيعة الرومان الحربية أيضا، إلا أنه كان في البداية مرتبطا كذلك بالزراعة والحرب، ومع تطور المجتمع الروماني تغيرت مهامه، لقد عبده الرومان الأوائل وتضرعوا إليه تحت اسم مرمار (Marmar) لكي يقي الحقول من وباء الطاعون ، كما كان بوصفه مارميريوس (Marinurius) هو روح السنة التي تندفع بسرعة بصولجانين منزوعين ثم تعود كسنة جديدة. وكان له كهنة خاصون به وهم الوثابون أو الساليون (Sali) أي الققازون وذلك في الغالب بسبب كونهم يقفزون استجلابا للخير الوفير في محاصيلهم.¹

كانت عبادته مهمة للغاية متفوقة حتى على عبادة جوبيتر، وهذا يعود إلى أن مارس كان مرتبطا على نحو كبير بالتاريخ الروماني، أولا لأن الروايات جعلته أبا رومولوس مؤسس روما، وثانية بسبب وظائفه كإله زراعي، وأخيرا لأنه كان إله الحرب، وبذلك كان ينسجم مع حالتي المواطن الروماني المتعاقبتين، الذي كان مزارعا أولا ثم محاربة غازية.²

غير أن طبيعته كانت أكثر تعقيدا في العصور القديمة. ربما كان في الأصل إله البرية الواقعة خلف حافة مزرعة الفلاح ، ومن ثم كان يُعتقد أنه يمارس سلطته على كل من الأراضي الزراعية والبرية. وبالتالي ، تم استدعاؤه لحماية المحاصيل ومساعدة الأسلحة الرومانية في شن حرب خارج حدود الدولة. تُظهر الصلوات والطقوس القديمة بوضوح شخصيته الزراعية المزدوجة والحربية. يسجل كاتو في حديثه عن الزراعة ، عن الصلاة التي يتبعها الرومان لاستخدامها جنبًا إلى جنب مع طقوس الأضاحي لتطهير أرض مزرعة.³

كانت رموزه هي الذئب ، ونقار الخشب. والحصان ، وتم استدعاؤه في بداية جميع العمليات العسكرية من قبل القائد العام ، الذي حمل الرماح المقدسة في توسعات روما الخارجية

4.

¹بارندر جيفري، المرجع السابق ، ص 94.

²فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 264.

³Forsythe, G., Op. Cit. p. 126-127.

⁴Bunson, M., Op. Cit. p. 352.

أقدم صيغ لأسمه هي ماورس (Maurus) ومافورس (Mavors) ثم تقلصت إلى اسم مارس¹ و كان مارس تحت اسم سيلفانوس بوظائف ريفية في الأزمنة الغابرة مثل تكاثر الماشية كان يعيش في الغابة وفي الجبال،² ما يقودنا إلى حقيقة أن الرومان الأوائل بدأوا العام بشهر مارس ، والذي أخذ اسمه من الإله وشهد عودة الربيع والحياة النباتية، كما لعب مارس دوراً أيضاً في التكهن.³

تمثل الآثار القديمة الإله مارس بطريقة موحدة إلى حد ما ، تحت صورة رجل مسلح بخوذة ورمح ودرع ؛ عارياً أحياناً ، وأحياناً في زي حرب ، حتى مع معطف على الكتفين. أحياناً يلبس لحيته الكاملة ، لكنه غالباً ما يكون بلا لحية ، وأحياناً يحمل عصا القيادة في يده. على صدره نميز بين الراعي ورأس ميدوسا. أحياناً يُركب على عربته الحربية التي تجرها الخيول،⁴ وهناك أسطورة تقول بأن جينون أحست بالغيرة عندما أنجب جوبيتر الإلهة مينرفا دون أن تسهم هي في إنجابها. فقررت أن تحمل وتلد فأشارت عليها الإلهة فلورا أن تلمس زهرة معينة. و أنجبت من هذه الزهرة مارس و وتربى على المصارعة و القتال.⁵

عبد الرومان الإله مارس مع جوبيتر وكيرينوس على الكابتول وهو الثالث الأول قبل أن يتكون الثالث الكابتولي الثاني المتكون من الإلهة جوبيتر وجونو ومينيرفا⁶ و كان له معبد في مدينة روما ويعتبر من أكبر المعابد الرومانية⁷ تم الحفاظ على عبادة مارس من قبل كهنته ، الذين أشرفوا على المهرجانات وجميع الطقوس الدينية تكريماً له⁸ ومنها نص تكريم يقول :

¹ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 114.

² فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 266.

³ Forsythe, G., Op. Cit. p.126 -127.

⁴ Commelin, P., Op. Cit. p.45.

⁵ رؤوف السبهاني، المرجع السابق، ص 172.

⁶ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 114.

⁷ حسن نعمة، المرجع السابق، ص 267.

⁸ Bunson, M., Op. Cit. p.352.

صل مع النبيذ لجانوس وجوبيتر ، وتحدث هكذا. "أيها الأب مارس ، أصلي وأطلب منك أن تكون رحيماً ورحيماً بي ، وبيتي ، وبيتي".¹

في روما كان هناك مذبح (Sacrarium) للإله مارس فوق هضبة البالاتين (Palatine) في روما أثناء حكم رومولوس، وهناك كان يحتفظ برماح الرب المقدسة والتروس الاثني عشر، المدعوة بالأنسيليا (Ancilia)، وهي عناصر عبادته. تحت حراسة مجموعة خاصة من الكهنة سموا بالسالي (Salii).²

كان هؤلاء الكهنة. في كل عام ، في عيد الإله ، يحملون دروعاً ويرتدون سترة أرجوانية ، يسافرون عبر المدينة وهم يرقصون ويقفزون،³ وقد كانت طقوس السالي في الأصل موجهة لحماية نمو النباتات، حيث يظهر مارس كإله زراعي يحتفل به في روما في التاسع والعشرين من مارس،⁴ إلا أن وظائفهم تغيرت بعض الشيء لاحقاً.

امتلك مارس في روما العديد من المعابد كان أشهرها المعبد الذي كرسه أغسطس كإله تحت اسم مارس المنتقم. قدمت فيه الضحايا الحيوانية مثل الثور ، والخنزير ، والكبش ، وفي حالات نادرة الحصان ويذكر أنه تم تكريس الديك والنسر له أيضاً.⁶ قدمت السيدات الرومانيات

¹Forsythe,G.,Op.Cit.p.127.

²فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 267.

³Commelin,P.,Op.Cit.p.44.

⁴فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 267.

⁵قيصر أغسطس : Gaius Julius Caesar Augustus ولد في 23 سبتمبر 63 ق.م، ينحدر والده جايوس أوكتافيوس من بلدة صغيرة جنوب روما. كان أوكتافيوس ثرياً وطموحاً سياسياً، حكم أغسطس لفترة طويلة من 27 ق م إلى 14 م وبعد هزيمة منافسيه في أكتيوم عام 31 قبل الميلاد، وقبل أن يبلغ الثانية والثلاثين من عمره، قاد الإمبراطورية طوال الخمسة والأربعين عامًا التالية، توفي سنة 14 عن عمر يناهز السادسة والسبعين. Strauss,B.,Op.Cit.p.19.

⁶Commelin,P.,Op.Cit.p.45.

له ديكا في اليوم الأول من الشهر الذي يحمل اسمه ، و حتى يوليوس قيصر كان يقدم له الأضاحي قبل القتال، كما كان يتلقى مارس حصته من الغنائم بعد النصر.¹

5-2-1 الإله ساتورن (Saturn)

الإله ساتورن والد الإله جوبتير ، وهو يقابل عند الإغريق الإله كرونوس² مؤسس سلالة الملوك اللاتينيين ، وبالتالي أحد أسلاف الرومان ، كانت زوجته هي أخته (Ops) إلهة الوفرة.³

كان ساتورن إله زرع قديم لأنه حمل إلى روما الزراعة والازدهار حتى أصبح عصره يعرف بالعصر الذهبي،⁴ كان له ذات المرتبة التي كانت لجوبيتر ولجانوس قد يكون لاسمه علاقة بالجزر (Sator)الزارع، وفي كل الحالات هو مرادف للوفرة الساتورناليا (Saturnalia)،⁵ يعتبر ملكا على الالهة والسما قبل أن يقوم جوبتير وأخوته بعزله عن العرش ، وهرب ساتورنوس إلى إيطاليا وحكم هناك ، يرجع الفضل اليه في تعليم الرومان الزراعة وأعطاهم الخصوبة واستمر اسمه موجودا ومرتبنا بيوم السبت (Saturday)⁶ أي يوم الإله ساتورن.⁷

يمثل ساتورن وصدرة نصف عار، ويحمل منجلا في يده، أو كوز ذرة⁸ وكان تمثاله مربوطا بسلاسل لا تنتزع منه إلا في شهر ديسمبر أثناء احتفالات الساتورناليا⁹، كان يمثل غالبا في صورة شيخ هرم ويحمل بيده منجل مما يدل على أنه يسيطر على الزمن، وكان أول

¹ فراس السواح ،2017، المرجع السابق ، ص 266.

² كرونوس (كرونوس) تيتان ، حاكم الالهة قبل زيوس. ابن أورانوس وغايا. زوج وشقيق ريبا. والد هيسيتيا وديميتر وهيرا وهاديس وبوسيدون وزيوس. Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.121.

³ Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.121.

⁴ علي عكاشة، المرجع السابق، ص 232.

⁵ فراس السواح ،2017، المرجع السابق ، ص 274.

⁶ يستخدم الاسم Saturday في اللغة الانجليزية للدلالة على يوم السبت حاليا .

⁷ حسن نعمة ، المرجع السابق، ص 223.

⁸ فراس السواح ،2017، المرجع السابق ، ص 275.

⁹ تم الاحتفال بالمهرجان الروماني Saturnalia في السابع عشر من ديسمبر تدوم سبعة أيام، من السابع عشر وحتى الثالث والعشرين من ديسمبر Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.121.

وظائفه حكمه جبل الألبوس والعالم وتغيرت وظيفته إلى رعاية الزراعة والخصوبة بعد ان طرده ابنه الإله جوبتير من جبل الألبوس وذهب إلى إيطاليا.¹

يقع المعبد المكرس لهذا الإله على تل الكابتول² مقرا للخزانة العامة بالإضافة إلى رايات فيالق الجيش بني في أوائل القرن الخامس ق.م، يعتبر أحد أهم المعالم الرئيسية في روما،³ وفي أيام احتفالاته يتبادل الرومان الهدايا ، ويتناولون الطعام ، ويشربون الشراب ، ويرتدون بدلات ترفيهية بدلاً من التوجا ، ويقامرون ، وكانت تعلق النشاطات العامة، وتتوقف المحاكم عن عملها، وتعلق العمليات التجارية والعسكرية. في معبد ساتورن بالقرب من الكابيتول.⁴

6-2-1 الالهة فستا (Vesta)

فستا هي هستيا الإغريقية⁵ هي إلهة النار، أو النار نفسها وتعني اللفظة موقد البيت⁶ أو إلهة الموقد. ابنة جبابرة كرونوس وريا. كانت هستيا مرتبطة بالأسرة. كانت إلهة عذراء ، مثل أرتيميس وأثينا ، محصنة ضد الحب. جسدت هستيا الموقد وارتبطت عمومًا بالمنزل والأسرة ، لكن ليس لديها أساطير خاصة بها تم دمج الالهة الرومانية فستا مع اليونانية هستيا،⁷ وتعود عبادتها إلى آسيا الصغرى تم تكريمها في مدينة طروادة أيضا، قبل وقت طويل من خرابها ، ويعتقد أن إينياس هو الذي جلب عبادتها ورمزها إلى إيطاليا ، و بدأت طقوسهم بتضحياتهم وأنهوها بتكريم فستا ، واستدعوها أولاً قبل كل الالهة الأخرى.⁸ ويختمونها بترانيم تمدح فستا.⁹ رجعوا للتقاليد الرومانية، تم تقديم عبادة فستا من قبل الملك نوما ، الذي أحضرها

¹رمضان عبد الرزاق مختا، المرجع السابق، ص108.

²خزلع الماجدي، المرجع السابق، ص 222.

³Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.121.

⁴فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 275.

⁵ هستيا (Vesta) أولى بنات خرونوس وريا غالت الأساطير في تمسكها بعذريتها وقد بجلها زيوس وكانت الهة الموقد العام والخاص فكانت تشعل من نارها المستعمرات والمنازل الخاصة وكانت تعبد في كل المنازل الإغريقية داخل بلاد اليونان وخارجها . عاطف محمد سعيد الشياح، المرجع السابق، ص55.

⁶رؤوف السبهاني، المرجع السابق، ص169.

⁷Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.223.

⁸Commelin,P.,Op.Cit.p.26-27.

⁹رؤوف السبهاني، المرجع السابق، ص169.

إلى روما من لافينيوم¹، وهو نفس الموقع الذي جلب فيه إينياس النار المقدسة و الإلهة المنزلية. باعتبارها إلهة النار المقدسة.²

ذلك بعد أن جعل اللاتينيون فستا إلهة تجسد الأرض والنار، احتفظ الرومان بالشق الثاني فقط، ولم تكن فستا إلهة النار في معناها الأوسع، إنما كانت في البداية مختصة بالنار المطلوبة للاستعمال المنزلي أو في الطقوس الدينية وكانت على صلة مع جانوس باتر (Janus Pater) وتيلوس ماتر (Tellus Mater) وكانت حامية الحقول المزروعة، كما كانت رمزا للأومة على الرغم من كونها عذراء، كانت تحضى بنوع من التبجيل والأهمية خاصة وعامة.³

صفاتها الجمال والحسن بين كل الإلهة الرومانية، مشعة وصافية مثل اللهب الذي هو رمزها، اسمها مشتق كاسم هيستيا (Hestia) من الجذر السنسكريتي: (Vas)،⁴ الذي يعبر عن فكرة الشعاع الذي يشكل جزء منها⁵، وقد حملت الكثير من الألقاب فهي فستا المقدسة، الأبدية، السعيدة، القديمة، فستا الأم، المقدسة، نسبة إلى نارها والتي وقد كانت تحت حراسة وصيانة العذارى الصغار.⁶

يعتبر معبدها من أقدم المباني في المدينة حيث يعود بناء أول معبد إلى عام 715 ق.م، غير أن هذا المعبد دمر وأعيد بنائه عدة مرات⁷ وكان معبد فستا يبنى. بشكله المستدير على عكس المباني المقدسة المتعامدة في وقت لاحق. قد يكون شكله يقلد شكل أكواخ القش البدائية للرومان

¹ لافينيوم مدينة تقع، على بعد 6 كيلومترات إلى الجنوب من روما،

²Bunson,M.,Op.Cit.p.575.

³فراس السواح،2017،المرجع السابق، ص 272.

⁴خزعل الماجدي،المرجع السابق، ص 234.

⁵فراس السواح،2017،المرجع السابق، ص 271.

⁶Commelin,P.,Op.Cit.p.27.

⁷حسن نعمة،المرجع السابق،ص252.

الأوائل، يرجع بناء المعبد في روما إلى نوما بومبيليوس في وسط هذا المعبد ، تم الحفاظ على النار المقدسة بحرص شديد² حيث كان يُنظر إليها على أنها تحفظ إمبراطورية الرومان وسلطتهم و إذا انطفأت هذه النار.³

ويجب إشعالها من جديد بأشعة الشمس ، بواسطة نوع من المرايا ، كان يتم تجديدها كل عام ، في اليوم الأول من شهر مارس ، لم يكن لدى فستا ، العذراء ، صورة أو رمز آخر غير النار المقدسة وأحيانا تمثل وهي تمسك بيدها اليمنى مصباحًا ، أو مزهرية بمقبضين ، وأحيانًا تحمل رمحًا⁴ كانت فستا إلهة ذات أهمية كبيرة للرومان، و يعتقد أن شعلتها تضمن أمن روما.⁵ يحتوي كل منزل على موقد خاص بها ، حيث يتم تناول الوجبات، وكانت عبادتها تدوم طوال السنة تقريباو تم تكريم فستا أيضا من قبل الدولة⁶ في أعياد خاصة.⁷

من خلال ايقاد شعلة في معبدها ،ويقوم القناصلة والقضاة بتقديم القرابين قبل الشروع في أعمالهم،⁸ ظلت في المخيلة الرومانية حاضرة جنبًا إلى جنب مع شجرة الغار المقدسة و

¹Forsythe,G.,Op.Cit.p.132.

² فراس السواح ،2017،المرجع السابق ، ص 273.
³ إن تركت عذراء فستا النار المقدسة تطفأ كانت جلد بأمر من الحبر الأعظم وعندما تنتهي عذراء فستا ارتباطها الذي يدوم ثلاثين عاما يصبح في وسعها أن تتزوج، ونادرا ما استقطن من هذا الحق، مفضلات أن يحافظن على مكانتهن. و لا يوجد الكثير من تماثيل فستا. وجدت صورتها على قطع نقدية، وهي في معظمها تقليد للفن اليوناني. وتظهر مغطاة الشعر دوما.فراس السواح ،2017،المرجع السابق ، ص 273.

⁴Commelin,P.,Op.Cit.p.26-27.

⁵Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.233.

⁶فراس السواح ،2017،المرجع السابق ، ص 272.

⁷ كان اليوم الاحتفالي لمعبد فستا في 15 جوان إلى الديانة الرومانية القديمة إلى استعداد المجتمع للاستفادة من موسم الحصاد الصيفي. Forsythe,G.,Op.Cit.p.132.

⁸يتم إحياء الشعلة عن طريق المرايا الحارقة والأشعة الشمسية أو بالطريقة القديمة لإشعال قطعة من اللحاء من شجرة فاكهة واستخدامها لإعادة إشعال شعلة المعبد وتسير نساء روما حافيات الاقدام إلى معبد فستا ويطلبن بركات الالهة المحتوية على تضحيات خاصة. بعد بضعة أيام يتم تطهير المعبد ،كما كانت هناك طقوس تطهير يومية. كانت فستا جزءًا من البانتيون الروماني حتى عام 382 م ، عندما ألغها الإمبراطور غراتيان وأغلق معبدها.

Bunson,M.,Op.Cit.p.575.

الموقد،¹ وانتشرت دور عبادتها في كورنثوس (Corinth)²، ولكن بدون أي تماثيل؛ يرى المرء فقط في وسط هذا المعبد مذبحًا للذبايح التي قدمت للإلهة، كما عرف أن لديها أيضًا مذابح في العديد من المعابد المخصصة للإلهة الأخرى، مثل دلفي وأثينا وتينيدوس وأرغوس وميليتوس وأفسس،³ وكانت أعمال المعبد وطقوس العبادة من اختصاص عذراوات فستا، اللواتي لعبن دورا بالغ الأهمية في الطقوس الدينية الرومانية.⁴

1-2-7 الإله فولكان (Vulcan)

يقال أنه ينسب إلى كل من الإلهين جوبتير وجونو، عرفه اليونان باسم هفايستوس (Hephaestos)⁵ إله النار بجميع أشكالها الطبيعية والتي يوقدها الإنسان والطبيعة وهو حدادا الإلهة باعتباره يمثل الحدادين وإله المطرقة والنار وأيضا الحرفيين والنحاتين، يقترن في بعض الأحيان مع أثينا.⁶ والإبطال الأسطوريين،⁷

¹Bunson,M.,Op.Cit.p.575.

²كورنثوس مدينة يونانية قديمة تقع حاليا في وسط جنوب اليونان .

³Commelin,P.,Op.Cit.p.26.

⁴فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 272.

⁵هيفايستوس هو شخصية بارزة بين الإلهة الأولمبية. فإن أعمال هيفايستوس، موصوفة بشيء من التفصيل في الإلياذة والإنياداة وعلى هذا الحساب يتم غناء مدح هيفايستوس في ترانيم هوميروس. بنى هيفايستوس قصورا لا تصدق على جبل أوليمبوس لنفسه وللإلهة الأولمبية، ودروعا رائعة للإلهة والأبطال الفانيين، كان ابن زيوس وهيرا، لكن عند هسيود، ولد من هيرا. كان يُعرف هيفايستوس باسم "الأعرج"، إما لأنه ولد بنتشوه أو بسبب حادثة وقعت في طفولته حيث طرده زيوس أو والدته من أوليمبوس، ألقته والدته هيرا إلى الأرض. Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.201.

⁶Ibid.p.201.

⁷عاطف محمد سعيد الشباب، المرجع السابق، ص 55.

كان فولكان أول رعاة إنشاء روما¹ وارتبط قديماً بالهة الأرض وكان إلهها لنهر التيبير، تحت اسم فولتورنوس (Volturnus) أحد أسماء النهر المقدسة، ويعتقد أن أصله أتروسكي.² ويقال انه قوي البنية ولكن أعرج وقبيح ويرتدي ملابس الحدادين، وكان يرمز له بالمطرقة، لم تكن له مراكز عبادة هامة³ مر بتطورات كثيرة فقد كان في البداية كما ذكرنا سابقاً إلهها لنهر التيبير، ثم أصبح إلهها للصواعق ثم بعد ذلك أصبح إلهها للشمس ثم إلهها للنار، كما أنه امتلك وظائف حربية وربما تقدم على مارس كاله للمعارك ومن رموزه المطرقة والسندان.⁴ ومن الأسماء المستعارة الأكثر شيوعاً التي تُعطى هي اللامع، الأعرج (Amphigyéis) (الذي يعرج على القدمين).⁵

يظهر فولكان في التماثيل ملتحيًا، وشعره مهمل قليلاً، ونصفه مغطى برداء ينزل إليه إلى فوق الركبة، مرتدياً قبعة مستديرة ومدببة. يحمل في يده اليمنى مطرقة وفي يده اليسرى كماشة، على الرغم من أنه، كان أعرجًا، إلا أن الفنانين اخفوا هذا العيب أو عبّروا عنه بالكاد، وهكذا قدم نفسه واقفاً، لكن دون أي تشوه ظاهر.⁶

¹لم يكن أصل فولكان واضحاً أبداً، باستثناء أنه كان قديماً، وربما وصل إلى روما عبر الأترويين وعبر البحر الأبيض المتوسط. لم يكن روماني الأصل. إلا بعد أن تم استقدامه في مجمع الالهة الروماني وذلك تحت تأثير الديانة اليونانية ليُدخل في البانثيون الروماني، واستحوذ فولكان على جميع خصائص هيفايستوس. وهكذا كان يُنظر إليه على أنه الحداد العظيم للالهة كانت قوته معروضة دائماً في براكين إتنا أو فيسوفياس. . Bunson,M.,Op.Cit.p.590.¹

²عاطف محمد سعيد الشيباب، المرجع السابق، ص 55.

³نفسه، ص 55.

⁴رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص 115.

⁵Commelin,P.,Op.Cit.p.39.

⁶Ibid.p.39.

يذكر الشعراء أن مسكنه في إحدى جزر إيولايان¹ ، مغطاة بالصخور ، تعلو قممها زوابع من الدخان واللهب من اسم هذه الجزيرة ، التي كانت تسمى سابقاً (Volcanie) ، واشتقت كلمة بركان (Volcano) بالإنجليزية اليوم منها .²

الأساطير حول هذا الإله غير مكتملة و تتسم بالضبابية عند الرومان ، مثل الخلاف في نسبه إلى جوبيتر وجونو ، حيث يقال إن جونو أنجبته وحدها بواسطة الرياح³ و خجلت الالهة من إنجاب مثل هذا الابن المشوه ، وألقته في البحر ، ليبقى مختبئاً إلى الأبد في الهاوية⁴ وذلك بالدرجة الأولى راجع لشكل القبيح والأعرج القدمين⁵ وذلك اثر سقوطه من السماء في جزيرة ليمنوس و في هذا السقوط الرهيب ، كسر كلتا ساقيه ، وظل أعرجاً إلى الأبد⁶ ويؤكد شيشرون أن فولكان كان اله أعرج⁷ تدخل الإله باخوس للدفاع عنه عند جوبيتر و تم استدعاء فولكان إلى السماء واستعاد رضى جوبيتر ، مما جعله يتزوج أجمل الالهة وأكثرها إخلاصاً ، فينوس ، آلهة الحب.⁸

جلب رومولوس عبادة فولكان إلى روما، وتم العثور على معبده حوالي 214 ق.م،⁹ وسمي معبده الفولكنال¹⁰ كما كان لهذا الإله العديد من المعابد في روما ، ولكن خارج الأسوار

¹الجزر الايولية وهي أرخبيل بركاني تقع في البحر الأبيض المتوسط جنوب إيطاليا و شمال صقلية ،معروفة بنشاطها البركاني في السابق وهو ما يفسر ربطها بالإله فولكان

²Commelin,P.,Op.Cit.p.39.

³رمضان عبد الرزاق مختاط ،المرجع السابق،ص115.

⁴Cicero De Natura Deorum,Vol Xix ,21,Penelope.Uchicago.Edu,p.339.

⁵عاطف محمد سعيد الشيايب، المرجع السابق ،ص 55.

⁶Commelin,P.,Op.Cit.p.38.

⁷Cicero De Natura Deorum,Vol Xix ,21,Penelope.Uchicago.Edu,p.339.

⁸Commelin,P.,Op.Cit.p.38.

⁹Bunson,M.,Op.Cit.p.590.

¹⁰خزعل الماجدي ،المرجع السابق، ص 242.

التي قيل أن من بناها هو رومولوس. وقدمت له الذبائح ، وكانت تقدم له بعد حرقها بأكملها بالنار ؛ وكانت من بين الحيوانات المفضلة له الكلب والأسد.¹

أقيم على شرفه مهرجان ، سمي مهرجان الصيادين ، حيث اشتمل على عرض الأسماك التي يصطادها الصيادون من نهر كنوع من الهدايا المقدمة في المهرجان ويتم إلقاء الأسماك الحية في نار فولكان بغاية تجنب غضبه،² واختير شهر أوت للتعبير عنه وذلك لحرارة الصيف الحارقة تكريماً لإله النار ، أو بالأحرى اعتبار النار هي الإله نفسه وتستمر هذه المهرجانات ثمانية أيام متتالية.³

8-2-1 الإله مركوري (Mercury)

ميركوري إله السفر والتجارة ، إله روماني ابن جوبيتر ومايا ، أطلق عليه الإغريق اسم هيرميس (Hermes)⁴ ، أي مترجم أو رسول، جاء اسمه اللاتيني من كلمة (Merces) ، أي بضائع، وهو رسول الآلهة⁵، معروفاً أيضاً باسم الرسول المجنح لجوبيتر⁶ دخلت عبادته إلى روما متأخرة، أقيم له معبد حوالي عام 495 قبل الميلاد، كان له عدة تجسيدات، تبناه التجار راعياً لهم ، وقدموا له التضحيات لضمان رحلات آمنة وتجارة وافرة، على الرغم من أنه لم يكن له تاريخ احتفال في "تقويم روما" ، إلا أن يومه الخاص كان الخامس والعشرين من ماي.⁷

¹Commelin,P.,Op.Cit.p.39.

²Bunson,M.,Op.Cit.p.590.

³Commelin,P.,Op.Cit.p.39.

⁴ هيرميس شخصية شابة ومخادعة في البانثيون الأولمبي. سمات هرمس هي عصا (صولجان) ، وقبعة عريضة الحواف (بيتاسوس) ، ومحفظة ، وصندل مجنح بعصاه سحرية. يمكن أن يؤدي إلى النوم أو الاستيقاظ من النوم. يرتبط Hermes بالوساطة وعبور الحدود. بصفته رسول الآلهة ، يُنسب إلى هيرميس أحياناً أنه اخترع الكلام و كونه مبشر للآلهة الأولمبية. ابن مايا وزيروس اعتبر إله الرحالة الأولمبي والازدهار (التجارة) واللصوص والخصوبة كان هرمس هو مركوري في النسخة الرومانية 220.-.Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.220.

⁵Commelin,P.,Op.Cit.p.40.

⁶Bunson,M.,Op.Cit.p.365.

⁷Ibid.p.365.

لمركوري العديد من الصفات والوظائف التي يتشارك فيها مع الإله هرمس اليوناني ، حيث يعتبر قاضيًا للمسابقات ، وصديقًا للبشر ، ومخادعًا ، وماهرًا في الكلام.¹ يخدم الالهة بحماس لا يكل و لا يمل، ولذلك اعتبر رسول الالهة² حيث يتراأس الألعاب ، والتجمعات ، ويستمتع إلى الحفلات ، يقود أرواح الموتى إلى الجحيم ؛يحضر معاهدات التحالف ويقرأها ويصادق عليها.³ عادة ما يتم تمثيل مركوري في يده غصن زيتون وهرأوة ، رمزان وأحياناً صولجانان ، أحدهما للدلالة على السلام ،كونه مفيداً للتجارة ، والآخر القوة والفضيلة ،⁴ يتشابهك الصولجان مع اثنين من الثعابين، عادة ما يتم تصويره على أنه شاب ذو وجه وسيم ، وخصر واضح ، وأحياناً عارٍ ، وأحياناً يرتدي عباءة فوق كتفيه .⁵

تقول الأسطورة أن مركوري تم إرساله من قبل جوبيتر ليتم له مهماته ، و لقد أوكلت إليه الالهة أيضا العديد من الوظائف و كما قيل ، هو الذي اخترع الأحرف الأولى في الكتابة ، ونظم انسجام الجمل ، وفرضها. أسماء على عدد لا نهائي من الأشياء ، والممارسات الدينية المعمول بها في روما ، كما قام بتعليم الرجال المصارعة والرقص وبشكل عام جميع تمارين الملعب التي تتطلب القوة والنعمة، أخيراً كان مخترع القيثارة ، التي وضع عليها ثلاثة أوتار ،⁶ وتعتبر بعض الروايات ميركوري ولدا للارات الذين يحمون الطرق ، كما تم دمج مع الإله الإغريقي هرمس وأخذ كل أساطيره .⁷

¹Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.220-221.

²خزعل الماجدي ،المرجع السابق، ص 243.

³Commelin,P.,Op.Cit.p.40.

⁴Commelin,P.,Op.Cit.p.42.

⁵خزعل الماجدي ،المرجع السابق، ص 244- 245.

⁶Commelin,P.,Op.Cit.p.41-42.

⁷Jones ,L.,Encyclopedia Of Religion ,2ed ,T01, Usa, 2005,p.117.

شيد معبد باسمه في القرن الخامس ق.م في روما،¹ فوق تل الأفينتين (Aventine)² واحتفل التجار بعيدًا على شرفه في الخامس عشر ماي ، وهو اليوم الذي تم فيه تكريس معبد له في روما. خصص له يوم الأربعاء كيوم مميز له³، ومن بين الحيوانات المقدسة عند مركوري كان الديك هو الحيوان المجل. ⁴

9-2-1 الالهة مينيرفا (Minerva)

مينيرفا معروفة لدى الإغريق باسم أثينا (Athena) ⁵ ، وتحتل مرتبة هامة خلف جوبيتر وجونو ، ولدت مينيرفا مكتملة التكوين ، وخرجت من رأس جوبيتر كانبثاق له،⁶ تعتبر من الالهة المغتربة أو المهاجرة، ومن أبرزها الالهة الإيطالية الأتروسكانية ، إلهة المهارة الفنية التي ارتبطت مع جوبيتر وجونو في ثالوث الكابتول.⁷

و يرتبط اسم مينيرفا بالجزر (Manas) أو (Mens)، وقد ظهرت اولاً في إتروريا باسم (Menrva)، ولربما كانت في البداية إلهة الصاعقة، يبدو أن مينيرفا الإتروريين قد امتزجت باكراً جداً بأثينا اليونانية، وبذلك تكون إلهة دخيلة وليست أصيلة المنطقة ⁸.

¹Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.220-221.

²فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 276.

³Commelin,P.,Op.Cit.p.42.

⁴فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 276.

⁵ أثينا (مينيرفا) إلهة الحكمة والحرب الأولمبية، تظهر أثينا من خلال إلبادة هوميروس والأوديسة، تم دمج الالهة اليونانية أثينا في وقت لاحق مع الرومانية مينيرفا ، التي ارتبطت بالمثل بالذكاء والحرب. في بعض الروايات ، كانت أثينا ابنة

Metis (تجسيداً للذكاء) أحد جبابرة ، والزوجة الأولى لزيوس. Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.91.

⁶Bunson,M.,Op.Cit.p.370.

⁷بارندر جيفري، المرجع السابق ، ص 96.

⁸Bunson,M.,Op.Cit.p.370.

حمت مينيرفا التجارة والصناعة ، وكانت هي المتكفلة بها ولم تتخذ شخصية الالهة المحاربة إلا فيما بعد، ومع تقدم المفاهيم الدينية الرومانية أخذت عبادة مينيرفا تتقوى¹ وقد لقيت بأسماء كثيرة منها ذات الوجه الحسن (Glaucopis) والعذراء (Parthenos)، وكان يرمز لها بطائر البومة رمز الحكمة والمعرفة في بلاد الرومان القديمة².

كانت مينيرفا عند الرومان تصور بجناحين وتحمل بومة في يدها،³ كما صورت أيضا بخوذتها اللامعة ، ودرعها ، وذراعها ، ورمحها ، وذلك لكونها المسؤولة عن الحماية في معارك الرومان، وكانت تراقب شجاعة الرجال ومهارتهم وسلوكهم. غالبًا ما يتم التضحية لها بالبضائع التي تم الاستيلاء عليها من العدو⁴ وتصور بقامة طويلة ترتدي ثوبا فضفاضًا طويلًا وتضع على صدرها تروسًا وتلبس على رأسها خوذة في يدها رمح وفي اليد الأخرى علامة النصر وكانت تحمل أيضا رداءا وكانت ملامح الربة مينيرفا خالية من الأنوثة ، وتقدم لها الذبائح من الثيران والأبقار،⁵ التي توزع لحومها على الشعب من قبل الكهنة.⁶

خلقت مينيرفا وفق للأسطورة⁷ على يد جوبيتر الذي ابتلع ابنه بسبب التهديد المحتمل بالخلافة الذي قد يمثله وعلى أثره شعر بصداع لا يحتمل فلجأ إلى فولكان ليقوم بضربه بفأس ، شق رأسه، لتخرج من جبينه مينيرفا مدمجة بالسلاح ومرتدية خوذة.⁸

¹فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 275.

²عاطف محمد سعيد الشباب، المرجع السابق ،ص 51.

³فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 275.

⁴Bunson,M.,Op.Cit.p.370.

⁵Jones ,L.,Op.Cit.p.116.

⁶Commelin,P.,Op.Cit.p.25-26.

⁷ تتماثل أسطورة أثينا اليونانية مع أسطورة مينيرفا ولذلك نجد التشابه في كل من الأسطورتين حيث تقول الأسطورة أن أثينا تنازعت مع آريس ، الإله المرتبط بالحرب ، في بعض الأساطير ، دخلت أثينا وآريس في صراع. أثناء حرب طروادة ، أصيب آريس على يد أثينا بإلقاء حجر على رقبته أطاح به أرضًا، وقفت أثينا فوق آريس وهي تضحك وتتفاخر بتفوقها كمحاربة، . . Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.91.

⁸Commelin,P.,Op.Cit.p.24-26.

وفي سن مبكرة سمح لها بمساعدة والدها في حرب العمالقة حيث تميزت وبرزت فيها شجاعته¹، كما تروي الأساطير عن بعض قواها الخارقة مثل تحويل أعدائها إلى حجر حين تغضب منهم ، وارتبطت منيرفا بحيوانات منها البومة وحتى الأشجار وخاصة شجرة الزيتون.²

حصلت مينيرفا على مصلى خاص في معبد جوبيتر، وتقاسمت الصرح العظيم مع جوبيتر وجونو، في معبدهما في مبنى الكابيتول كان مهرجان كوينكواتريا (Quinquatria) الذي يدوم خمسة أيام، غير مرتبط بمينيرفا إلا انه أصبح مرتبطاً بعبادتها على مر السنين،³ كانت هذه المهرجانات في الأصل تستمر يوماً واحداً فقط ، ولكن بعد ذلك زادت مدتها، كان تتخللها ممارسات متعلقة بالجنس والمصارعة والشعر أو الموسيقى.⁴

1-3 دور العبادة عند الرومان

1-3-1 المعابد الرومانية

برزت المعابد عند الرومان كمظهر من المظاهر العمرانية والثقافية والدينية لهم، وبرعوا في تشييدها منذ العهود الأولى مستلهمين بعض الخصائص ممن سبقهم من الإغريق والأثروسكيين، ونظرا لدور المعابد الهام في حياة الرومان فقد أمنوا بضرورة أن تكرر لها الإمكانيات والموارد لتشييدها وترميمها والعناية بها من قبل الحكام، على مر التاريخ الروماني منذ المرحلة الملكية إلى غاية الفترة الإمبراطورية .

¹Commelin,P.,Op.Cit.p.24-26.

²Roman,L., Roman,M.,Op.Cit.p.91.

³Bunson,M.,Op.Cit.p.370.

⁴Commelin,P.,Op.Cit.p.25-26.

اعتقادهم ذلك بأهميتها ينطلق من تصورهم الديني الذي يقوم على أن كل أسرة يجب أن تقوم بالطقوس الواجبة تجاه الإله وأن تحمل إليه الزيت والشحم والخمر والبخور في المعبد، فيتصاعد اللهب من الموقد ويسطع كأنه منبعث من الضحية،¹ وللحصول على الرضا الإلهية، كان من الضروري على الأقل الصلاة، حيث أثناء الوقوف، تتقلب راحتي اليدين لأعلى من أجل آلهة السماء وإلى الأسفل من أجل آلهة العالم السفلي؛ هذا هو موقف المصلي. تم العثور على القرابين الحيوانية² لتكون العبادة أكثر تقرباً للاله وللقبول حيث تقسم الاضحية بواسطة الكاهن إلى قسمين: المؤمنون يأكلون ما هو صالح للأكل و يحرق الباقي للاله، و تم توثيق عدد قليل من الحالات التي، تم حرق الحيوان بأكمله.³

كانت المعابد في بادئ الأمر بسيطة تتكون من غرفة واحدة فيها صورة الإله وأمامها هيكل ومذبح تمارس أمامه العبادة، ثم أصبح الرومان يعنون ببناء معابد كبيرة ضخمة،⁴ إذ أن كلمة (Templum) التي صارت تعني معبدا فيما بعد، ترجع إلى الأصل الأتروسكي وتدل على حيز محدد في السماء يحدده الكاهن لاستطلاع الفأل، وفيما بعد صارت تعني مسقط.⁵

كانت المعابد الرومانية خلال القرن السادس ق.م متأثرة بالمعابد الأتروسكية، لقد صمم الرومان معابدهم لتكون في موقع هام في المدينة واهتموا بتصميمها الداخلي والخارجي،⁶ شيدت على منصة عالية على عكس المعابد اليونانية و، كانت المعابد مشيدة من مواد مثل

¹ اندريه ايمار، تاريخ الحضارات العام روما وإمبراطوريتها، تر، يوسف أسعد داغر، مج 2، لبنان، 1981، ص 204.

² كشفت الحفريات الأثرية الحديثة في المواقع المقدسة القديمة عن أشياء صغيرة لا حصر لها من الطين أو المعدن تم إيداعها كقرابين من قبل أشخاص عاديين مقابل بعض الآلهة التي تمنح لها صلواتهم.، كانوا من المقايضة أو عن امتنانهم للعمل الإلهي. لم يكن عبدة الرومان ينظرون إلى أنفسهم على أنهم يطالبون أو يبتزون الفوائد من الآلهة بدلا من ذلك، قطعوا نذورهم بتواضع. Forsythe, G., Op.Cit.p.144.

³ Le Bohec, Y., Op.Cit.p.24.

⁴ علي عكاشة، المرجع السابق، ص 233.

⁵ فراس السواح، 2017، المرجع السابق، ص 258.

⁶ عاطف محمد سعيد الشيايب، المرجع السابق، ص 58.

الخشب والحجر وتطورت لاحقا باستخدام مواد أخرى لتصبح أكثر جمالا وتناسقا مثل الرخام وغيرها ، كما كان يُمنع دخول المعبد باستثناءات ، لأنه كان مسكن الإله.¹

ويبدو أن الرومان عرفوا بناء المعابد منذ فترات بعيدة ، ففي سنة 575 ق.م شيد معبد للإلهة فستا بشكل دائري ، و في عدد من المناطق المقدسة قرب نهر التيبر ، كانت المعابد تبني من الخشب وتعلوها تزيينات منفذة بالطين المشوي، وقد بلغت العمارة أوجها في معبد الثالوث الكابيتول،² و عرفنا من العمارة الرومانية نمطين من المعابد وهي المعابد المستطيلة والمعابد المستديرة ، و قام الرومان ببناء معابدهم على مصطبة مرتفعة (Podium) يصعد إليها بواسطة درج موجود في القسم الأمامي من المعبد.³

عمد الرومان لبناء المعابد فوق التلال في الغالب بغاية إضفاء سمة القداسة والهيبة والتي اعتبرت أماكن نزول الالهة ومكان إقامتها على الأرض ، لذلك وجب تقديسها ، كما اتصفت معابدهم بقلّة الزخارف والبساطة ومن المعابد ذات التصميم المستطيل معبد فينوس Venus في روما أما النوع الثاني، المعابد المستديرة مستدير التخطيط وتحيط به الأعمدة على شكل دائرة ومن أهم الأمثلة على هذا النوع من المعابد الذي نجده في مدينة روما مثل: معبد البانثيون (Pantheon) ومعبد فستا.⁴

1-3-2 دور المعابد في الفترة الإمبراطورية

عرفت الفترة الإمبراطورية (أنظر الملحق 01) بشكل واضح عملية تكريم الإمبراطور والأباطرة المؤلهين في نفس الوقت الذي تم فيه تكريم أصحاب المعابد و تم التعبير عن هذا الارتباط من خلال المصليات والمذابح الثانوية ، والتي وجدت في معظم أماكن العبادة، لقد

¹Le Bohec ,Y.,Op.Cit.p.25.

²فراس السواح، 2017، المرجع السابق ، ص 258.

³خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 145.

⁴عاطف محمد سعيد الشيباب، المرجع السابق، ص 58.

سار تجديد المعابد مع تجديد الشعائر الدينية في خطين متوازيين¹، ما يعطي دلالة واضحة على المكانة الهامة التي خصت بها المعابد الرومانية في ترسيخ الديانة الرومانية في نفوس مستقبلها. وشهد القرن الثالث الميلادي حركة كبيرة في بناء المعابد في الإمبراطورية الرومانية و أدخلت روما آلهة جديدة في البانثيون و اكتسبت الالهة القديمة سمات جديدة وسمح تدفق الثروة بسبب التوسعات العسكرية ببناء منشآت جديدة، خاصة خلال السنوات 260 م-328م، وكان هناك ما لا يقل عن اثني عشر معبداً جديداً في روما وحدها، حتى لو لم تتخذ هذه المعابد أبعاداً مماثلة لتلك الموجودة في العصر الجمهوري، فإنها مع ذلك احتلت جزءاً كبيراً من المساحة العامة².

كان الحكام والأباطرة الرومان يولون أهمية بالغة في سياستها للتكفل بترميم وإنشاء المعابد وذلك للدور الهام الذي تلعبه يقول تسييتوس أنه : كرست الجهود لبعض معابد الالهة ، التي هلكت من العمر أو من النار ، والتي بدأ أغسطس في ترميمها وكانت هذه معابد ليبر وليبرا وسيريس بالقرب من السيرك العظيم، والتي كان آخرها أولوس بوستوميوس ، عندما أقسم الديكتاتور ؛ معبد لفلورا في نفس المكان، والذي بناه لوسيوس وماركوس بابليسيوس ، وديليس ، ومعبد ليانوس ، الذي أقامه كايوس دويليوس ، الذي كان أول من جعل القوة الرومانية ناجحة في البحر والفوز بانتصار بحري على القرطاجيين. تم تكريس معبد للأمل من قبل جرمنيكس ؛ كان هذا قد تعهد به أتيلوس في نفس الحرب.³

رمزت المعابد إلى تدين الناس وانتصاراتهم، لأن عددًا كبيرًا جدًا منها تم بناؤها أحيانًا بناءً على رغبة بعض القادة العسكريين أثناء المعارك، وتم تمويلها وتزيينها بفضل تكريس جزء من الغنيمة لها، وكانت المعابد تقام فيها المهرجانات الدينية لكل العام ويظهر تقويمها مدى قرب العلاقة بين الإنسان والدين في المجالين العام والخاص، في كل من المدينة والريف.⁴

¹بارندر جيفري، المرجع السابق، ص 101.

²Martin, J., Histoire Romaine, Armand Colin, Paris, 2013, p.226.

³Cornelius Tacitus, The Annals, Book 2, Chapter 49, Perseus Digital Library, Tufts University.

⁴Martin, J., Op. Cit. p.226.

يمكننا إعطاء مثال بمعبد الكابيتول حيث أن وظيفة هذا المعبد على التل كمرکز ديني لروما ، يجمع ، مثل الأكروبوليس في أثينا ، بين الدور العسكري للقلعة والوظيفة الدينية جامعا لكل الطوائف الدينية الرئيسية في المدينة ¹ ، وهو ما يعني كونها تخضع كلها لسلطة الدولة على اختلافها وتنوعها وان كان التوجه الديني لم يعد كما كان من قبل ، فلم يعد تحت رعاية مجلس الشيوخ ، بل أصبح غير قادر على السيطرة على توسع الطوائف الشرقية الدخيلة منذ بداية القرن الأول للميلاد ما يفسر بوضوح ، تضاعفت الولاءات للآلهة الأجنبية جنبا إلى جنب مع الديانة التقليدية المحلية ².

2- عبادة الإمبراطور (Emperor Worship)

1-2 جذور العبادة

تعود جذور العبادة الإمبراطورية في شخص الحاكم (Imperial Cult) ، إلى أصول متوسطة قديمة ، ولم تقتصر على الرومان وحدهم ، ما يثبت أصالتها في حوض المتوسط، وتظهر بشكل واضح أول الأمر لدى المصريين، ثم الإغريق الذين اتصلوا بالفراعنة على نطاق واسع واستوردوا منهم تلك العبادة ³.

كما لا نهمل احتمالية جلب الفكرة من الممارسات الشرقية في أقصى الشرق وفي الجنوب حيث تقديم الشرقيين للملك بمظهر قدسي في هيئة ورهبة كبيرة ، تزيد من هالة التبجيل للحاكم وهو ما جعل الإغريق ومن بعدهم الرومان يفتنون بالأمر فقلد بومبي (Pompey) و الاسكندر الأكبر (Alexander the great) ⁴ الذي وافق على الإلوهية الممنوحة له في مصر في خدمة واضحة لمصالحه في الحكم ⁵.

¹Hinard,F.,Histoire Romaine,T.1,Fayarde, Paris,2000,p.78.

²Martin, J.,Op.Cit.p.226.

³محمد ناجي احمد بن عروس ، "عبادة الإمبراطور في عاصمة الإمبراطورية منذ النشأة حتى زمن الأسرة السيفيرية" ،مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية ،ص124.

⁴ الاسكندر الأكبر أو الاسكندر المقدوني احد أشهر الملوك المقدونيين الإغريق .
⁵بارندر جيفري،المرجع السابق،ص80.

كان ملك الفرس خلفاً لسلسلة طويلة من حكام الإمبراطوريات الشرقية ، البابلية والحيثية والآشورية ، الذين حكموا جميعاً ككائنات أعلى بكثير من رعاياهم بقوة إلهية جعلت منهم ¹ آلهة في أعين مقدسيهم، إلا أنهم لم يكونوا دائماً كائنات إلهية في حد ذاتها، بل تم تصويرهم برموز الإلهية، وكان يُنظر إلى الملوك الحيثيين على أنهم تجسيد لإله الشمس ، كان هؤلاء الملوك الشرقيون يتمتعون بجلال كبير²، لقد نقلوا مفهومهم عن الحكم المطلق إلى الفرس كانت روح الملك ومجده رمزاً للقوة الخارقة للطبيعة التي رفعت الملك أعلى بكثير من البشر العاديين ومع ذلك ، لم يتم وضع الملك نفسه مع مرتبة الإله الذي اعتبر قديس لا إله³.

الاعتقاد اليوناني بأن الفرس يعبدون ملكهم كان نتيجة ببعض الممارسات المحددة التي يشهدها البلاط الفارسي ، ورصدها الإغريق حيث كان الملك يعتبر حاضراً روحانياً، لا جسدياً ولا يرى إلى من وراء ستار وكان السجود أمام روحه، أقام رجال البلاط طاولة خاصة لروح الملك ووضعوا عليها قرايين من الطعام والشراب⁴، قبل أن يحمل الملك في المواكب الاحتفالية مذبحاً بنار مشتعلة عليه الذي يبدو أنه رمز لسطة الملك⁵.

إن عبادة روح الملك ورمز النار الذي رافقه تتوافق بشكل ملحوظ مع ما نعرفه عن الأفكار الدينية الفارسية⁶ ، يعتقد أن لكل رجل قبل ولادته ، وأثناء حياته ، وبعد وفاته ، روح تسمى (Fravashi) حتى أولئك الذين لم يولدوا بعد ، والتي نستطيع القول إنها تمثل مفهوماً دينياً فارسياً قديماً

¹Taylor,R., The Divinity Of The Roman Emperor, Porcupine Press, Philadelphia, 1975,p.1.

²م رستوفتزنزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تر زكي علي ومحمد سليم سالم، ج 1، مكتبة النهضة المصرية ، مصر، ص608.

³Taylor,R., Op.Cit.p.3.

⁴Commelin,P.,Op.Cit.p.296.

⁵ روح الملك المؤله تقترب من مفهوم معتقد القوى الفشتية والنيومن ،أي أن نيومن الإنسان هو الذي دفع الرومان إلى تأليه الأشخاص المميزين وخاصة الأباطرة. رمضان عبد الرزاق مختاط، المرجع السابق، ص69.

⁶م رستوفتزنزف، المرجع السابق، ص609 .

، فيمكننا تفسيرها أنها عبادة روح الملك الحي والتي لم تكن مختلفة عن عبادة البطل اليوناني¹ في أكثر أشكالها تطوراً.² اتخذ الشكل الفارسي في العبادة في أيام الاسكندر المقدوني شكل القديس لا شكل الإله وتم تقديسه بتلك الصيغة إلا أنه لم يكن هذا النوع من العبادة الممنوحة للملك في مملكة مصر القديمة التي غزاها الفرس، فقد كانت هناك فكرة الملك الإلهي المطلق متجذرة في التقاليد المصرية، كان الفرعون مثلاً على الأرض تجسيداً لجلالة الإلهة³ وما يرجح ذلك كون الملك بعد موته ينتقل من العالم الأرضي إلى عالم الآخرة رفقة الإلهة.⁴

اتخذ التأليه أشكالاً مختلفة تطورت لاحقاً لتظهر في شكل عبادة الرومان للأباطرة والأموات. اعتبر الإغريق "إلهاً" الشخص الذي تميزه صفاته البارزة بشكل فردي عن المؤلف. وأخذ لهم بعد وفاتهم نوعاً من العبادة الرسمية، ومع ذلك، إذا كانت العبقرية والفضيلة والنجاح السياسي أو العسكري تجسد الإمكانات الإلهية لدى الرجال الاستثنائيين، فإنها تكون كذلك بشكل خاص أثناء حياتهم.⁵ وبالتالي، ليست هناك حاجة لانتظار موتهم لينهال عليهم مثل هذا التكريم الذي يُمنح للآلهة، ولكن دون تحديدهم مع الإلهة. وقد تم تكريس التماثيل والمذابح والتهنئات والألعاب المقدسة التي رفعته إلى مرتبة الأولمبيين.⁶

أنشأ لإسكندر الأكبر عبادة له، وأصبح يعتبر "كإله" من أعلى رتبة، أصبح قبر المقدوني الفاتح موقعاً لعبادة في الإسكندرية تتوافق مع عبادة البطل، أو "المؤسس". كانت العبادة التي أسسها الإسكندر بحد ذاتها مزيجاً من الحكم الشرقي المطلق مع التقاليد اليونانية والمقدونية. هذا التأليه كان بداية ونموذج سار عليه تأليه يوليوس قيصر لاحقاً⁷، حيث نجد أن أغسطس

¹ عبادة هرقل وهي عبادة يونانية، من الطقوس اليونانية، للبطل اليوناني هيراكليس الذي نال الخلود بفضل مآثره الاستثنائية في العالم اليوناني، تم قبول تأليه هرقل منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وشهدت عبادة هرقل في روما في نهاية القرن على أبعد تقدير لتصبح واحدة من أقدم الطوائف الموجودة في روما. Humm,M., Op.Cit.p.33.

²Taylor,R., Op.Cit.p.4.

³خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 125.

⁴Taylor,R., Op.Cit.p.4.

⁵Strauss,B.,Op.Cit.p.19 -20.

⁶ Jones ,L.,Op.Cit.p.437.

⁷خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 156.

بعد عامين من مقتله في عام 44 ق.م، أعلن مجلس الشيوخ التكريس الرسمي لقيصر، كان هذا تطورا حاسما في مفهوم عبادة الإمبراطور في روما.¹

2-2 دخول عبادة الإمبراطور إلى روما

سار الرومان لاحقا على نهج الإغريق في تأليه أبطالهم القدماء وأحاطوهم بشيء من الغموض،² يقول شيشرون في هذا الصدد أن: روميلوس أصبح إلهاً من خلال أفعاله وفضائله.³ وأثر الإغريق في الرومان، ونسبت ألقاب الشرف المقدسة إلى الأفراد، ومن ثم ظهرت عملية تأليه الأباطرة الممتازين بعد وفاتهم، حتى أن الإمبراطور فسبابيان (Vespasian) عندما موته صاح «آه يا عزيزي، وأسفاها أظن أنني صائر إلى أن أكون إلهاء،⁴ الظاهر أن محاولات التأليه للأباطرة الرومان ظهرت بقوة باكرا في عهد الإمبراطوري منذ أيام كايغولا ونيرون ودومتيان، غير أنهم لم ينجحوا لان الأفكار حول إلهيتهم لم تكن واضحة ومائعة بدرجة كبيرة.⁵

عندما امتدت السلطة الرومانية شرقا نحو آسيا ومصر خلال القرن الأول للميلاد، أصبحت التكريم الإلهي للحاكم سمة أساسية للحكم السائد.⁶ انتشرت العبادة بسرعة في جميع أنحاء شبه الجزيرة الإيطالية وتعطينا النقوش في العديد من المدن ومنها روما و المناطق الريفية، مشاهد القرايين على المذابح⁷ ما يدل على أن تقديم الضحايا للإمبراطور أصبح سمة منتظمة للعبادة.

¹Jones ,L.,Op.Cit.p.437-438.

²خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 320.

³Tullius Cicero, De Republica Book2,Chapter 17 ,Perseus Digital Library,Tufts University.

⁴خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 103-104.

⁵م رستوفتريف، المرجع السابق، ص 608 .

⁶ Jones ,L.,Op.Cit.p.35.

⁷بقيت مسألة تأليه الإمبراطور محل خلاف فلم يؤله الإمبراطور في روما الا بعد موته، ولم يكن التأليه لجميع الأباطرة، ومن أهم الأباطرة الا الذين ألهموا من قبل مجلس الشيوخ وعندما كان الإمبراطور يؤله كانت تقام له المعابد ويشرف على

يقول المؤرخ الروماني سينيكا (Seneca): إن التكريم الذي يُقدم للآلهة لا يكمن في ضحايا التضحيات، مع أنها سميئة ومتلألئة بالذهب، ولكن في الرغبة المستقيمة المقدسة من المصلين. ولذلك فإن الرجال الطيبين يرضون الآلهة بـ تقديم من الدقيق والمأكّل؛ أما السيئ فلا يهرب المعصية مع أنهم يصبغون المذابح بمجاري الدم،¹ أن تتبع بعض سمات التأليه يجعلنا نربطها بالسمات المأخوذة من الشرق وخاصة بلاد فارس و ذلك نتيجة الاتصالات الثقافية معها بحيث أصبحت سمات مثل الهالة المشعة ، التي ترمز إلى المجد الإلهي الممنوحة للملك ظاهرة في العبادة الرومانية.²

شهد العهد الإمبراطوري تطور هام في الديانة الرومانية التي سبق وأن تبنت منذ العهد الملكي عبادة المجمع الديني الإغريقي، هذا التطور تمثل في الانتقال من حالة تأليه الأبطال إلى شكل أكثر تطوراً متمثلاً في عبادة الإمبراطور³ ، ليكون أبا الوطن (Pater Patriae) ويرتبط مع الأجداد المؤسسين للمدينة ويعد ممثلاً للآلهة على الأرض خلال فترة حياته، ويرقى إلى مصاف الآلهة بعد موته من خلال إجراء مراسم التأليه ، وهذه الوضعية عرفت مشاركة النخبة والعامة في الموافقة على التأليه.⁴

ما يعني تغلغل الأفكار حول التأليه من جهة والولاء من جهة أخرى خاصة إذا عرفنا الحالة السياسية المضطربة في روما وقتها لكن يلاحظ أن الأباطرة أو بعضهم لم يطلب أن تقام له شعائر العبادة وهو على قيد الحياة واعتبر خروجاً عن التقاليد الدينية الصارمة و مثل أغسطس على التظاهر ببراءته من كل ما يحيط شخصه بشبهات التبجيل المقدس.⁵

طقوس العبادة فيها كهنه ينتمون إلى أسر الأباطرة أنفسهم أو إلى الأسر الأرستوقراطية المهمة. علي عكاشة، المرجع السابق، ص233.

¹Seneca, De Beneficiis, Book 1, Chapter 6, Perseus Digital Library, Tufts University.

²Jones, L., Op.Cit.p.440.

³م رستوفتزف، المرجع السابق، ص608 .

⁴محمد ناجي احمد بن عروس ، المرجع السابق ، ص126.

⁵تشارلز ورث، المرجع السابق، ص165.

غير أنه لم تكن تلك الحالة هي العامة بل وجد نقيضها من حالات التبجيل والتقدس وخاصة في القرن الثاني. كانت التقاليد الدينية في معناها وشكلها، تتجلى في مظهر العبادة الإمبراطورية ومن خلال شخص الإمبراطور والذي يعكس سياسيا القوة الرومانية والسلطة الدنيوية تماما مثل الدينية، هذه الوضعية ربما لها ما يفسرها ويدعمها من خلال الاعتقاد السائد بعلاقة الإمبراطور مع الالهة، وأن سلام وازدهار الإمبراطورية و أن الإمبراطور يكون ممثلا ومفوضا من قبل الإله جوبيتر على الأرض والاثنان يتعاونان ويتشاركان في إقامة العدل، فجوبيتر مكلف بمهامه في مجمع الالهة والإمبراطور ينوبه في الأرض بتلك الأعمال التي من شأنها أن تجعل العلاقة بين الطرفين تكاملية¹.

أعتبر الإمبراطور أعظم الخلق قوة على وجه الأرض تحميه أقوى أمة خاصة في نظر القبائل والشعوب الخاضعة لسلطة الرومان ، حيث الأفكار البدائية²، فقد كان موضعاً لعبادتهم وتكريمهم ، بحيث أصبحت عقيدة عبادة الأباطرة الراحلين والطقوس التي تقام أمام روح الإمبراطور الذي ما زال على قيد الحياة تعبير عن امتنان المحسنين ؛ وأصبحت تعبيراً عن الولاء ، لقد كان الإمبراطور القاسم المشترك الأعظم لأضعاف مضاعفة من الالهة والأرواح.³

يورد المؤرخ الروماني كايوس أنه تم تأليه أغسطس قيصر في روما⁴، و من الممكن أن العملية تمت بعد وفا الإمبراطور، إلا أن طقوس التأليه أهم ابتكار في الممارسة الدينية أثناء الانتقال من المرحلة الجمهورية إلى الإمبراطورية،⁵ هذا الانتقال يعبر عنه دينيا بشكل واضح في حالة أغسطس الذي كان يعتبر نفسه رئيساً لأسرة الدولة في استعارة واضحة لنموذج

¹ محمد ناجي احمد بن عروس ، المرجع السابق ، ص 123- 126 .

² في بريطانيا وقتها ظهرت عبادة كلوديوس ، و انتشرت عبادة الامبراطور في آسيا وكل مقاطعات الامبراطورية وقد

استمرت إلى غاية القرن الثالث إلى أن غيرها الامبراطور أورليان . Aurelian بارندر جيفري، المرجع السابق، ص80.

³ تشارلز ورت، المرجع السابق، ص166 .

⁴ Cassius Dio Cocceianus, H.R. Book51, Chapter 20, Section 7 and 8, Perseus Digital Library, Tufts University.

⁵ Pleket ,H.W., Op.Cit.p.333-334.

الأسكندر المقدوني في الحكم والهيمنة السلطوية¹ وتم تأسيس العبادة الجديدة كجزء من المنظومة الدينية الرومانية الإمبراطورية برعاية الإمبراطور² ودخلت حيز التنفيذ تدريجياً في جميع أنحاء روما و يؤرخ لذلك ب 12 ق.م، وهو العام الذي أصبح فيه أغسطس ككاهن أعظم.³ اعتاد الرعايا في المقاطعات الشرقية منذ فترة طويلة على عبادة حكامهم خلال حياتهم، غير أن أغسطس نهى عن عبادة نفسه وحده ، ولكن خارج العاصمة كان سعيداً بما يكفي لتشجيع عبادة روما وأغسطس ، حيث ارتبط اسمه بالدولة و سرعان ما انتشرت عبادته في المقاطعات الغربية ، وأيضاً بما في ذلك إيطاليا نفسها ، ومع ذلك ، رفض أغسطس بحزم كل اقتراحات التكريم الإلهي أثناء حياته⁴ وحتى وصف يوليوس قيصر المؤله.⁵ استمر مجلس الشيوخ في لعب دور رسمي في عملية التأليه ومنح اللقب⁶ ، على الرغم من أن هذا الدور أصبح يتقلص بشكل كبير في القرنين الثاني والثالث للميلاد.

¹ Garrison,R., The Graeco-Roman Context Of Early Christian Literature, Sheffield Academic Press,Uk,1997,p.21 -24.

² ضحى أغسطس بالقرابين لجميع الالهة والالهات احتفالاً بنتصاراته ، و احتفل المواطنين والرومان والأجانب وأعطى الفرد زجاجة من النبيذ وثلاثة أرطال من الخبز. كما أهدى أغسطس المال لبناء معبداً من ماله الخاص في الجزء الأبرز من الساحة العامة ، والذي نُقش اسمه أيضاً عليه ، روي هذا تم دمج التعبير عن الولاء للإمبراطور في الحياة العادية للمجتمعات من خلال الاحتفالات العامة. Dishwick ,D., The Imperial Cult In The Latin West, Vol 3, Brill ,Koln 4.-,2002,p.3

³ Forsythe,G.,Op.Cit.p.134-135.

⁴ من أغسطس إلى قسطنطين الكبير (المتوفى 337) ، مُنح ستة وثلاثون إمبراطوراً وسبعة وعشرون فرداً من عائلاتهم خاصية التأليه وحصلوا على لقب Divus ، وهو مصطلح يختلف عن Deus سمح منح الإله لمجلس الشيوخ بالحصول على نوع من السلطة للإمبراطور..Pleket ,H.W.,Op.Cit.p.439.

⁵ Scarre ,Ch.,Chronicle Of The Roman Emperors, Thames & Hudson,Usa,2012,p.20.

⁶ التأليه لم يخص فقط الإمبراطور ، بل شمل أفراد أسرته أحياناً، وهو ما نتج عنه زيادة عدد الالهة المقصودين بالعبادة خلال العصر الإمبراطوري، هذه العبادة سرعان ما أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التقاليد الدينية لروما، لها طقوسها وشعائرها الخاصة، منها الحلف باسم الإمبراطور المؤله ، وإقامة الاحتفالات والألعاب على شرف الأباطرة المؤلهين، تقدم لهم فيها الأضاحي و الصلوات، ويحرق البخور ويسكب النبيذ على مذابحهم، وغالبا ما يبنى معبد للإله الجديد و معظم المعابد

2-3 تطور مفهوم عبادة الإمبراطور عند الرومان

طور الرومان مفهوم الحق الإلهي المطلق المستمد من الإغريق وتم شرعنته ومن ثم التعبير عنه في الديانة الوثنية للرومان من خلال إضافة الإمبراطور كإله جديد إلى آلهة الدولة اللامحدودة، تطور مفهوم إلهية الإمبراطور كما تطورت الإمبراطورية نفسها بعد أن أثبت الشكل الجمهوري القديم للحكم أنه غير ملائم لحكم مجال واسع من الأراضي¹، التي امتدت من إسبانيا إلى سوريا ومن بريطانيا إلى شمال إفريقيا (أنظر الملحق 02)² وساعد في تغيير النظام أن روما كانت على اتصال وثيق بأفكار العالم الشرقي.³

لم يكن هدف الأباطرة الرومان دينيا بإقامة العدل والتخلي بالفضائل الأوغسطية حتى يحظى الإمبراطور بالتأليه،⁴ بل تعدى الأمر إلى جوانب سياسية، أثرت بشكل كبير في طبيعة العبادة وطقوسها وتقاليدها، فتم ترسيخ العبادة بشكل سياسي في المقاطعات الرومانية بما يخدم مصلحة روما وإضفاء الوحدة بين جميع مقاطعاتها جنبا إلى جنب مع السياسات الاقتصادية والسياسية والثقافية، فالولاء لروما من خلال الرومنة ودفع الضرائب والامتثال للقانون الروماني كلها انصهرت في بوتقة عبادة الإمبراطور.

تتبع منحى تطور العبادة نجد أنها وجدت ذروتها بداية من عهد أغسطس إلى عهد الأباطرة الأسرة السيفيرية، في النصف الأخير من القرن الأول ق.م وحتى نهاية العهد السيفيري في العام 235م،⁵ وحسب تقديرنا يرجع ذلك إلى خلفيات حكم الأسرة السيفيرية نفسها والتي حاولت اختزال الديانة الرومانية وتسليط الضوء على عبادة الإمبراطور خاصة إذا علمنا

المخصصة للعبادة الإمبراطور كانت واسعة وفخمة، منها على سبيل المثال معبد أغسطس، ومعبد فيسباسيان . محمد ناجي احمد بن عروس، المرجع السابق، ص 147.

¹ Pleket ,H.W., Op.Cit.p.439.

² Price S. R. F., Op.Cit.p.1.

³ Taylor,R., Op.Cit.p.1.

⁴ محمد ناجي احمد بن عروس، المرجع السابق، ص 145- 146.

⁵ محمد ناجي احمد بن عروس، المرجع السابق، ص 124.

جملة المشاكل التي واجهت حكم الأسرة السيفيرية ذات الأصول الليبية وما يعنيه ذلك بالنسبة للرومان .

عبرت العبادة الإمبراطورية عن الولاء السياسي، وبالتالي فإن العبادة الإمبراطورية هي في الأساس ظاهرة سياسية ، إما لأنها استغلت من قبل الدولة الرومانية ، أو لأن الرعايا جعلوا منها منفذ للتعبير عن الولاء الديني للإمبراطور¹ وبالتحديد أدركنا أن الرابطة الدين والعسكرية حافظت على وجود الإمبراطور²، سواء عند العامة أو الجيش الذي يعتبر الركيزة الأساسية مع الدين في تشيد الإمبراطورية الرومانية³.

3- الديانات الشرقية الوافدة إلى الرومان

ساعد التوسع العسكري الكبير للإمبراطورية الرومانية خلال القرن الأول والثاني الميلادي⁴ في توافد الأفكار والمعتقدات عليها بمختلف مشاربها وساهمت سهولة المواصلات وحركة التنقل داخل الإمبراطورية في تنقل مختلف فئات المجتمع من تجار وعسكريين وعبيد ناقلين معهم تلك المعتقدات والعبادات بما تحمله من خصوصيات مختلفة⁵، لتكون بذلك الإمبراطورية التربة الحاضنة لها ، وصاحب هذا الثراء رغبة رومانية حثيثة ، حيث كان

¹ Price S. R. F., Rituals And Power The Roman Imperial Cult In Asia Minor, Cambridge University Press, Usa, p.16.

² إلى غاية منتصف القرن الثاني الميلادي كان الإمبراطور "لفترة طويلة إلهاً لا جدال فيه في الشرق" . Price S. R. F., . Op.Cit.p.21-22.

³Rüpke,J., From Jupiter To Christ On The History Of Religion In The Roman Imperial Period, Oxford University Press,Uk,2014,p.273.

⁴ شهدت الفترة الإمبراطورية توسعا عسكريا كبير كان نتيجة الحملات العسكرية التي قام بها الأباطرة الرومان ، لتبلغ الإمبراطورية الرومانية أقصى اتساع لها في عهد الإمبراطور الامبراطور تراجان 117م والتي ضمت في حدودها شمال أفريقيا ، مصر والساحل السوري وأسيا الصغرى إلى حدود بريطانيا شمالا واسبانيا غربا .,B.,Op.Cit.p.149-150.

⁵ عجيبه علي أحمد ، دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، دار الافاق العربية، مصر ، 2004 ، ص 187 .

الرومان طموحين في مجال العبادة والأديان فكلما احتكوا بقوم اخذوا ديانتهم وعبودها مع ألهتهم تارة ،وأضفوا عليها طابعهم تارة أخرى .¹

كما أسلف أنهم نقلوا عن الإغريق ألهتهم بكل أسرارها وطقوسها وخلعوا عليها أسماء رومانية بل ان بعضا منها ظل يحمل اسمه الإغريقي²وما زاد من جاذبية المعتقدات الجديدة لدى الأفراد والطبقات المختلفة هو لهفة وشغف الوصول إلى الحقيقة ، وتجربة السعادة الروحية ، وأحيانا الخلاص بعد الموت،³ غير أنه لا يخلوا أيضا من كون الرومان من خلال هذا الاهتمام والتقبل لحكمة الشرق حاولوا تجاوز عقدة الشعور بالتفوق الثقافي، وبأن العالم الخاضع لسيطرة روما احتضن الحكمة المجمعدة للحكماء من جميع العصور وجميع الأماكن. وهو ما شكل دافع لاستكشاف مثل تلك المعتقدات وتبني عدد من الطوائف الشرقية ،⁴مثل ديانة الأم الكبرى (Magna Mater) المسماة سيبيلي وعشيقتها أتيس (Attis)⁵ من منطقة فرجينيا⁶ وكذلك التعرف على ديانة ميثرا من بلاد فارس وديانة ايزيس من مصر وقد عرفت جميعها

¹عجبية علي أحمد،المرجع السابق، ص 18.

² عبد الحميد رأفت ، الدولة والكنيسة ، دار قباء ، مصر ، 1974،ص186.

³ Rouche, M., Les Origines Du Christianisme 1 Er 5 Siecle, Hachette, Paris, 2007,p.38.

⁴ Potter, D.,The Emperors Of Rome ,Quercus Editions ,London,2013,p.104.

⁵Attis: كان أتيس إله الخضرة ويندب الناس موته ويفرحون ببعثه سنوية في مهرجان في الربيع. يقال أن أتيس كان راعيا شابا أحبه سيبيلي وهي أم الالهة، ويقول البعض أيضا أن أتيس هو ابنها أما موت أتيس فله روايتان شائعتان، تقول الرواية الأولى أن خنزيرا قتله، وتقول الثانية انه تعمد فقدان رجولته تحت شجرة صنوبر ونزف حتى الموت وتحول إلى شجرة صنوبر يقال أن الرواية الثانية هي القصة المحلية التي يرويها أهالي بيسينوس وهو أحد مواقع عبادة سيبيل الكبيرة، وتتسم هذه الرواية بأنها بدائية تدعم الروايتان العادات المتبعة لتفسر عادات معينة يتبعها العابدون. أما قصة التشنيع الذاتي لأنيس فهي محاولة واضحة لتبرير التشنيع الذاتي عند الكهنة الذين يخصون أنفسهم عندما يدخلون في خدمة الالهة . جيمس جورج فرايزر ، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين ، تر، نايف الخوص ،دار الفرقد ،سوريا ، 2014، ص 459.

⁶ مدينة تقع حاليا في آسيا الصغرى غرب تركيا

بديانات الأسرار وذلك لأنها كانت تتميز بالسرية في ممارسة طقوسها ،¹ وجدت تلك الديانات تجاوبا شديدا لدى الرومان .

1-3 ديانة الالهة سيبيلي(Cybele)

كان سيبيليهو الاسم المستخدم للإلهة من أصل فريجاني التي انتشرت عبادتها على نطاق واسع في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط، كان اسم عبادة الالهة هو ببساطة الأم ، وشكلت إحدى ألقابها الفريجية ، سيبيليا (Kybeliya) التي تعني الجبل ، تم إثبات عبادة سيبيلي لأول مرة في فريجيا خلال ²أوائل الألفية الأولى ق.م، وانتشرت في العالم اليوناني خلال القرنين السابع والسادس ق.م³؛ و تم استيرادها إلى روما قبيل انتهاء الحرب البونيقية الثانية مع هانيبعل حيث تقول النبوءة أن غازيا أجنيا سيطرد من إيطاليا إذا ما عبد اهل روما ألهة شرقية.⁴

وكان من نتائج وصولها أن جني الرومان محصولا وافرا، وما زاد من تأكيد أهميتها هو صدفة انتهاء حملة هانيبعل على روما،⁵ ما جعل من الرومان تحت سلطة نفوذ الالهة الجديدة وقوتها وبشائرها عليهم.

تدعم تماثيل أتيس النذرية التي وجدت داخل المعابد الخاصة بعبادة سيبيلي والتي يعود تاريخها إلى الفترة الجمهورية مدى انتشار تلك العبادة وإن كان أنه لا يمكننا الجزم بكونها تعكس ديانة منظمة ، لأن الرومان كانوا مشهورين بعروضهم النذرية⁶ أي أن هناك احتمالية لكونها تدخل في نطاق العادات الاحتفالية للرومان أكثر من كونها عبادة دينية خالصة.

¹ حافظ أحمد غانم ، الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة، مصر ، 2007 ، ص 112.

²Roller,L.E.,Search In God Of The Mother, University Of California Press, Berkeley, p. 22.

³ Ibid.p. 22.

⁴ كانت الحروب والغزو في أصل ظهور عدد معين من الالهة "الأجنبية" في روما ، غالبًا يتم ذلك بعد إحياء ، طقوس دينية.⁴ Humm,M., Op.Cit.p.33. للعدو الذي كان يقاتل ضده ، من أجل سحب دعمه وكسب للرومان.

⁵ جيمس جورج فرايزر ، المرجع السابق، ص 454.

⁶ Eugene N.L.,Cybele Attis And Related Cults , Ej Brill Leiden , New York , 1996, p.358.

خاصة وأن طقوس سيبيلي الدينية نفسها تتسم بالاحتفالية والعروض النذرية، فقد ألف الرومان قبل انتهاء عهد الجمهورية، رؤية كهنة أتيس المخصيين بكونهم كائنات حيادية جنسيا بلباسها الشرقي وعلى صدورهم صور صغيرة يجوبون شوارع روما في مواكب وهم يحملون صورة الالهة وينشدون ترانيمهم على وقع موسيقى الدف والقيثارة، وبادر الإمبراطور كلوديوس بخطوة إضافية إذ أدخل العبادة الفريجية للشجرة المقدسة وربما ادخل معها طقوس أتيس العربيدية كدين دخيل في روما مستنسخا النموذج اليوناني¹ الذي جعل أتيس عنصراً مهماً للعبادة إلى جانب سايبيل، خاصة في الفترة الهلنستية، وعلى شاكلتهم الفريجيين والذين جعلوا من أتيس بمثابة الكاهن الأكبر للإلهة عندهم، لكنهم ظلوا تحت التأثير اليوناني، يفترضون تدريجياً العناصر الغنوصية والسرية لعبادته² تم اعتماد يوم الثاني والعشرين من مارس حدثاً سنوياً للاحتفال بعبادة سيبيلي وأتيس، حيث يظهر تقديس موت اتيس وبعثه في الربيع عبر وليمة مقدسة وتعميدا للدم و أثناء التعميد يتوج المناصرون بالذهب، ثم يأتون بثور مزين بأكاليل الورود وعلى جبهته ورقة مذهبة براقعة وعندما يصل إلى حاجز يطعنونه برمح مقدس حتى الموت ثم يقوم أتباعه بإغراق أنفسهم بدمائه والقيام بعدها في دلالة على البعث من جديد بعد التطهر من الذنوب والتوجه إلى الحياة الأبدية.³

ظلت سيبيلي شخصية بارزة حتى هيمنة المسيحية في القرن الرابع للميلاد ليصبح الانقسام في رد الفعل الروماني على ديانة الأم الكبرى واضحا بشكل خاص بين الوثنيين والمسيحيين في أواخر العصور القديمة، حيث لعبت الالهة الأم دور مهم، وانتشرت عبادتها على نطاق واسع في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، و في كل مقاطعة رومانية تقريباً في أوروبا وشمال إفريقيا والأجزاء الشرقية. خاصة بعد الإشادة بها على أنها منقذة الدولة وبقائها جزء أساسي من عبادة الطبقة الأرستقراطية الرومانية واجتذبت هذه العبادة الإمبراطور جوليان نفسه الذي كتب خطبة على شرفها.⁴

¹ جيمس جورج فرايزر، المرجع السابق، ص 454.

² Eugene ,N L.,Op.Cit.p.358.

³ جيمس جورج فرايزر، المرجع السابق، ص 454.

⁴ Roller,L.E.,Op.Cit.p.59.

2-3 ديانة الإله ميثرا (Mithra)

ميثرا هو إله هندي إيراني قديم كان يُعبد في بلاد فارس المتعددة الالهة في وقت مبكر من الألفية الثانية ق.م، ارتبطت عبادة ميثرا بالأماكن الصغيرة والمظلمة ، وغالبًا ما تكون تحت الأرض ، وداخل الكهوف (Spelea)، حيث مثلت الكهوف صورة للكون نفسه وغالبًا ما تكون مزينة بعلامات البروج ورموز عناصر من الطبيعة¹، تحتوي أساطير هذا الإله القديم على عناصر تربطه بأساطير جميع الشعوب الهندوأوروبية² خاصة بالفيدية ميثرا التي كانت تُعبد في الهند و تم تكريس ترنيمة له في الهندوسية ويعتبر ميثرا سيد النور السماوي وحامي الحقيقة ، ويتم استدعاؤه في كل عقد أو قسم ، وأعتبر أيضا الإله الحامي الأكبر للعديد من المجتمعات القبلية لقرون في بلاد فارس ، قبل أن يقود زرادشت³ حركة إصلاح لتعدد الالهة الفارسي، ويشكل دينًا جديدًا من أشكال العبادة الفارسية القديمة.⁴

ليتم عبر قرون، تجريد ميثرا، مثل بقية الالهة الفارسية، من سيادته وسلطاته ومنحت صفاته إلى أهورا مازدا، واستبدل عبادته بالزرذشية واكتسب هذا الدين الجديد، شعبية أكبر وأصبح أخيرًا دين الدولة للإمبراطورية الفارسية حتى ظهور الإسلام.⁵

عبادة ميثرا لم تقتصر على حدود بلاد فارس بل انتشرت الميثراوية بسرعة في الإمبراطورية (أنظر الملحق 03)⁶ عن طريق طائفة في منطقة شرق تركيا تُعرف باسم كوماجين ، والتي تبنت تقاليد العبادة الفارسية التي كانت موجودة هناك منذ أيام الإسكندر الأكبر

¹ North, J., Religion Of Rome, V2, Cambridge University Press, p.89.

² خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 182.

³ زرادشت عاش في شمال شرق إيران في وقت ما في القرن السادس أو الخامس ق.م، على الرغم من أن بعض العلماء يعتقدون أنه ربما كان ذلك في وقت مبكر يعود إلى 1200 قبل الميلاد. يقال إن زرادشت قد ولد معجزة: كانت والدته ، دوغدوفا ، عذراء حملته بعد أن زارها عمود من الضوء. أدت تعاليم زرادشت إلى أول ديانة توحيدية في العالم .Beck,R.,

63.-The Religion Of The Mithras Cult In The Roman Empire, Oxford, Uk ,2006,p.58

⁴ Nabarz,P.,The Mysteries Of Mithras, Inner Traditions, India,2005,p.9.

⁵ Ibid.p .10.

⁶ Potter,D., Op.Cit.p.103.

و استندت طقوسها على مزيج معقد من علم التنجيم والأساطير، تم ترتيب أعضاء هذه الطائفة الميثراوية الذكورية¹ في تسلسل هرمي من سبع درجات، مع أعلى درجة محجوزة عادة للفرد الذي يتمتع بأعلى مكانة اجتماعية في العالم ككل، أن الدرجات السبع، تتوافق مع الكواكب السبعة المعروفة في علم الفلك القديم، هي الأب (زحل)، الشمس (الشمس)، الفارس (القمر)، الأسد (المشتري)، الجندي (المريخ)، النيمفوس² (فينوس) والغراب (عطارد).³

الجدير بالذكر أن الإله ميثرا وحسب ما نقلته المصادر التاريخية والأثرية التي وجدت في رباع العالم القديم من صور وتمائيل، قد رافقتها مجموعة من الحيوانات منها الخيرة كالكلب وهو الصديق الحميم لإله الخير أهور مازدا بالإضافة إلى الغراب الذي كان حسب الأسطورة عنصر الحياة وحامي الجنس واستمرارية النسل البشري ومنها الدالة على قوى الشر كالثعبان الذي يمثل أهرمان ناهيك عن العقرب الذي كان رمزا للموت نظرا للسموم التي يحملها بداخله.⁴

اشتملت طقوس الميثراوية على مآدبة استهلاكية لإحياء ذكرى الوجبة التي تناولها ميثرا مع الشمس بعد أن خلق العالم على اثر قتله ثور كوني والذي تدفق دمه كمصدر لكل أشكال الحياة والنباتات على الأرض، و تعززت جاذبية الميثرية بالتشديد على أن طقوسها الدينية القوية وضعت على السرية،⁵ لأن ميثرا نفسه قتل الثور الكوني في كهف، وعليه فإن أماكن العبادة، أو ميثرايا المفرد: ميثرايوم، كانت كلها تقع تحت الأرض، والتي كانت شائعة ومنتشرة بشكل كبير ولم تقتصر على منطقة واحدة داخل حدود الإمبراطورية الرومانية حيث تم العثور

¹ يعكس مصطلح الذكورية عبادة الالهة الذكورية المقابلة للإلهة الأنثوية و الذي انقلبت فيه السلطة الدينية من الالهة الانثوية إلى الذكورية و ليصبح الدور المحوري للذكر على حساب الأنثى غير أنها بقيت مهيمنة على المشهد الديني في أغلب الحضارات والثقافات القديمة لفترات لاحقة مثلما هو الحال مع الالهة سييلي وايزيس وعشتار.

² *Nymphus* وتعني العريس: Bridegroom. موقع الموسوعة البريطانية الرقمية

/Https://Www.Britannica.Com

³ Potter,D.,Op.Cit.p.103.

⁴ Gasquet,A.,Essai Sur Le Culte Et Le Mystère De Mithra, Armand Colin , 5eme Edition ,Paris,1899 , p.58.

⁵ Van Ackeren ,M.,A Companion To Marcus Aurelius, Blackwell,Uk , 2012, p.205.

على غرفة طقسية تحت جدار هادريان ،¹ وهو ما يدل على الطريقة التي يمكن أن تصبح بها الطوائف الجديدة عملة فكرية مشتركة في جميع أنحاء الإمبراطورية.²

كانت عبادة ميثرا الإيرانية تكاد تكون حصرية من الذكور مرتكزة في فكرتها على الولاء والانضباط، مما جعل الميثراوية جذابة للغاية للجنود الذين يجلب لهم ميثرا الخلاص وفقاً لممارسة صارمة للفضائل الأخلاقية، ما سهل أكثر عملية انتشارها السريع خاصة خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي. وأصبح عدد المنتسبين لها في الجيش الروماني³ بأعداد كبيرة ولفترة طويلة و تحت رعاية من الأباطرة أنفسهم مثل كومودوس وسيرفيوس.⁴

و دخلت ذروتها في عهد ماركوس أوريليوس حيث تبين ذلك الأضرحة المكتشفة على حدود الدانوب والتي تعود إلى 251م، بينما توجد أدلة أخرى في داسيا (Dacia)⁵ على عبادة تعود لعام 259م⁶. غير أن العبادة الميثرائية واجهت منافسا خطيرا بداية من القرن الثاني، متمثلا في المسيحية التي رحبت بالنساء كأتباع لها يجدون راحتهم النفسية فيها⁷ لبيبرز الصدام الحاصل بين أتباع الديانتين لاحقا، خاصة وأن المسيحيين استغلوا كون الميثرائية ديانة ذكورية فقط .

¹ Potter,D., Op.Cit.p.103.

²Rouche,M.,Op.Cit.p.49.

³ لقد انتشرت الديانة الميثرائية في أوسط الجنود الرومان الذين أرسلوا إلى جنوب آسيا الصغرى أين كان انتشار الميثراوية كبيرا لقربها من الشرق وبلاد فارس وذلك لما فيها من إغراء بالحرب والكفاح وامتدت لاحقا إلى باقي المناطق عبر تنقلات الجنود وغيرهم من حملة هذا الإله الفارسي.أحمد علي عجيبة ،المرجع السابق، ص124.

⁴ Pharr,C., "constantine And The Christians" , American Classical League, March 1939, Vol 16, N 6, p.58.

⁵⁵ هي منطقة موجودة شرق أوروبا رومانيا حاليا

⁶ Marcel Van Ackeren ,Op.Cit.p.205 .

⁷ أحمد غانم حافظ ،المرجع السابق، ص113.

3-3 ديانة الالهة ايزيس (Isis)

تعني كلمة ايزيس (Isis) "العرش" و عرفت على أنها الالهة المصرية الحامية الطبيعية المداوية بالتعاون السحرية¹ و كانت توصف بكونها إلهة ذكية لا تخفى عنها لا صغيرة و لا كبيرة بين السماء و الأرض،خالقة الكون ناصبة الجبال،إلهة شكل البقرة الأصلية،صانعة الثور للبقرة،مراقبة الفيضانات،²وتكونت عبادة ايزيس في عهد أول ملك بطلمي لمصر في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد، وتطورت ودعمت بعدد من الأساطير ومجموعة كبيرة من النصوص الدينية وخاصة الترانيم في مدح إيزيس و انتشرت هذه العبادة لاحقا خارج حدود مصر،³ وصلت إلى روما عن طريق البحر، ما يرجح ذلك كونها ربة للبحر و البحارة فنقلها بحريا له دلالة الحماية عند البحارة وخاصة المصريين منهم على وجه الدقة والذين نشط أغلبهم في تجارة القمح بين مصر وروما.⁴

ولم تتوقف عملية الانتقال على التجارة البحرية بين مصر وروما بل شملت اليونان أيضا ثم الجالية الإغريقية في روما الذين أدخلوها بداية من القرن الثاني ق.م،(أنظر الملحق 04) وكان غالبية أتباع هذه الديانة من العبيد المعتقين والأجانب وفقراء الرومان وإن ظهر بينهم في بعض الأحيان سيدات من الطبقة الارستقراطية⁵، ما يثبت انحصارها في فئات معينة دون سواها من الفئات المكونة للمجتمع الروماني.

اتسمت عبادة الربة ايزيس بالرصانة والقداسة بشكل يهدئ القلوب والعقول، خصوصا النساء اللواتي رفضن طقوس بقية الالهة الشرقية التي تميل إلى أشكال من الإباحية و اراقة الدماء وفي وقت كانت فيه العاطفة الدينية مهتزة وغير مبالية بالمعتقدات الرومانية

¹ بريوشكين، أسرار الفيزياء الفلكية و الميتولوجيا القديمة، تر ميخائيل اسحق، دار علاء الدين، ط 3، سوريا، 2009، ص 3.

² Shuare, E., La Prêtresse D'Isis Légende De Pompéi ,Librairie Académique Perrin Collection De Romans , 1907 , p.30.

³ Potter,D.,Op.Cit.p.102.

⁴ Guimet,E., " L'isis Romaine Séance " , Belle Lettre N 02 ,Février 1896 ,p.157.

⁵ اسحاق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، دار المعارف، مصر، 1972، ص 26.

الموروثة،¹ وتعرضت عبادة إيزيس إلى القمع الرسمي في بعض الأحيان ،حتى تم حظرها تمامًا لفترة من الوقت في روما في عهد تيبيريوس بعد أن دخل كهنتها في فضيحة جنسية سيئة السمعة تورط فيها أشخاص من مجلس الشيوخ غير أنها بقيت منتشرة في المجمل لكونها لم تتحدى بشكل أساسي معايير الرومان.²

مرت عبادتها بمرحلتين اقتصرت الأولى على التعبد داخل معابد مخصصة لها و بخصائصها المصرية البحتة و بحفلاتها وطقوسها الدينية المعمول بها في مصر ، أما المرحلة الثانية فقد عبد الاسم فقط أي فقدت خواصها التي ربما عوضت بألهة رومانية شابهتها³ فضلا عن كون طبيعة التدين الروماني تحتوي كل ما هو جديد في قالب ديني روماني وبصبغة رومانية وهو ما حصل تماما مع المعتقدات الاثروسكية والإغريقية والفارسية و التي طبعت كلها بصبغة رومانية وتحولت ألهتها إلى ألهة الرومان ، وأطلق عليها اسم محبوبة الأباطرة الرومان⁴ أما الأواسط المثقفة فنجدتها اتجهت إلى الفلسفة و شاعت بينهم المذاهب الفلسفية المختلفة مثل الرواقية والأفلاطونية ولاحقا الغنوصية .⁵

ان الخصائص الأساسية للديانة الرومانية يمكن تفسيرها بكونها دينًا طقسيًا وغير عقائدي فالتقاليد الدينية للرومان كانت تنص على طقوس لأدائها ، وليس أشياء تؤمن بها ؛ لذلك ظل الجميع أحرارًا في فهم الالهة والتفكير فيها كما يرونها مناسبة. كانت المعتقد المحوري للرومان هي أن الالهة لا تعد ولا تحصى وتختبئ وراء كل قوة من قوى الطبيعة لذلك كان دينًا متعدد الالهة، لذلك عاش الرومان في خوف من الالهة ، وكان دينهم قبل كل شيء دين الخوف، ومع ذلك ، يمكن إرضاء الالهة من خلال الطقوس والتضحيات المنصوص عليها في الدين كان الهدف من الدين الروماني أولاً ضمان إحسان الالهة وفضلها (Pax Deorum) تجاه البشر⁶، من أجل ضمان حمايتهم ، ولم تكن لجميع الالهة نفس الرتبة في المنظومة الرومانية ، فقد كان هناك الالهة الرئيسية تماما مثلما كان

¹ جيمس جورج فرايزر، المرجع السابق ،ص 500.

² Potter,D.,Op.Cit.p.104.

³ Guimet,E.,Op.Cit.p.158.

⁴ Marcel Van Ackeren ,Op.Cit.p.204.

⁵ اسحاق عبيد، المرجع السابق ، ص 26.

⁶ Humm,M., Op.Cit.p.26.

هناك عدد كبير من الالهة الثانوية الصغيرة ، والتي تتمثل وظيفتها في رعاية جانب من جوانب الحياة الرومانية ، وإلى تم إثرائها مع نمو الإمبراطورية ودمج سكان وثقافات جديدة، كما استعار الرومان في إطار انفتاحهم على العالم الإغريقي بعض الخصائص الرئيسية من الالهة اليونانية ، بدءًا من تجسيمهم ووظائفهم الخاصة ثم ما مثلته من القوة والدرجة.¹

وبتوسع الإمبراطورية الرومانية أكثر زاد تغلغل التأثيرات الإغريقية في الديانة الرومانية، وأخذ هذا التغلغل مظهرين واضحين تماما هما: تشبيه الالهة الرومانية بالالهة الإغريقية المتماثلة في الخصائص، حيث نقلوا تجربة الإغريق فيما يتعلق بالتشخيص وصاروا ينسبون إليها صفاتهم وطبائعهم ، وسيكون لديهم نفس المظهر الجسدي ، يخوضون الحرب و يقيمون التحالفات فيما بينهم ، وسوف يتزوجون ويرتكبون الأخطاء.²

أما المظهر الثاني فكان استعمال الأساطير الدينية الإغريقية ورغم هذا فقد تميزت سياسة روما بالحد من التأثيرات الأجنبية على عبادتها، وإذا كانت هذه السياسية تدل على حرص مجلس الشيوخ على الحفاظ على اتزان الديانة الرومانية التقليدية.³

رغم هذا كانت روما دائمًا منفتحة على الالهة الأجنبية، و لم يتردد الرومان في مناقشة آلهة المدينة المعادية والاقتراح عليهم التخلي عن مضيفهم السابق ونقلهم ؛ ولم يقتصر انفتاح روما على الالهة اليونانية بل عبر إلى الالهة الشرقية ومن ثم التبني المتكرر عبر تاريخ روما لأكثر من اله مثل سيبيلي وميثرا وايزيس، كان هذا الانفتاح سمة واضحة في السلوك الدين الروماني وقد عبر معظم الأباطرة عن إعجابهم ، بالطوائف المختلفة التي يمكن أن يجدها في الشرق⁴، ليتم إخضاعها لاحقا وفق خصائص المنظومة الدينية الرومانية ، تطورا هذا السلوك على قدم سواء مع الرغبات السياسية

¹ Humm,M., Op.Cit.p.33.

²Desautels ,J., Dieux Et Mythes De La Grèce Ancienne La Mythologie Gréco-Romaine, Les Presses De L'université Laval, Canada,2005,p.31.

³ حسن الشيخ ،المرجع السابق، ص 235 .

⁴ Martin, J.,Op.Cit.p.386.

للأباطرة الرومان ذلك أي فعل مجتمعي يتضمن جانباً دينياً ، وأي عمل ديني له جانب مجتمعي لذا فإن العبادة العامة تتضمن بالضرورة جوانب سياسية.¹

تم تقديمها من قبل الدولة في شكل عبادة الحاكم لتكون مؤسسة قائمة ، أنشأها ونظمها الأباطرة من أجل تمثيل السلطة لأنفسهم،² ان العبادة الإمبراطورية هي انعكاس صورة عبادة الالهة الرومانية التقليدية³ مجسما في شخص الإمبراطور حققت السلطة من خلالها الوحدة الدينية⁴ في وقت برزت فيه الحاجة إلى خلق وحدة سياسية عن طريق الالتزام الديني بعد ضعف الإمبراطورية وفي ظل الأخطار المحدقة بها ما عزز ضرورة الحفاظ على استقرار السلطة واستمرارها، ويقودنا هذا التطور إلى فهم الدور الذي لعبته هذه العبادة لاحقا في صراعها مع المسيحيين والحياة الدينية في أرجاء الإمبراطورية والمشاكل التي واجهها المسيحيون الأوائل في علاقتهم بالإمبراطورية. خاصة وأن المسيحيين كانوا يحتلون مكانة داخل الإمبراطورية، وإيمانهم بأن العبادة الإمبراطورية هي تمثيل لكل ما هو أثم وشيطاني و قاد على أثرها المسيحيون الأوائل حرباً عقائدية للمقاومة والمعارضة كان المسيح محورها⁵.

¹ Humm,M., Op.Cit.p.27.

² Price S. R. F., Op.Cit.p.1.

³ Pleket ,H.W.,Op.Cit.p.333-334.

⁴ Gregory,T., A History Of Byzantium, Blackwell,Uk, 2005,p.25.

⁵ Brodd ,J.,Reed.L.,Rome And Religion A Cross-Disciplinary Dialogue On The Imperial Cult , Society Of Biblical Literature ,Atlanta ,2011,p.64.

الفصل الثاني: الديانة المسيحية جذورها نشأتها وتطورها

1. الجذور اليهودية للديانة المسيحية

1-1 اليهودية أصل المصطلح

1-2 الفرق اليهودية

1-2-1 السامريون (Samaritans)

2-2-1 الحسيديون (Hasideans)

3-2-1 الفريسيون (Pharisees)

4-2-1 الصدوقيون (Sadducees)

5-2-1 الأسينيون (Essenes)

6-2-1 الغيوريون (Zealots)

3-1 الكتب المقدسة عند اليهود

1-3-1 العهد القديم

2-3-1 التوراة

3-3-1 التلمود

4-3-1 المشنا

1-4-1 مفهوم الإلهية عند اليهود

2-5-1 الانتشار اليهودي خارج فلسطين

1-2-5-1 اليهود تحت النفوذ الروماني

2-الديانة المسيحية

1-2 الخلفية اللغوية والتاريخية لمصطلح المسيحية

1-1-2 الخلفية اللغوية لمصطلح المسيحية

- 2-1-2 الخلفية التاريخية لمصطلح المسيحية
- 2-2. الخلفية اللغوية والدينية لمصطلح المسيح
- 2-2-1 الخلفية اللغوية لمصطلح المسيح
- 2-2-2 الخلفية الدينية لمصطلح المسيح
- 2-3 حياة المسيح قبل البعثة
- 2-4 بعثة المسيح ومعجزاته
- 2-4-1 بعثة المسيح
- 2-4-2 معجزات المسيح
- 2-5 صلب المسيح وقيامته
- 2-5-1 صلب المسيح
- 2-5-2 قيامة المسيح
- 2-6 الكتب المقدسة عند المسيحيين
- 2-6-1 تعريف الإنجيل
- 2-6-2 الأناجيل الأساسية في المسيحية
- 2-6-2-1 إنجيل مرقس (Gospel Of Mark)
- 2-6-2-2 إنجيل متى (Gospel Of Matthew)
- 2-6-2-3 إنجيل لوقا (Gospel Of Luke)
- 2-6-2-4 إنجيل يوحنا (Gospel Of John)
- 2-6-2-5 إنجيل برنابا (Gospel Of Barnabas)
- 2-7 التلاميذ والرسل المسيحيون
- 2-7-1 تلاميذ المسيح
- 2-7-2 رسل المسيح
- 2-7-2-1 بطرس (Saint Peter)
- 2-7-2-2 يوحنا (Saint John)

3-2-7-2 بولس (Saint Paul)

8-2 الانتشار المسيحي في الإمبراطورية الرومانية

1-8-2 عوامل الانتشار المسيحي

2-8-2 مناطق الانتشار المسيحي في الإمبراطورية الرومانية

1- الجذور اليهودية للديانة المسيحية

1-1 اليهودية أصل المصطلح

ظهر مصطلح اليهودية للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزهم عن غيرهم ويُستخدَم المصطلح للإشارة إلى الجوانب التاريخية المتغيرة وإلى تفاعل اليهودي مع الحضارات الأخرى¹، و اليهودية إحدى الديانات السماوية التي لا تزال مستمرة إلى اليوم²، وتنسب إلى الإله (Yhwa - الرب)، وهو اسم الإله القومي لإسرائيل، ثم عرف بهذا الاسم أحد الأسباط الأثني عشر والذين سكنوا المنطقة المحيطة بالقدس³، واليهودية أيضا نسبة لجذورها اللغوي اليهود أي نسبة اليهودية للعرق اليهودي .

1-2 الفرق اليهودية

أطلق على اليهود عدة تسميات منها ما ورد في كتبهم أو في كتب التاريخ ومنها ما ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : لِعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ⁴ . وعرف اليهود عبر العصور التاريخية بأكثر من تسمية (عبري - إسرائيلي - يهودي) إن كل تسمية منها تدل على معنى خاص وتشير في نفس الوقت إلى مرحلة تاريخية معينة من مراحل التاريخ اليهودي، وقد انتشر استخدامها على نطاق واسع على الرغم من أنها أسماء مختلفة لأمر واحد⁵، وترك الشعب اليهودي التمسك بالناموس المكتوب ، أسهم في ظهور الأحزاب الدينية كما كان لندمج الكثير من اليهود في الأمم المحيطة والمؤثرة واشتركهم معهم في عاداتهم وتقاليدهم⁶.

¹ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص15.

² سعيد مراد ، المدخل في تاريخ الأديان، عين للدراسات والبحوث، مصر، ص 211 .

³ عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار البيارق، 1997، ص22.

⁴ القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 78.

⁵ محمد خليفة بن حسن أحمد ، الديانة اليهودية ، دار قباء، مصر، 1998، ص19.

⁶ حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال، دار الثقافة ، مصر ، 1981، ص106.

أثر في بروز تلك الفرق وازدياد تنوعها والاختلافات التي عرفتها لدرجة كبيرة و عميقة تمتد إلى العقائد والأصول، وبالرجوع إلى كلمة فرقة نجدها في سياقها اليهودي لا تحمل الدلالة نفسها التي تحملها في سياق ديني آخر وان اختلفت وتفرقت بين بعضها البعض.¹ ان بروز الفرق اليهودية بهذا التنوع يرجع إلى خضوعهم تحت السلطة الأجنبية و كذا تأثيرات الثقافات الأجنبية كما كان الحال في أيام الأسر البابلي والهيمنة الهلينية الوثنية ثم أيام الحكم الروماني المباشر على فلسطين في القرن الأول الميلادي.²

1-2-1 السامريون (Samaritans)

السامريون فرقة دينية يهودية تعد من أقدم الفرق الدينية في اليهودية ترجع زمنيا إلى انقسام مملكة سليمان النبي إلى مملكتين شمالية وعاصمتها السامرة، وجنوبية وعاصمتها أورشليم، ويسمى السامريون أنفسهم الشومريم" بمعنى "حراس الشريعة،³ جاء في سفر الملوك : وأتي ملك أشور بقوم من بابل و كوثر وعوا وحماة وسفر وايم وأسكنهم في مدن السامرة، عوضا عن بني إسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها،⁴ استمر السامريون في بابل على الوثنية، ثم طلبوا من ملك أشور أن يرسل إليهم كاهنا من اليهود الذين في السبي لكي يعلمهم الدين ، وان كانوا إلى جانب هذا يعبدون الإلهة الوثنية⁵، كما أنهم انتقوا من الأنبياء اليهود موسى وهارون ويوشع وأفردوهما بالنبوة دون سواهم ونسبوا أنفسهم للنبي يوسف أي بني يوسف⁶ وقد اتهموا بالانحراف عن الدين الصحيح و الوقوع في عبادة الإلهة الأجنبية.

¹ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 317.

² عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع السابق، ص 91.

³ محمد خليفة بن حسن أحمد ، المرجع السابق ، ص 202.

⁴ الكتاب المقدس ، سفر الملوك الثاني، 17 : 24.

⁵ مراد كامل، الكتب التاريخية في العهد القديم، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1968، ص 29.

⁶ محمد غالب بركات، الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث اليهودية المسيحية الاسلام ، دار الأفق العربية

، مصر، 2011، ص 47.

1-2-2 الحسيديون (Hasideans)

فرقة دينية يهودية مارست نشاطها في القرن الثاني ق.م وعلى وجه الخصوص خلال فترة الاضطهادات السلوقية حيث فضل أعضاؤها الشهادة على تدنيس السبت وهم يمثلون الأساس بالنسبة لثورة الحشمونيين، وقد انتهت هذه الفرقة بعد صراعهم مع المكابيين.¹

1-2-3 الفريسيون (Pharisees)

فرقة يعنى اسمها حرفيا "المنفصلون" أو "المعتزلون"² أو الفقهاء المقدسين³ انفصلوا عن الفرق الأخرى لأسباب تتعلق بالطهارة الطقوسية، وتم صبغ الفريسيين بالصبغة السياسية واعتبرت فرقة دينية سياسية خلال فترة الهيكل الثاني وقد تبنى الفريسيون التعليم الديني اليهودي التراثي أو التقليدي،⁴ وأصحاب هذه الفرقة أوسع انتشارا بين اليهود عن غيرها من الفرق، وهي أكثرها عدد وأقدمها نشأة وارتبطوا بالجانب العقائدي لليهودية.⁵ ويمثل الفريسيون موقف أولئك الذين ينادون بالانعزال الدائم وبالانفصال التام عن كل ما هو غريب، أما دورهم فكان يتلخص بالحفاظ على وحدة المعتقدات الروحية وسلامتها، وكانت هذه المآخذ التي بسببها نالوا تعنيف المسيح،⁶ أن عقيدة الفريسيين اعتبرت ثورية و عرفت انتشارا واسعا في صفوف اليهود منذ الحروب الكتابية في القرن

¹ محمد خليفة بن حسن أحمد ، المرجع السابق ، ص 205.

² وهم أقرب لفرقة المعتزلة الإسلامية ويسمي اليهود الفريسيون أنفسهم بالأحبار أو الربانيين أو الاخوة في الله للدلالة على سيبلهم وسلوكهم في الشريعة اليهودية . أحمد شلبي ،مقارنة الأديان (اليهودية) ،مكتبة النهضة المصرية ،مصر ،1988، ص218.

³ عبد الرزاق رحيم الموحى ،المرجع السابق ،ص62.

⁴ عرفان عبد الحميد فتاح،المرجع السابق ،ص99 .

⁵ أهم ما يميز عقيدة الفريسيين أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية الراجعة إلى موسى وأسفار التلمود ، وإيمانهم بالبعث، فتعتقد الفرقة أن الصالحين من الأموات سينتشرون في عنه الأرض ليشاركوا في ملك السبع المنتظر اللذي يزعمون أن سباني لبند الناس ويدخلهم في ديانة موسى وتذكر أنجيل السببيين أن الفريسيين كانوا من ألد أعداء عيسى بن مريم رأتهم هم الذين حاولوا أن يظهره بمظهر الداعي إلى شن حرب على طاعة روما . عرفان عبد الحميد فتاح،المرجع السابق ،ص102 .

⁶ عدنان حداد، الخطر اليهودي، دار النفائس،لبنان،1997، ص108-109.

الأول ق.م إلى غاية القرن الثاني للميلاد،¹ وفي نفس الوقت كانت لها معارضة قوية، ولعل أبرزها معارضة المسيح وكذلك الصدوقيون.

1-2-4 الصدوقيون (Sadducees)

فرقة تنكر أكثر تعاليم كتاب العهد القديم، واعتبروا أنفسهم رؤساء الكهنة حراس العبادة في هيكل القدس، يظهرون أنفسهم مرتبطين بالتوراة المكتوبة فقط ويرفضون تطورات "القانون الشفهي" وبالتالي فإنهم منغلزون على المعتقدات الجديدة التي تم إدخالها تحت التأثير الفارسي حوالي منتصف القرن الثاني ق.م.²

لا يعرف على وجه التحديد الزمن الذي ظهرت فيه، ولا إلى من تنتسب، ويزعم بعض علماء اليهود أن هذه الفرقة تنسب إلى رجل اسمه صدوق³، الذي أنشأها عام 280 ق م، واتخذ أصحاب هذه الفرقة بعض الآراء الفلسفية القديمة مثل مذهب أبيقور الفليسوف اليوناني، ولم تلقى أفكارهم القبول الكبير حيث كانوا أقلية مقارنة بباقي الطوائف، إلا أنهم من ناحية تولي المناصب والثراء المالي كانوا أكبر من الآخرين⁴، رغم أنهم أقلية وكانت لهم السطوة السياسية لفترة من الزمن، واهتموا كثيرا بعلاقة النسب والدم والمكانة الاجتماعية والاقتصادية بينما اهتم الفريسيون بالتقوى والتعليم.⁵

¹فؤاد حسنين علي، اليهود واليهودية والمسيحية، دار العالم العربي، مصر، 1968، ص 140.

² Mattei, P., CH.A.J.C. 3 Edition, Armand Colin, Paris, p33.

³ الكاهن الأكبر Zadok لقب أيضا بالحبر الأعظم، وهو الحبر الذي جاء ذكره في سفر الملوك إنه عمد النبي سليمان الكاهن الأعلى لسليمان والذي ورثت ذريته هذا المنصب حتى القرن الثاني ق م وأخذ صادوق الكاهن وعاء الزيت من خيمة الاجتماع ومسح سليمان ونادوا بالبوق، ليحيى الملك. اليهودية عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع السابق، ص 103.

⁴ مراد كامل، المرجع السابق، ص 20.

⁵ محمد خليفة بن حسن أحمد، المرجع السابق، ص 209.

1-2-5 الأسينيون (Essenes)

أسينيون من الكلمة الآرامية آسيا ، ومعناها الطبيب أو «المداوي والأسينيون فرقة دينية يهودية ظهرت حوالي سنة 200 قبل الميلاد¹، آمن الأسينيون بخلود الروح والثواب والعقاب، ووقفوا ضد العبودية والملكية الخاصة، بل ضد التجارة، وانسحبوا تماماً من الحياة اليهودية العامة.² ونعرفهم بكونهم مهدوا لميلاد المسيحية من خلال الاكتشافات الأثرية لمخطوطات البحر الميت في عام 1947م ، والتي تم العثور عليها بالقرب من مركزهم الرئيسي قمران ، انتقدوا سطوة الكهنة اليهود و انسحبوا إلى الصحراء ليعيشوا حياة التمسك والزهد كانوا يأملون أن يتم ضمان خلاص إسرائيل وتحريرها بمجيء المسيح،³ رغم العزلة والزهد الذي اتصفت بهما فرقة الإسينيين فإنها شاركت في الحروب ضد الرومان.⁴

1-2-6 الغيورون (Zealots)

اسمهم يأتي من اليونانية،⁵ و الغيورون من كلمة غيرون ترجمة للفظة قنَّائم ، وهي من الكلمة العبرية قاناً بمعنى غيور أو صاحب الحمية ، مثل الغيورون حركة ثورية باعثها الأول والمباشر هو الدين ، ويُقال أنها جناح متطرف من الفريسيين وحزب سياسي وتنظيم عسكري،⁶ وصفوا بأنهم جمع من المهووسين وعصابة من قطاع الطرق،⁷ الأمر الذي حدا بالرومان إلى تلقيب أتباعها بالقتلة (Sicaires) المشتق من كلمة (Sica) اللاتينية ومعناها الخنجر ، إذ كانوا دوماً على استعداد لاستعمال الخنجر للتخلص من خصومهم السياسيين.⁸

¹ عاصر الفريسيين و الصدوقيين في القرنين السابقين على الميلاد وحتى دمار الهيكل عام 70م على يد الرومان، أي قبل الحرب الأهلية اليهودية. عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع السابق ، ص104.

² عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص325.

³ Rouche, M., Op. Cit. p.12.

⁴ محمد خليفة بن حسن أحمد ، المرجع السابق ، ص 209-210.

⁵ Rouche, M., Op. Cit. p.12.

⁶ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص324.

⁷ عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع السابق ، ص108 .

⁸ اندريه ايمار ، المرجع السابق ، ص417.

جاء أول ذكر لهم باعتبارهم أتباعاً ليهودا الجليلي¹ في العام السادس قبل الميلاد، بعد أن حرضهم للثورة ضد الرومان لأنهم حولوا يهودا إلى مقاطعة رومانية، مسلحين بالخناجر² وذلك بعد قرار السلطة الرومانية إجراء إحصاء في فلسطين لتقدير الملكية وتحديد الضرائب³.

3-1 الكتب المقدسة عند اليهود

تدور الديانة اليهودية على مركزية الكتاب المقدس، وقد تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اليونانية في الإسكندرية، ربما من قبل سبعين مترجماً، ومن هنا جاء لقب السبعينية، في عهد بطليموس الثاني 246-285 ق.م⁴ وتتسم اليهودية بتعدد كُتُبها الدينية المقدَّسة. انطلاقاً من عدة أسباب أهمها فكرة العقيدة الشفوية التي تضيف القداسة على كتابات الحاخامات الدينية واجتهاداتهم و مرّت اليهودية كنسق ديني، بمراحل تطور تاريخية طويلة؛ متعددة ومتناقضة⁵.

1-3-1 العهد القديم (The Old Testament)

العهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود⁶، وهو مصطلح يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدَّس، بينما يُستخدم مصطلح العهد الجديد⁷ للإشارة إلى الأسفار التي تتضمنها الأناجيل الأربعة وإلى أعمال الرسل ورسائلهم، كما يشتمل على لفظ تورا في بعض الأحيان ومن الألفاظ الأخرى المستخدمة فيه، لفظ المقرأ و التناخ⁸.

¹ لعبت عائلة يهودا الجليلي دورا بارز في نشأة حركة الغيوريين وتطورها، وكانت الاسباب الدينية محركا اساسي لها، مستمدة رؤيتها ومنهجها في الكفاح المسلح من المآثر اليهودية. فقد عارض والده لحكم الطاغية هيرودس، وكانوا يقومون بأعمال مناهضة للسلطة الرومانية ولم يكن ليهودا الجليلي أو لأتباعه من هدف إلا أن يقتلوا أو يقتلوا خصومهم من المتعاونين مع السلطات الرومانية. عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع السابق، ص 109.

² Rouche, M., Op. Cit. p. 12.

³ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص 324.

⁴ Rouche, M., Op. Cit. p. 11.

⁵ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد 4، ص 83.

⁶ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 230.

⁷ التمييز بين العهد القديم والعهد الجديد نجده في أرميا ما أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا، ليس كالمهد الذي قطعته مع آبائهم.

⁸ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، المجلد 4، ص 84.

العهد القديم هو مجموعة من الأسفار المقدسة التي أعلن الله فيها ذاته للبشر وكان هذا الإعلان للشعب اليهودي أولاً،¹ وهذه الأسفار متفرقة لكتاب مختلفين عاشوا في أزمنة مختلفة خلال لمدة طويلة، ثم ضمت في كتاب واحد وهذه الأسفار ليس متماثلة في محتواها ولا طريقة كتابتها، ففيها تاريخ وفيها تراجم أشخاص وفيها شرائع وقوانين و فلسفة ومواعظ وحكمة وأمثال ونبوءات وتقسّم أسفار العهد القديم التي يعترف بها البروتستانت ثلاثة أقسام.² وزع العهد القديم على الأقسام التالية.

يبدأ العهد القديم بأسفار موسى الخمسة، وأول هذه الأسفار، سفر التكوين، و يحدثنا عن أصل العالم والبشر، ويتتبع تاريخ الإنسان والسفر الثاني هو سفر الخروج³ يسوده شخص موسى وما يرتبط به، والسفران التاليان، سفر اللاويين وسفر العدد؛ يحتويان على مزيد من أحكام الشريعة، وأغلبها ما يتصل بالطقوس، وآخر الأسفار الخمسة، وهو سفر التثنية، يورد أحكاماً أخرى للشريعة.⁴

1-3-2 التوراة (Torah)

التوراة جزء من العهد القديم عند كل من اليهود والمسيحيين⁵، والتوراة يذكر اليهود بأنها كتاب سماوي أنزله الله على موسى،⁶ وهي في أصلها كلمة عبرية بمعنى: القانون والتعليم والشريعة وهو القسم الأول من العهد القديم الأسفار الخمسة، ويعرف في العبرانية بلفظ (توره)

¹ تشكل الكتاب المقدس تاريخياً من مجموعة الأسفار التي جمعها رجال السنهدرين الذين تأثروا عقب شتاتهم في بابل و الذين رغبوا لاحقاً في الهجرة إلى أورشليم بعد سقوط بابل على يد كورش الملك الفارسي سنة 538 ق.م وقد جمع هذا الكتاب في عهد عزرا الكاتب و مجموع أسفاره تسعة وثلاثون سفراً يطلق عليه لفظ العهد القديم تمييزاً له عن العهد الجديد. سعدون الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج، الأردن، 2002، ص 167.

² أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 230.

³ مراد كامل، المرجع السابق، ص 56.

⁴ مراد سعيد، المرجع السابق، ص 230-231.

⁵ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 230.

⁶ سعدون الساموك، المرجع السابق، ص 169.

أي الهدى والإرشاد،¹ أو القانون أو التعاليم أو الشريعة، وقد يطلق مجازا على العهد القديم كله،² أما في العربية فهي مشتقة من الورى ، وكذلك أن التوراة ضياء ونور معتمدا على القرآن الكريم في قول الله تعالى : إنا أنزلنا التوراة فيها هدى.³

1-3-3 التلمود (Talmud)

عرف التلمود على كونه مجموعة الأحاديث الشفوية التي سجلت متأخرة وهي دراسة الأسفار التي وصلت إلى صورتها الكاملة في الفترة التي تلت سقوط بيت المقدس،⁴ وينظر إليه على أنه وحي سماوي أيضا⁵، وشريعة شفوية ملزمة نقلها أصحابها عبر مراحل التاريخ يفرق العلماء عادة بين تلمود أورشليمي فلسطيني غربي، وآخر بابلي⁶ تأثر بالكثير من التأثيرات التي لازمته من جراء التهجير الذي عانى منه اليهود في السبي البابلي ويتميز التلمود باحتوائه على النص الكامل للميشنا، أما تاريخه فيتصل اتصالا وثيقة بالسبي البابلي، وينقسم التلمود إلى أقسام تعرف ب السيدریم Sedarim وعددهم ستة⁷ يعالج كل سيدر منها موضوعا من مواضيع الشريعة.

¹ لم تبين التوراة طرق العبادة وطقوسها ولا حول كيفية التعبد ليهوه وان كانت قد تطورت الطقوس اليهودية الغير مرتبطة بالاله مع تطور المعتقدات اليهودية . عبد الرزاق رحيم الموحى ،المرجع السابق،ص60.

² عرفان عبد الحميد فتاح،المرجع السابق،ص72 .

³القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية :44.

⁴ سعيد مراد، المرجع السابق، ص 233.

⁵ التلمود يقدس و يحترم وينظر إليه على أنه وحي سماوي ومن ناحية أخرى يحارب ويقاوم و يحتقر وينظر إليه على أنه من وضع الشيطان ، عن البعض، فأنصاره يعتبرونه نبع الفضيلة والمعرفة وخصومه ينظرون إليه وكأنه أصل الرذائل و النقائص ففي فلسطين نجد كثيرا من القوانين والشرائع مستخدمة مئات السنين حتى بعد هدم المعبد بينما في بابل لا وجود لها لذلك نجد كثيرا من الاضطراب في هذا التلمود الفلسطيني لعدم وجود معاهد علمية في فلسطين بخلاف الحال في بلاد بابل لذلك لم يحظ من المؤمنين بالتلمود بشيء كبير من التقديس . فؤاد حسنين علي،المرجع السابق،ص139.

⁶ التلمود البابلي يغاير الفلسطيني ومن العلماء اليهود من يطلقون على البابلي إسم وتلود ديلن، أي تلمودنا وقد أشتهر بين يهود السبي بالاهتمام بالشريعة . فؤاد حسنين علي،المرجع السابق،ص139.

⁷ عرفان عبد الحميد فتاح،المرجع السابق،ص89 .

4-3-1 المشنا (Mishnah)

المشنا كلمة مشتقة من فعل شانا العبري والفعل الآرامي (تانا) بمعنى يدرس، ويعني لفظ المشناه الشريعة المكررة أي تكرار شريعة موسى¹، يشمل المشنا الشريعة المعروفة باسم هالاخاه (Halacha) ويعني الإتيان، وهي الإضافات التي أضافها الآباء الأولون إلى التوراة. وقد جمعت المشنا في حوالي عام 200م.²

4-1 مفهوم الإلوهية عند اليهود

ظلت فكرة الإلوهية مضطربة في عقول اليهود فصوروا الله في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من الصفات التي لا تليق به كالنقص والضعف والكذب والغفلة والجهل³ وذلك لعبثية الإله يهوه في العقاب والجزاء حيث يرسل العقاب على شعبه دون سبب مفهوم وبكل قسوة⁴. يعود ذلك إلى الاعتقاد بتطور بالإله عندهم حيث مر بمراحل مختلفة ومتعاقبة تشكل فيها مفهوم الإلوهية من اله للجبال، ثم اله للقبيلة في المرحلة القبلية للشعب اليهودي، ثم اله مركزي بعد السبي البابلي.⁵

جعل اليهود الإله الواحد يهوه إلها للإسرائيليين فقط و أطلقت عليه لقب "إله إسرائيل"⁶ لتمييزه عن بقية الإلهة وهذا معناه أن التوحيد أصبح توحيدا خاصا لا علما كما أن الإله الواحد

¹ سعدون الساموك، المرجع السابق، ص 184.

² عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع السابق، ص 85.

³ سعدون الساموك، المرجع السابق، ص 190.

⁴ فراس السواح، 2001، المرجع السابق، ص 260.

⁵ يوسف عيد، الديانة اليهودية، دار الفكر، لبنان، 1995، ص 65.

⁶ يستدل من أسفار اليهود على أنهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة فكانوا يرون أن إلها خاص بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى وأنهم هم أولاده وأحبائه. إلا أنه يتصف بصفات البشر فيجادل ويأمر وينهي ويتدخل في شؤون الأمة التافهة منها و الهامة ويندم ويتذكر ويخاصم ويقهر ويعقد العقود والمواثيق ويشدد غضبه وينتسفي ويحقد ويفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء. سعدون الساموك، المرجع السابق، ص 190.

أصبح إلهها واحدا خاصا بالإسرائيليين¹، مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى للشعوب الأخرى، نتج عن هذا الفهم تخليهم عن فكرة التبشير والتحمس لها لغير اليهود، فإسم الله هو " إهيه " في العبرية²، كما أن فكرة خلق يهوه³ للعالم ليست قديمة ولا ترجع إلى الدين العبرى في صورته الأولى،⁴ بل تم استيرادها تحت تأثيرات خارجية، ما يسفر تعدد أسماء الإله نفسه في اليهودية منها يهوه وبعل وإيل وألوهيم.⁵

1-5-2 الانتشار اليهودي خارج فلسطين

استوطن اليهود في المنطقة الجغرافية لفلسطين⁶ بعد أن هاجروا إليها مع موسى عليه السلام فرارا من مصر، وعبروا نهر الأردن إليها، وكانت فلسطين تعرف قبل ذلك بأرض كنعان⁷نسبة إلى قبائل الكنعانيين وبهذا كانت فلسطين مسرح الفوضى والاضطرابات و القتال زمنا طويلا من أجل السيطرة عليها، واجتاحتها بعد ذلك غزوات استمرت حتى الفتح

¹ يهوه يأمر بالأخلاق ثم ينحرف بسلوكه عن كل فعل أخلاقي وذلك ما يؤدي بنا إلى عدم استخلاص منظومة أخلاقية من التوراة. فراس السواح، 2001، المرجع السابق، ص 245.

² يرى بعض العلماء أن الجذر الذي اشتق منه إسم يهوه يبدو أنه هوى بمعنى سقط، فيكون معني يهوه و المسقط و أن الذي يسقط بيرقه الأعداء والأمين. ويرى بعض العلماء أن يهوه يتصل معناه بالفعل العربى هوى الذي منه الهواء، أي أنه إله العاصفة. مراد كامل، المرجع السابق، ص 34.

³لنسنا نعرف متى ظهر اسم يهوه أول مرة والأرجح أن ذلك كان بعد أن استوطن اليهود كنعان وكان النطق بهذا الاسم محظورا إلا في مقامات خاصة. يوسف عيد، الديانة اليهودية، دار الفكر، بيروت، 1995 ص 197

⁴ مراد كامل، المرجع السابق، ص 34.

⁵ عبد الرزاق رحيم الموحى، المرجع السابق، ص 64.

⁶ نسبة إلى الفلسطينيين Philistines يعدون من السكان الأصليين للمنطقة و أصل هؤلاء من "شعوب البحر المشهورين في التاريخ القديم والذين أتوا من العالم الإيجي بعامة وانتشروا فجأة وبصورة كبيرة شرق المتوسط نتيجة اضطرابات في موطنهم لعلها نجمت بدورها عن تدفق الإغريق. فقدر للفلسطينيين أن يستقروا على ساحل ارض كنعان في 1200ق.م، أي أيام حروب طرواده، حيث أعطوها اسمهم منذئذ. جمال حمدان، المرجع السابق، ص 57.

⁷ ارض كنعان أساسا، نسبة إلى سكانها الكنعانيين. والكنعانيون في التوراة أبناء كنعان بن حام بن نوح، وهم أول من سكن فلسطين على ارجح الآراء. وفي الدراسات السامية القديمة ان الكنعانيين - هم الآخرين - قبيلة سامية من الساميين الشماليين، جاءت أصلا من الجزيرة. جمال حمدان، المرجع السابق، ص 55.

الإسلامي وقعت البلاد خلال تلك الفترة في قبضة البابليين¹ والأشوريين والمصريين والفرس واليونان والرومان.

انتشر اليهود² على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط، واستخدموا اللغة اليونانية التي اتخذوها وسيلة للتخاطب عندما طردوا من فلسطين.³ ونسجل تأسيس مجتمع يهودي كبير خارج فلسطين في سوريا بالتحديد منذ فترة طويلة، وفقاً لجوزيفوس (Flavius Josephus)، يعود تاريخه إنشائه إلى 300 ق.م، حيث منحهم السلوقيون حقوقاً محددة تسمح لهم بالعيش وتنظيم أنفسهم وفقاً لعاداتهم الخاصة، والتي كانت تميزهم حتماً عن المواطنين اليونانيين.⁴

كانت المدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مختلطة السكان، ومعظمهم من الوثنيين، إلا أنه يلاحظ أن لليهود المشتتين في العالم القديم (أنظر الملحق 05) الأغلبية في منطقتين فقط: الجليل ويهودا حول القدس⁵، ولعب الجليل دوراً مهماً كمقر لنخبة يهودية حضرية ذات علاقات تجارية ممتازة ومكانة جيدة مع روما، على الرغم من أن القرن الأول الميلادي كان لا يزال يغلب عليه الطابع الريفي وتحول في فلسطين، وشهدت منطقة الجليل أيضاً حركية تنقل عبرتها السلع والأشخاص لترابط بين المدن الكبيرة على الساحل (من، صور، صيدا) ومن الشرق (حيث سوريا)، مما جعل سكانه يصطبغون بالصبغة الهيلينية التي كان

¹ بدأ انتشارهم مع الغزو البابلي عام 587 ق.م وكانت عشر قبائل من القبائل الاثنتي عشرة قد زالت من الوجود بالطبع عام 722 ق.م مع الغزو الأشوري. وترك الغزو البابلي يهودا وقد نقص سكانها الى حد كبير بعد أن أرسلت الطبقة الحاكمة إلى السبي. إلا أن كثيراً من اليهود فروا إلى مصر حيث استقر بعضهم في العاصمة ممفيس واستقر البعض الآخر في الأقاليم وتزوج كثير منهم من مصر. رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة، المكتب المصري للنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص160.

² ارتبط اليهود مع النبي إبراهيم الذي ظهر مع قومه في القرن الثامن عشر ق.م كجماعة من الرعاة الرحل ومن قبل كان إبراهيم وقومه قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التي نشئوا فيها كجماعة من الجماعات السامية العديدة الراحلة إلى منطقة الهلال الخصيب، هجرة إبراهيم إلى فلسطين وإن كانت أولي هجرات القبائل اليهودية فإنها لم تكن الأخيرة، ذلك أنهم لم يأتوا مرة واحدة كجسم موحد، وإنما على عدة دفعات جاءوا ومن عدة طرق وتحت عدة قيادات. جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، دار الهلال، 1996، مصر، ص 53-54.

³ رشاد الشامي، المرجع السابق، ص159.

⁴ Levieils, X., Contra Christianos, Walter De Gruyter, Usa, 2007, p.50.

⁵ Mattei, P., Op. Cit. p.33.

لها تأثير على مجتمع الجليلي عموماً.¹ هذه الحركية مهدت لاحقاً لتكون خلفيات المسيحية متشعبة بالثقافة الهيلينية وبالتنوع في الثقافات والمعتقدات كونه ملتقى الطرق إضافة إلى كونه محل أطماع السلطة لكونه مركز مالياً ومكان لتجمع الثروة .

1-2-5-1 اليهود تحت النفوذ الروماني

دخل اليهود تحت النفوذ الروماني بعد أن انتهى الصراع على السلطة بين بومبي ويوليوس قيصر، الذي أنهى الحكم الجمهوري، وتم تولية هيرود الأكبر -الأدومي- Herod the Great في 37 ق.م مكلفاً من قبل الرومان على المنطقة² في فلسطين، وعرفت فترة حكمه صراعات مستمرة مع اليهود³.

كان هيرودوس تابعاً لروما تبعية تامة في كل ما له علاقة بالسياسة الخارجية؛ ونجح نجاحاً باهراً في استغلال الصراعات بين القادة العسكريين الرومان الطامحين في الاستيلاء على السلطة، أما في ميدان السياسة الداخلية فقد سلك هيرودوس سلوك الاضطهاد، فقمع بقسوة كبيرة كل بادرة من بوادر السخط وقتل كل خصم محتمل له.

لم يستطع السكان اليهود إلا أن يكونوا تحت سحر الثقافة الوثنية المتطورة التي واجهوها وليس من المستغرب إذن أن تختار أعداد كبيرة من اليهود الخروج عن تقاليدهم وحاولوا الاندماج في المجتمع الوثني، و تخلى اليهود عن لغتهم الخاصة وتبنوا اللغة اليونانية العالمية ، حتى أنه تم استخدامها في خدمات المعبد ، و صورّ اليهود الهيلينيون مثلاً في الإسكندرية يهوه على أنه إله عالمي .⁴

¹ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.71.

² كان هيرود أدوميا من جهة الأبوين، ولهذا لقب بهيرود العربي. لأن الأدوميين ينتمون إلى الذخيرة السكانية لشبه الجزيرة العربية. وفي القرن الأول ق.م كانوا قد ذابوا في الجماعات النبطية العربية التي استقرت في مناطقهم التقليدية الواقعة إلى الجنوب من البحر الأحمر باتجاه خليج العقبة. فراس السواح،الوجه الآخر للمسيح،دار علاء الدين،دمشق،2004،ص108.

³ فراس السواح،2004،المرجع السابق، ص108.

⁴ Freke ,T.,Gandy.P.,The Jesus Mysteries, Harper Collins ,Uk,2000,p.125.

في نفس الوقت صور اليهود الهيلينيون الوثنية واليهودية كأجزاء من نفس التقليد الديني، هذا ما جعلهم يسعون إلى إدخال المفاهيم والفلسفة الوثنية في اليهودية، حيث نشهد في القرن الثاني، تُرجمت الكتب المقدسة العبرية إلى اليونانية تحت تأثير الفلسفة الأفلاطونية.¹

إلا أن الشعب اليهودي بقي أسير اعتقاد ديني ضيق متحجر العقيدة مما أفضى به إلى الإيمان الراسخ بأنه شعب الله المختار بدون منازع والإله الذي قطع على نفسه عهد الحفاظ على سلامة الشعب اليهودي وبالسهر على ديمومة أمجاده، إن هذا الاعتقاد لعب دوراً مهماً في سياق، نظرة اليهود لأنفسهم وللعالم،² وهو ما انعكس لاحقاً على علاقتهم بالمسيحيين.

2- الديانة المسيحية

قبل الحديث عن المسيحية وسياقاتها وتطوراتها وجب التنويه إلى وجوب الفصل بين السياق الديني الذي يرتكز على رؤيتنا للمسيحية كديانة سماوية تصدر عن الله وبين المسيحية التاريخية وما يرتبط بها من مواضيع، ما يسمح لنا بأخذ مساحة أكبر للتأويل والنقد والتفحص، ومن ثم كي لا نخرج عن السياق التاريخي الذي توطئه هذه الدراسة ونغوص في التفسيرات اللاهوتية للتاريخ الكنسي المسيحي، فالمسيح مثلاً في المخلبة الدينية وبنائه العقائدي سواء عند المسيحيين أو المسلمين - مع تسليمنا بالاختلاف الجذري بين الديانتين حول طبيعة المسيح - يختلف تماماً عن المسيح التاريخي وما يحمله من تناقضات وتغيرات طرأت عليه نتيجة التأثيرات الوثنية من جهة والتأثيرات اليهودية من جهة أخرى، تماماً مثلما حملت المسيحية جملة تلك التغيرات والتطورات في مسارها خصوصاً خلال القرون الخمس الأولى للميلاد.

¹ Freke ,T.,Gandy.P.,Op.Cit.p125.

² عدنان حداد، المرجع السابق، ص 107-108.

1-2 الخلفية اللغوية والتاريخية لمصطلح المسيحية

1-1-2 الخلفية اللغوية لمصطلح المسيحية

المسيحية في أصلها اللغوي من الفعل " م س ح " أي مرر يده على الشيء¹ وأشتق فعل المسح في الموروث اليهودي والمسيحي من عادة المسح بالزيت والدهن في التراث اليهودي والمسيحي،² حيث يقول المسيح في ذات السياق: "الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي بالعتق وللمأسورين بالإطلاق"³.

ترادف لفظ المسيحية بمصطلح النصرانية نسبة إلى قرية الناصرة في فلسطين(أنظر الملحق 06)، والنصرانية أيضا من النصارى أي أمة وأنصار⁴ يحمل المصطلح دلالة تماثل دلالة مصطلح المسيحية لتعبر النصرانية عن الديانة المسيحية المنزلة على المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته عليه السلام. وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام، المبشر به في التوراة،⁵ نبيا إلى بني إسرائيل ، لكنها سرعان ما فقدت أصولها مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها ، حيث ابتعدت كثيرا عن صورتها السماوية الأولى ، لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.⁶

¹ الفيروز أبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، 2005، ص245.

² عرفت عادة المسح بالزيت أو الدهن المقدس في العالم القديم من قبل الإسرائيليين كعلامة تقديس وتكريس للآلهة . فكان المسح بالزيت المقدس على تماثيل الآلهة معروفا في مصر الفرعونية وأيضا في بابل بالعراق . ومنهم أخذ الإسرائيليون هذه العادة. وكان المسح بالزيت أو الدهن في بني إسرائيل على نوعين : إما مسح عادة : مثل دهن الرؤوس بالدهون العطرية أيام الأعياد والأفراح وفي حالات الحزن يترك التدهن بالطيب كعلامة على الحزن وإما مسح عبادة : مثل مسح بعض أدوات العبادة وأماكنها بالزيت المقدس ، ومسح الملوك بالزيت المقدس . ومسح الكهنة بالزيت المقدس ليكونوا مُسَحَّاء أيضا وفي الحقيقة لم يكونوا يُمَسَّحُونَ بالزيت، ولكنهم كانوا يُمَسَّحُونَ بالمعنى المجازي. جمال الدين شرقاوي ، المسيح والمسيا ، دار الناظفة، مصر، 2006، ص10.

³ الكتاب المقدس ، سفر أشعياء ، الاصحاح : 61 ، 1 .

⁴ الناصريون ، أتباع المسيح اليهودي المرتبط بقرية الناصرة . Di Berardino,A.,Op.Cit.p.504 .

⁵ ابي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، الحلبي وشركائه للنشر، القاهرة، 2014، ص244.

⁶ سلطان عبد الحميد سلطان ، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية ، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1990، ص5.

2-1-2 الخلفية التاريخية لمصطلح المسيحية

يقول القديس بولس: "كل الأشياء خُلقت بالمسيح وللمسيح: وهو قبل كل شيء وفيه تتماسك كل الأشياء. وهو رأس الجسد ، الكنيسة، البكر من الأموات ، حتى يكون له السيادة في كل شيء.¹ ويقول المؤرخ فيليب شاف (Philip Schaff) : " إن تاريخ المسيحية هو تاريخ الكنيسة هو نشوء مملكة السماء على الأرض وتقدمها ، لمجد الله وخلص العالم، يبدأ بخلق آدم ، وتنتهي بالمسيح ، إله الإنسان ومخلص العالم ، إلى الحياة الأبدية".²

قُدِّمت المسيحية المبكرة بالتالي على أنها رسالة أخروية تركّز على الحكم والخلص وفق، تعاليم المسيح والتي، كان المسيح يُبشّر فيها بنهاية هذا العالم والزمن الحالي، وباستبداله بـ "ملكوت الرب". بعد الصلب والقيامة³ و في الواقع ، لا توجد مصادر مرجعية ودقيقة تمامًا ، للحديث عن "المسيحية في بدايتها" إلا أنها كانت في الغالب تشير إلى حركة دينية كانت منبثقة ووليدة اليهودية وبين أحضان الشعب اليهودي،⁴ تم انتشارها لأول مرة فلسطين حوالي عام 30 م منفتحة بالكاد على الثقافة اليونانية الرومانية، و سرعان ما تواصلت مع تلك الثقافة من خلال يهود الشتات الذين حافظوا على روابطهم مع فلسطين،⁵ وفي غضون عقدين على الأكثر ، انتشرت الحركة إلى مناطق أخرى، سواء الحدودية منها أو البعيدة، بعد أن كانت المسيحية حكرا على اليهود فقط ، لتشمل غير اليهود، أي الوثنيين السابقين في كل المناطق.⁶

¹ رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس 1: 18 و 1: 16.

² Schaff ,Ph., H.CH.CH. Christian Classics Ethereal Library, 5 Edition ,Vol 1, 2002,p.8.

³ Jones ,L.,Op.Cit.p.2853.

⁴ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.185.

⁵ Di Berardino,A., Ency.A.CH. The Institutum Patristicum Augustinianum,Usa,2014 ,p.505.

⁶ Hurtado, L., Destroyer Of The Gods Early Christian Distinctiveness In The Roman World , Baylor University Press,2016,p.10.

اخترقت فكرة المسيحية حدود اليهودية القومية¹ و أكدت نفسها كمبدأ منفصل ومستقل ، مختلفة عن جميع الخصائص القومية لليهودية تم التعبير عنه في شخص المسيح ،¹ الذي يعتبر فيها المؤسس لمعتقداتها وممارساتها.

مع حلول أواخر القرن الأول الميلادي ، بدأ يُشار إلى أتباع هذه الحركة من قبل الوثنيين على أنهم مسيحيون ؛ وبحلول القرن الثاني الميلادي ، أصبحت الحركة تُعرف باسم "المسيحية" ، و بعد فترة وجيزة من موت المسيح ، انبثق بين أتباعه قناعة قوية بأن الله قد أقامه من الموت ورفعته إلى المجد السماوي ، وبالتالي وصف المسيح بأنه المسيح والرب في وقت واحد أنتج هذا الاقتناع توجه ديني جديد بل وأكبر بين أتباع المسيح² ، الذين كانوا أول من أطلق عليهم لقب "مسيحيين" وكان ذلك في أنطاكية بسبب النشاط المكثف لكنيسة أنطاكية بعد انفتاح الإنجيل على العالم الخارجي³ بداية من منتصف النصف الثاني من القرن الأول، ويبدو أن مصطلح "المسيحية"⁴ نفسه قد استخدم لأول مرة من قبل إغناطيوس الأنطاكي ، في أوائل القرن الثاني الميلادي.⁵

على أنه يوجد طرحان لتسمية أتباع المسيح بالمسيحيين : الأول يدافع عن فكرة أن السلطات الرومانية في أنطاكية هي التي سميت التلاميذ بهذه الطريقة ، الذين ميزوا أنفسهم أكثر فأكثر بوعظهم الثوري والديني والثاني يعتبر أن التلاميذ أنفسهم هم من تبناوا هذا الاسم لكي يظهروا طواعية انتمائهم للمسيح.⁶

¹ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.186.

² Hurtado, L., Op.Cit.p.10.

³ Leveils,X.,Op.Cit.p.51.

⁴المصطلح الذي استخدمه كل من ناسيتوس وسوتونيوس لوصف المسيحية ، "الخرافة" (لاتينية: Superstitio) ، يشير إلى المعتقدات والطقوس الدينية التي اعتبروها مفرطة أو بغیضة أو حتى وحشية . Hurtado, L., Op.Cit.p.28.

⁵ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.183.

⁶ Leveils,X.,Op.Cit.p.51.

يشير لقب المسيحي إلى أي شخص يصرح بالعبادة التي أعلنها المسيح، كصفة تصف كل ما له علاقة بشخص وعمل المسيح ، بينما ظل أصحاب الكتابات الكنسية وبعض الكتابات الرسولية ، يُطلقون على أنفسهم لقب "قديسين ، مختارين ، مؤمنين" ، لأن إعلان المرء عن نفسه مسيحياً بمثابة اعتراف بالإيمان الجديد.¹ وما يحمله هذا الاعتراف من تحديات أمام المجتمع الوثني والسلطة نفسها .

2-2 الخلفية اللغوية والدينية للمصطلح المسيح

1-2-2 الخلفية اللغوية للمصطلح المسيح

المسيح من الفعل مسح في اللغة العربية والمسيح هو الممسوح أو المدهون بالزيت المقدس ، وفي العبرية من الفعل العبري م ش خ أي مَسَحَ،² أو مَشِيح (Marriah) و يذكر المسيح باسم يسوع الناصري ، نسبة لمنطقة ولادته بالناصرة.³

اقترن المسيح و سمي في الأدبيات المسيحية بالاسم المؤلف "يسوع" (Yeshu'A) ،⁴ والتي تعنى في أصلها العبري الله يخلص⁵ كما نجد أن كلمة مسيح لهذا جذور لغوية أرامية فقد ترجمت في اليونانية (Chrestos) والتي تعني الذي أعطى المسيح⁶. وانتقلت إلى العربية ومنها إلى الفارسية والتركية بلفظ عيسى وهو اسم معرب لكلمة (يوشع) يسوع،⁷ ونقلها الرومان لاحقاً بلفظ (Lesus)،⁸ ثم (Jesus) حالياً.

¹ Di Berardino,A.,Op.Cit.p.504

² جمال الدين شرقاوي،المرجع السابق،ص12.

³ حنا جرجس الخضري، المرجع السابق ،ص40.

⁴ ول ديورنت ،قصة الحضارة، ج 3 ، المجلد 3 ،تر محمد بدران ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع،ص213.

⁵ حنا جرجس الخضري، المرجع السابق ،ص40.

⁶ Rouche,M.,Op.Cit.p.12.

⁷ أنمار أحمد محمد ،اللاهوت المسيحي نشأته وطبيعته،دار الزمان ،سوريا،2010،ص32.

⁸ ول ديورنت ،المرجع السابق ،ص213.

2-2-2 الخلفية الدينية لمصطلح المسيح

تحمل أسفار العهد القديم العبري أي النسخة العبرية التي كتبت بواسطة أحبار اليهود في القرن العاشر الميلادي،¹ عدة كلمات تدل على معنى المَسْحُ والدَّهْنُ بالزيت المقدس، منها على سبيل المثال كلمة ماشاخ التي وردت في الترجمات العربية معبرا عنها بالكلمات : مَسَحَ وَمَسَحُوا وممسوحين وَمَسَّحِهِ وَمَسَّحَتِهِ ، وأيضا : مَدَّهُونَةً وَدَهْنُهُمْ² حيث ورد في الكتاب المقدس: فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال أليس الآن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا.³

يكون المسح في جميع هذه الحالات بزيت مخصص وبواسطة شخص معين وبطريقة خاصة ، فكانوا يطلقون على كل هؤلاء الممسوحين حسب الترجمات المتداولة للعهد القديم مُسَحَّاءَ و ممسوحين⁴ ، و أعطى لقب المسيح من قبل ملوك إسرائيل بعد مسحهم وبذلك يصبح الملك مسيح الرب⁵.

كانت هناك إشارات حتى للأباطرة الرومان الذين طابق اليهود بينهم وبين المسيح المنتظر ونخص بالذكر هنا قيصر ، وذلك على ما يبدو نتيجة أعماله تجاه اليهود وتسامحه معهم أثناء فترة حكمه.⁶

أما في الشريعة الإسلامية المسيح هو عيسى ابن مريم بنت عمران رسول الله وكلمته عليه السلام، المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام، المبشر به في التوراة، اختصه الله بجملته

¹ أصح ترجمة اعتمد عليها كاتبو الأسفار المسيحية هي النسخة السبعينية التي كتبت في الإسكندرية من قبل ميلاد المسيح

ابن مريم بحوالي مائتين وخمسين سنة . وفي هذه النسخة السبعينية . جمال الدين شرقاوي، المرجع السابق، ص 14.

² جمال الدين شرقاوي، المرجع السابق، ص 12.

³ الكتاب المقدس ، سفر صموئيل الأول، الاصحاح: 10 ، 1 .

⁴ جمال الدين شرقاوي، المرجع السابق، ص 11.

⁵ حنا جرجس الخضري، المرجع السابق ، ص 40.

⁶ Strauss, B., Op. Cit. p. 42-43.

من الآيات ظاهرة¹، ذكر في ثلاث عشرة سورة من القرآن الكريم في ثلاث وثلاثين آية منه تحت اسم " عيسى " ، ومرة بلفظ " المسيح " ، ومرة بكنيته " ابن مريم " .²

2-3 حياة المسيح قبل البعثة

تصفح الأنجيل يعطي دلالة واضحة أن تدوينهم لحياة المسيح ، لم يكن سوى أن يربطوا في كثير أو قليل من المهارة بين أطراف من المرويات ، وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية ، نلاحظها في إنجيل مرقس الذي بلغ به الحرص أن تحاشي الحديث عن مولد عيسى وطفولته.³

ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام⁴ ، خلال عهد الإمبراطور أوغسطس (27ق.م - 14م)⁵، في السنوات الأخيرة لحكم الملك هيرودس الكبير ، الذي مات على الأرجح في سنة 4 م⁶، وبذلك يكون ميلاده عليه السلام حوالي 2 ق م⁷ في بيت لحم القائمة على بعد خمسة أميال جنوبي القدس في الجزء الشمالي من فلسطين ، و يقول لوقا أن أسرته انتقلت منها إلى الناصرة⁸ ، أما مرقس فلا يذكر بيت لحم،⁹ وإنما يشير إلى الجليل حيث كانت غالبية

¹ أبي بكر الشهرستاني، المرجع السابق، ص244.

² سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص18.

³ شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، تر عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، لبنان، ص29.

⁴ أم المسيح مريم عليها السلام هي مريم بنت عمران بن ماثان وأمها حنه بن فاقوذا . خليل طاهر، الأديان والانسان اليهودية المسيحية الإسلام، دار الفكر والفن، مصر، 1986، ص270.

⁵ حافظ أحمد غانم، المرجع السابق ، ص117.

⁶ Mattei, P., Op. Cit. p. 82.

⁷ ول ديورنت ، المرجع السابق ، ص213.

⁸ يرى بعض المؤرخين أن الناصرة لم يكن لها وجود أصلا في القرن الميلادي الأول، ولكن أعمال التنقيب الأثري كشفت عن آثار مستوطنة في المكان الذي قامت عليه الناصرة ، يرجع تاريخها إلى القرون الأخيرة السابقة على التاريخ الميلادي. كما عثر أيضا على نقش أحصيت فيه الأماكن التي توزع عليها الكهنة بعد دمار أورشليم على يد الرومان في العام 70م. وقد ورد اسم الناصرة بين تلك الأماكن. اس سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية خفايا القرون ، تر حسان مخائيل اسحاق، ط2، دار علاء الدين ، سوريا، 2007، ص71.

⁹ لزه خديجة، التعاليم المسيحية في رسائل القديس بولس الرسول ، رسالة ماجستير في مقارنة الأديان، جامعة الجزائر 1 2011-2012، ص23.

الشعب من البسطاء المتدينين المهتمين بالمسائل الدينية والنبؤات ، مترقبين في قلق تلك المعجزة الباهرة التي سوف يثاب بها اليهود على تقواهم ، والتي سوف تجعلهم ملوكا في الأرض.¹

وتدعم تلك الرغبة روايات عن أناس من المجوس قد جاءوا من الشرق إلى اورشليم قاتلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمة في المشرق و أتينا لنسجد له ،² يقول متى «وأنت يا بيت لحم التي في أرض يهوذا، لست أقل شأنًا من أرض يهوذا الأخرى؛ فمنك يخرج الراعي الذي يرعى شعبي.³

يقدم المسيحيون رؤيتهم لمريم من خلال ميلاد المسيح حيث أنها لما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا (جنسيا) وجدت حبلى من الروح⁴ في النص غير الكنسي ، أن المسيح أمضى سبعة أشهر فقط في رحم مريم⁵ نجد في إنجيل لوقا :

صعد يُوسُفُ أَيضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكُونِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِدْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزَلِ. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجَّدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكُ: «لَا تَخَافُوا! فَهِيَ أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِدْوَدٍ». وَظَهَرَ بَعَثَةً مَعَ الْمَلَائِكِ جُمُهورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ».⁶

¹ شارل جنيبير، المرجع السابق، ص36.

² محمد خليفة بن حسن أحمد ، المرجع السابق ، ص 42.

³ الكتاب المقدس، انجيل متى، الأصحاح: 2، 6.

⁴ أحمد عبد الوهاب ،المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ط2، مكتبة وهبة ،مصر، 1988، ص 78.

⁵ Freke ,T.,Gandy.P.,Op.Cit.p.23.

⁶ الكتاب المقدس، انجيل لوقا، الأصحاح: 2، 1- 20.

تعتبر مريم العذراء في المسيحية أم الرب، تماما مثل ابنها الذي أخذ صفة الإله وصعدت رففته جسدياً إلى السماء وتم تكريمها كـ "والدة الرب" وحصلت أيضاً على صفة الخلود مع ابنها.¹ وبولادة المسيح من مريم وظهوره من بلدة : الخليل ، تؤكد نبؤة بعث المسيح المنتظر في اليهود حيث نجد :وانه من سبط يهوذا" لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب. رابطاً بالكرمة جحشه وبالجنه ابن أتانه غسل بالخمير لباسه وبدم العنب ثوبه"² وهو ما تخوف منه الملك هيرودس الأكبر ملك اليهود في ذلك الوقت فأصدر أمره بقتل الأطفال الذين تبلغ أعمارهم سنتين على الأكثر.³

والذين يولدون في بيت لحم أو الخليل والبلدات المجاورة لها لأن المسيح لا بد أن يكون أحد المولودين هناك ، ورأى زكريا أن حياة مريم والمسيح أصبحتا في خطر كبير وخاف عليهما من غدر هيرودس و بطش رجاله فطلب من مريم أن تهجر وابنها إلى مصر،⁴ والتي كانت في حالة سياسية واجتماعية أكثر أمن وسلامة وأيضاً لقرب المسافة مقارنة مع أقطار أخرى .

ساق لنا لوقا أيضاً وصفا لزيارة مريم إلى زوجة زكريا، إذ قضت عندها ثلاثة أشهر، ولا يعود إنجيل لوقا إلى مريم بعد ذلك سوى مرة واحدة عندما جاءت مع المسيح ويوسف إلى أورشليم في الفصح، وحسب الأناجيل اليهودية - المسيحية، أن المسيح تخلى عن والدته وأخوته.⁵ وذلك على ما يبدو لتكريس صورة التضحية الفردية والتوجه نحو رعاية شؤون البشر من الذين يكفر عنهم المسيح خطاياهم ويحمل عنهم معاناتهم ولو على حساب عائلته في صورة تعبر عن معاناة الإله تجاه أتباعه. إن هذه الأناجيل غالباً لا تتفق على الإطلاق على ما حدث، فالتناقض الأكثر إثارة للتساؤل هو بين سلاسل الأنساب الواردة في إنجيل متى وإنجيل لوقا، يذهب كلا المؤلفين إلى أبعد مدى ليظهرا أن المسيح ينحدر من سلالة داود، كما يجب أن يكون المسيح الموعود وفقاً للمعتقدات اليهودية، يرى كلا المؤلفين أن المسيح قد ولد من قبل يوسف، لكن هل يوسف ولد ليعقوب، كما يدعي متى، أم هيلي

¹ ل زهر خديجة، المرجع السابق، ص 25-26.

² الكتاب المقدس، سفر التكوين، الأصحاح: 49، 10، 11.

³ Mattei, P., Op. Cit. p.82.

⁴ خليل طاهر، المرجع السابق، ص 270.

⁵ اس سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص 192.

، كما يدعي لوقا ، تختلف سلالات العائلة التي يقدمها الإنجيلان تمامًا عن بعضهما البعض و لا يوجد أي تشابه بينهما على الإطلاق.¹

وصلت الأسرة المقدسة إلى مصر ، عن طريق صحراء سيناء ودخلوها من العريش ثم اتجهوا غربا حتى عبروا النيل إلى غاية مدينة أسيوط القديمة التي كانت تقع عند سفوح الجبال بجوار الضفة الغربية للنيل واستقرت بها² مدة من الزمن نشأ فيها المسيح وتكون بين أهلها وعاداتهم وثقافتهم حتى بلغ الثانية عشر من عمره، ليصدر في فلسطين قرار بالإحصاء السكاني من قبل السلطة الرومانية ، وقد طلب من السكان الأصليين أن يذهب كل واحد إلى مسقط رأسه، ويسجل اسمه فيها.³

يذكر لوقا ذلك بالقول : **وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أَوْغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الْاِكْتِتَابُ الْأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينْيُوسُ وَالْيَ سُورِيَّةَ. فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ.**⁴

قررت السيدة مريم الرجوع إلى فلسطين والناصره بالتحديد والتي استقروا بها لاحقا، ولم يعرف إلا القليل عن نشأة المسيح فيها وليس لدينا من الوثائق التي تشير إلى لون حياته أو نوع التعليم الذي تلقاه ، والغالب أنه تفقه على يد علماء الخليل وتلقى عنهم أحكام الشريعة اليهودية وفقه التوراة،⁵

¹ Freke ,T.,Gandy.P.,Op.Cit.p.97.

² لم يتفق المؤرخون حول المدة التي قضتها الأسرة المقدسة منذ خروجها من أرض اسرائيل ، حتى رجوعها من مصر اليها ، فقدرها بعضهم بستة أشهر ، وبعضهم بسنة ، وبعضهم بسنتين ، وآخرون بأربع سنوات. سلطان عبد الحميد سلطان،المرجع السابق،ص41.

³ خليل طاهر،المرجع السابق،ص 273.

⁴ الكتاب المقدس، انجيل لوقا الاصحاح: 2، 1-20.

⁵ خليل طاهر، المرجع السابق، ص 273.

غير أن جل المعلومات عن طفولته وشبابه تبقى قليلة،¹ وأحيانا متناقضة،² خاصة في ظل الاختلاف والتضارب حول نسبه في الأناجيل والمرويات المسيحية عموماً.³

4-2 بعثة المسيح ومعجزاته

1-4-2 بعثة المسيح

جاء المسيح حسب المسيحيين ليعمد عند نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان وهو يبلغ من العمر وقتها خمسة عشر سنة و كان يأتي من البيداء إلى نهر الأردن يدعو الناس إلى التوبة والتطهر من النجاسات.⁴ يذكر أصحاب الأناجيل الأربعة في بدء نبوة عيسى أن يوحنا المعمدان عمد المسيح في البرية⁵ ، وكان يوحنا يقنات من الجراد والعسل البري ، وثيابه من أوبار الإبل ، ثم ظهر في ناحية الأردن ينذر الناس بالتوبة ، فخرج إليه أهل أورشليم والقرى القريبة من الأردن ، فكان يعمدهم في النهر وينذرهم باقتراب ملكوت السموات.⁶

نجد في إنجيل لوقا : وَإِذْ كَانَ الشَّعْبُ يَنْتَظِرُ، وَالْجَمِيعُ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ عَنْ يُوْحَنَّا لَعَلَّهُ الْمَسِيحُ، أَجَابَ يُوْحَنَّا الْجَمِيعَ قَائِلًا: «أَنَا أَعْمَدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلَكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحُلَّ سِيُورَ جِذَائِهِ. هُوَ سَيَعْمَدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. الَّذِي رَفَشَهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنْقِي بَيَدْرَهُ، وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ إِلَى مَخْرَزِنِهِ، وَأَمَّا التَّنُّبُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لَّا تُطْفَأُ». وَبِأَشْيَاءٍ أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَعِظُ الشَّعْبَ وَيُبَشِّرُهُمْ.⁷

¹ لزه خديجة، المرجع السابق، ص 25-26.

² أعلن اليهود المتحولون أن يسوع الناصري هو المسيح ، النبي مثل موسى ، من نسل الملك داود ، الذي جاء للوفاء بالوعود الواردة في الشريعة والأنبياء. يمكن أن يقبل اليهود هذه الحقائق دون إيمانهم بسلطة الكتاب المقدس واحترام تقاليدهم الوطنية التي يتم إساءة استخدامها. شارل جنيبير، المرجع السابق، ص 30

³ سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص 38.

⁴ خليل طاهر، المرجع السابق، ص 273.

⁵ تشترك الأناجيل كلها ، القانونية منها وغير القانونية، في أن يسوع الجليلي كان واحدا ممن تقبلوا طقس المعمودية في نهر الأردن. اس سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص 70.

⁶ سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص 42.

⁷ الكتاب المقدس، انجيل لوقا، الاصحاح 3، 16.

بعد تعميم المسيحية بفترة تم سجن يوحنا بأمر من هيرودس وتقول الأناجيل الأربعة : أن سبب هذا الاعتقال هو خوف هيرودس الثاني أن يكون يحيي يستتر بستر الصلاح الديني ليثير القلاقل السياسية في البلاد.¹ ثم نجد متى يقول ان المسيح بعد ذلك صام في البرية أربعين يوماً ، لا يأكل ولا يشرب ولما أحس بالجوع اثر الصوم ، ظهر له الشيطان يجربه إلا أنه طرده وانتصر عليه.²

حسب الرؤية الإسلامية يرى المفسرون المسلمون أن الله أوحى لعيسى عليه السلام بالنبوة وأنزل عليه الإنجيل.³ ولا نجد في القرآن الكريم أي آية تشير إلى عمر عيسى أيام البعثة⁴ ، وبالراجح من تفسير المفسرين انه استلم الوحي عندما بلغ الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام فلما رفعه الله إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه.⁵ و في المسيحية أيضا كان المسيح يبلغ من العمر ثلاثين عامًا تقريبًا عندما بدأ يكرز ، إذا كان هذا بين 26 و 30 سنة⁶ ، ومن ذلك الوقت ابتداء المسيح يدعوا إلى الله بعد أنزل عليه الإنجيل مصداقا لهذه النبوة كما أن الله تعالى أعطاه العديد من المعجزات ليبرهن على صدق رسالته ويثبت القرآن الكريم⁷ ذلك في قوله تعالى: قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَفِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ

¹ خليل طاهر، المرجع السابق، ص 273.

² الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح: 4، 1 - 11.

³ خليل طاهر، المرجع السابق، ص 295.

⁴ بعث النبي في الأربعين من عمره و في التراث الإسلامي أن جميع الأنبياء حين يبلغون الأربعين يأتيهم الوحي وفي حالة عيسى قد أوحى الله تعالى إليه إنطاقا في المهدي، وأوحى إليه بحمل الرسالة

⁵ أبي بكر الشهرستاني، المرجع السابق، ص 244.

⁶ Mattei, P., Op. Cit. p.82.

⁷ في انجيل يوحنا نجد في بعثه بالرسالة قوله وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أُعْطَانِي الْآبُ لِأَكْمَلَهَا، هَذِهِ الْأَعْمَالَ بَعْنِيهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي. انجيل يوحنا الاصحاح 5، 36.

سُبْحَنَةَ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36).¹

بدأ رسالته بالدعوة إلى التوحيد وعبادة الله ، بدأها أولاً بعشيرته من أهل الخليل وأقبلوا عليه يريدون التلمذة على يديه وآمنوا به وكانوا عوناً في الدعاية إلى دين الله والتبشير برسالته وقد أضاف المسيح إلى الإثني عشر من حواريه، إثنين وسبعين من الأتباع وبعث منهم اثنين إلى كل بلدة يريد أن يزورها² ولقد كانت دعوة المسيح³ عليه السلام تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق ، وكانت تقوم على الزهد والتسامح .

حسب الرؤية المسيحية ، أن الناس كسروا شريعة الرب وبعُدوا عنه ، أدى هذا البعد إلى أن أرسل الرب برحمته المسيح ليكفر عن الخطايا البشرية و أن يكون المسيح هو المخلص منها ولها⁴، وتجلت محبة الإله بشكل خاص في تدبير الإله للمسيح ، كونه ابن الرب ، لفداء العالم وهدايته نحو ملكوت الرب .⁵

فهم المسيح في التقليد المسيحي على أنه كلمة الرب المتجسد ابن الرب، المخلص ؛ وهي المكانة التي أعطاها له أتباعه اللاحقون.⁶ وجاء المسيح لينزع عن الأحرار اليهود والكهنة المراتب العليا التي تجعلهم مفصولين عن طبقات المجتمع مستمدين ذلك من مكانتهم الدينية ليضعهم سواسية أمام الرب والمؤمنين به،⁷ وكانت بداية دعوته في قومه اليهود وتثبت

¹ القرآن الكريم ،سورة مريم، الآية 30-36.

² شارل جنبيير، المرجع السابق، ص43-44.

³ فليس معروفا عند المسيحيين كم من الزمن دام العمل التبشيري الذي قام به المسيح. فحسب الأناجيل القانونية الثلاثة الأولى، أن نشاطه دام عاما واحدا فقط، أما وفق إنجيل يوحنا فقد دام ثلاث سنوات. اس سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص81.

⁴ Hall, C., Jesus And The Goddess Living Into A Christopagan Theology, 2016, p.31.

⁵ Hurtado, L., Op.Cit.p.65.

⁶ Hall, C., Op.Cit.p.31.

⁷ سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص32.

نصوص الكتاب المقدس أنه أرسل لبني إسرائيل في قوله: إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا بل أذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة¹

وأن ثلثا أو ثلاثة أرباع الكتاب المقدس المسيحي من الكتاب المقدس اليهودي، كما أن المسيح والمسيحيون الأوائل كلهم من اليهود.² و تؤكد الأناجيل يهودية المسيح وانه ابن يهودي، وعندما كبر وأرسله الله نبيا بقي في تعبدته على شريعة موسى مهتم بالناموس الموسوي فقال: لا تظنوا أنني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل وقال أيضا فاني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.³

وعندما سأله تلاميذه عن الناموس لم يقل لهم أن يتركوه أو لا يسألوا عنه، بل انه كان بجيبهم ويحثهم عليه⁴ غير أن الكهنة في القدس والطبقة العليا من اليهود، كانوا يعتبرونه أكثر الفوضويين خطورة وأضرهم بمصالحهم مما يضعف من مركزهم ، وأما الشعب ، فكان شعوره بالتردد تجاه دعوته أقوى من ميله إلى مقاومتها.⁵

مع أن تعاليم⁶ المسيح كانت واضحة وشاملة ودقيقة، فإن بني إسرائيل ظلوا أسرى نظرتهم الضيقة وانعزاليتهم المتعطرسة التي حاربها المسيح بعنف⁷ ، و لم يكن هناك شك بالنسبة للمسيحيين أن المسيح رسم تعاليمه وفق الإيمان اليهودي الذي عاشه المسيح الناصري، ومن بعده تلاميذه وكل من تجمع حول إيمانهم ، ليصل الأمر إلى الوثنيين الداخلين في المسيحية الذين شكلوا الجزء الأكبر من المسيحيين الأوائل ، و الذين ظلوا مخلصين لدين إسرائيل، حتى بعد أن تجاوزت المسيحية حدود

¹ الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح: 10، 6.

² Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.203.

³ الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح: 2، 17.

⁴ أنمار أحمد محمد،المرجع السابق،ص87.

⁵ شارل جنيبير،المرجع السابق،ص43-44.

⁶ تذكر المرويات المسيحية أن المسيح لم يبدأ بشارته وصنع معجزات الشفاء من الأمراض المستعصية إلا بعد لحظة تلقيه المعمودية، وكان به أدرك أهمية النعمة الإلهية التي حلت عليه. اس سفينسيسكايا،المرجع السابق، ص 73.

⁷ عدنان حداد،المرجع السابق،ص111.

العالم اليهودي إلى غاية مطلع القرنين الأول والثاني للميلاد¹ وهو ما يبين الدور المنوط بيهود الشتات والمهمة الملقاة على عاتقهم فلا مناص من تكليفهم بالمهمة المسيحية العالمية .

2-4-2 معجزات المسيح

شكلت المعجزات التي أتى بها المسيح خلاف بين المسيحيين والوثنيين، كونها كانت محل تضارب بين الطرفين فهي حسب المسيحيين معجزات صادرة من الله، وبالنسبة للوثنيين هي أمور شيطانية سحرية. وتعددت معجزات المسيح من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، بل كان المسيح نفسه كما قال الشهرستاني معجزة في ذاته و آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقا، ونطقه اللين من غير تعليم سالف.²

يروى القرآن الكريم بعض معجزات عيسى حيث نجد في سورة البقرة قوله تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88)**

³أيد الله المسيح بخمس معجزات ومرئيات من جنس ما يعرفون ليكون معجزهم وحنة على بني إسرائيل⁴ أما في الكتابات المسيحية فالمسيح أخرج الشياطين وشفى المجانين ، جعل العرج يمشون ، والخرس يتكلمون ، والعمي يبصرون والبرص يبرؤون ، بل أحيا الموتى من القبور ، وخلق من الطين الطيور،⁵ طبيعة هذه الآيات الخارقة لحدود الطبيعة البشرية القاصرة زادت من اختلط الأمر على الوثنيين كونها من بشر أم من ساحر أم من اله له كل قوى الخلق والتصوير والإحياء والموت ، وفي نفس المنحى اختلط الأمر على المسيحيين أنفسهم ليرفع عيسى ابن مريم من كونه بشرا إلى مصاف الإلهية.

¹Levieils,X.,Op.Cit.p.15.

² أبي بكر الشهرستاني،المرجع السابق،ص244.

³ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 87-88.

⁴ خليل طاهر، المرجع السابق، ص294-295.

⁵ سلطان عبد الحميد سلطان،المرجع السابق،ص44.

يورد يوسفيوس وصفا للمسيح بقوله: وكان في ذلك الوقت المسيح، رجل حكيم، إذا جاز تسميته رجلاً؛ لأنه كان عاملاً في أعمالاً عجيبة ومعلماً لهؤلاء الرجال الذين يقبلون الحق بسرور وأن كان له القدرة على إعطاء الناس المعرفة بمرضاه. لقد جذب إليه الكثير من اليهود والأمم. كان هو المسيح. وعندما حكم عليه بيلاطس، بناء على اقتراح من الرجال الرئيسيين بيننا، بالصليب، فإن أولئك الذين أحبه في البداية لم يتركوه؛ لأنه ظهر لهم حياً في اليوم الثالث. كما أنبأ الأنبياء الإلهيون بهذه الأمور وعشرة آلاف أمر رائع آخر يخصه. وسبط المسيحيين المسمى بهذا الاسم لم ينقرض في هذا اليوم.¹

تصدر لنا الأناجيل معجزات عيسى حيث نجد أن المسيح أقام لعازر بعد 500 عام من موته وشفى المرضى، وتنبأ بالمستقبل، وأحيا مرة أخرى ابنة يائرس رئيس الكنيس، حتى من دون زيارتها،² وفي إنجيل مرقس أن يسوع قال لبارتيمائوس الأعمى ابن تيمائوس عندما جائه يطلب شفائه: «مَآذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَى: «يَا سَيِّدِي، أَنْ أُبْصِرَ» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَذْهَبْ. إِيْمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ». فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ، وَتَبَعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ،³ ولم تقتصر على حياته بل بعد موته، وجد التلاميذ أنفسهم بأعجوبة يتحدثون باللسنة غريبة سمعها الآخرون كلغتهم الأم.⁴

5-2 صلب المسيح وقيامته

1-5-2 صلب المسيح

وسط صراع المسيح مع اليهود والكهنة وتناقضات مجتمع اليهودي وفرقه المختلفة، كان هذا وحده كفيلاً بان يعرضه للمشقة والمخاطر وبأن يقضي عليه وعلى دعوته منذ البداية

¹ Flavius Josephus, Antiquities Of The Jews ,Book 18, Chapter 3,Section 3, Perseus Digital Library,Tufts University.

² Freke ,T.,Gandy.P.,Op.Cit.p.30.

³ الكتاب المقدس، انجيل مرقس، الاصحاح 10، 46-52.

⁴ Freke ,T.,Gandy.P.,Op.Cit.p.31.

الأولى، فكان من البديهي أن يصطدم بالكهنة والمعلمين منذ بداية دعوته لأنهم حملة الشريعة ومعلميها للعامة من الناس،¹ لقد أوردت الأناجيل مجادلات حدثت بين السيد المسيح وبين الفريسيين منها يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار فانه من فضله القلب يتكلم الفم الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون، الويل لكم أيها القادة العميان، أيها الجهال والعميان، أيها الفريسي الأعمى، أيها الحيات أولاد الأفاعي».²

نتيجة لأثر دعوة المسيح أجمع الكهنة على خطورة تهديداته لأمن الإمبراطورية العظمى و اتهموا المسيح بأنه تهديد مثير للفتنة ومخالف للشريعة اليهودية ومهدم لها³، و عمل اليهود على أن يستدرجوا الرومان لصراعهم الداخلي وان لم يكن في دعوته إلا السلام والمحبة، فما كان من منهم إلا أن اختلقوا الأكاذيب على المسيح إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه ، والحكم عليه بالإعدام صلبا،⁴ حوالي سنة 30م في عهد طيباريوس.⁵

أنهى السيد المسيح العشاء الأخير⁶ مساء الخميس⁷ خرج بعده مع تلاميذه إلى جبل الزيتون ثم إلى بستان يدعى جشيماني"، ويروي مرقس هذا الحدث فيقول: «وجاؤا إلى ضيعة اسمها جشيماني فقال لتلاميذه أجلسوا هنا حتى أصلي ثم ووجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه ثم جاء ثالثه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا يكفي قد أتت الساعة هوذا ابن الإنسان يسلم إلى الخطاة قوموا لنذهب هوذا الذي يسلمني قد اقترب».⁸

¹ أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص35.

² الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح 12، 34.

³ عدنان حداد، المرجع السابق، ص116.

⁴ سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص27.

⁵ Strauss, B., Op. Cit. p.103-104.

⁶ ويقصد به آخر عشاء تناوله المسيح مع تلاميذه في يوم الفصح. ويختلف كتبة الأناجيل في إعداد هذا العشاء حيث يختلف متى مع مرقس ولوقا في الذين يجهزونه حيث يقرر متى أن التلاميذ جميعا قاموا بإعداده، ويذكر مرقس ولوقا ان تلميذين فقط هما من أعداه ويذكرهما لوقا بالاسم ، ويستغني مرقس عن ذكرهما. أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص42.

⁷ Mattei, P., Op. Cit. p.82.

⁸ الكتاب المقدس، انجيل مرقس، الاصحاح 14، 32-42.

تذكر الأناجيل محاكمة ثانية للمسيح حدثت في صباح اليوم الثاني حيث اقتيد السيد المسيح إلى بيلاطس البنطي" الذي لم يجده مذنب فأراد إطلاق سراحه إلا أن قادة اليهود رفضوا ذلك،¹ أما المحاكمة الثالثة فلم يذكرها إلا لوقا وغفل عنها بقية كتبة الأناجيل وهذه المحاكمة كانت أمام هيرودس ،مع العلم أن القبض على السيد المسيح كان في منتصف الليل والصلب كان في الساعة التاسعة.²

يورد المؤرخ الروماني تاسيتوس في ذات السياق قوله :ثبَّت نيرون الذنب وأنزل أبشع أنواع التعذيب على فئة مكروهة بسبب رجاساتها، يطلق عليها عامة الناس اسم المسيحيين. عانى كريستوس، الذي اشتق منه الاسم، من العقوبة القسوى في عهد تيبيريوس على يد أحد وكلائنا، بيلاطس البنطي، والخرافة الأكثر ضرراً.³

تمت عملية صلب المسيح حسب الأدبيات المسيحية في عهد بيلاطس البنطي في عهد طيباريوس، مع كل ازدراء الرومان للمسيحيين الذين عرفوا فقط من الشائعات اليهودية عنهم.⁴ يقول لوقا في الصلب: هتف يسوع على الصليب قائلاً : « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. » « يا أبتاه في يديك أستودع روحى »⁵، ونكس رأسه وأسلم الروح فحينئذ انشق حجاب الهيكل ، وزلزلت الأرض ، وتشققت الصخور وتفتحت القبور ، وقامت أجساد القديسين فلما رأى الحرس هذا قالوا « حقا كان هذا ابن الله » وبعد أربعين يوماً من قيامة المسيح ، اجتمع بتلاميذه على جبل الزيتون، وراح يعلمهم ،⁶ ثم قال لهم « ستناولون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لي شهودا في اورشليم وفي كل اليهودية ، والسامرة ، والي أقصى

¹ في الأناجيل الأربعة عيسى صلب ، وفي برنابا عيسى لم يصلب ولم يقتل بل رفع لأنه من قبل وعد أن يرفع. متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية،الدار الكويتية،الكويت،ص85.

² أنمار أحمد محمد،المرجع السابق ،ص48.

³ Cornelius Tacitus, The Annals, Book 15, Chapter 44. Perseus Digital Library, Tufts University.

⁴ Schaff ,Ph.,Op.Cit.p.236.

⁵ الكتاب المقدس، انجيل لوقا الاصحاح 23 ، 34.

⁶ سلطان عبد الحميد سلطان،المرجع السابق،ص47.

الأرض» ثم باركهم وارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم.¹ وفي إنجيل لوقا أيضا : إن ابن الإنسان قد جاء لكي يصلب و يخلص ما قد هلك ، فبمحبتة ورحمته قد صنع طريقا للخلاص.² ونجد في الادبيات الاسلامية نفيًا لحادثة الصلب ولا القتل بالمطلق مصداقا لقوله تعالى: «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم»³ وبعض التفاسير تقول أن الله ألقى شبهه على يهوذا ، ويهوذا هنا هو يهوذا الاسخريوطي والذي كان المتسبب في خيانة عهد المسيح والتبليغ عنه رغم أنه من التلاميذ .

2-5-2 قيامة المسيح

يذكر إنجيل مرقص معلقا على أحداث القيامة ، أن المسيح بعد أن مات ودفن فإنه قام من الأموات ثم ظهر أولا لمريم المجدلية فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه⁴ فلا سمع أولئك أنه حي وقد نظرته بدأت روايات قيامة المسيح من الأموات وظهوره بعد الموت ، تنتشر ببطء شديد وسط المجموعة المسيحية الأولى⁵ ، وعلى ما يبدو أن مسألة القيامة من الموت تخللتها بعض التأثيرات الوثنية من قيام الإلهة وإعادة البعث وان كانت في بداية المسيحية المبكرة لم تظهر بشكل واضح مثل الفترات التي تشكل فيها الفكر المسيحي لاحقا .

رفض تلاميذ المسيح وحواريه تقبل فكر القيامة وكان من أكثر المتحمسين لفكرة الإنكار بطرس وشكك في كل تلك الروايات ، ما يفسر تأخر الإعلان عن قيامة المسيح وظهوره سبعة أسابيع ، فلم يذع خبرها بين عامة المسيحيين إلا بعد 50 يوما⁶ وتذكر الأناجيل أن المسيح دفن في القبر الجديد الذي وضعه فيه يوسف الرامي وكان القبر عبارة عن مغارة منحوتة في تل صخري وكان من الأتساع بما يسمح لسير انسان داخله وكان منحوتة أفقية وليس إلى الأسفل أن المسيح كان قد مات في يوم الجمعة قبل غروب الشمس، وكعادتها اختلفت الأناجيل في قيامة المسيح وموته.⁷

¹ سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص47.

² الكتاب المقدس، انجيل لوقا، الأصحاح: 19، 10.

³ القرآن الكريم ،سورة النساء، الآية 157.

⁴ الكتاب المقدس، انجيل مرقص، الأصحاح: 16، 9-11.

⁵ أحمد عبد الوهاب ،المرجع السابق، ص 288-289.

⁶ نفسه، ص 288-289.

⁷ أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص55.

إن فكرة قيامة المسيح من بين الأموات ترويها الأناجيل الأربعة، التي تم تدريسها في الرسائل، والمؤمن بها في جميع أنحاء العالم المسيحي، والاحتفال بها في كل يوم الرب، كحقيقة تاريخية، باعتبارها معجزة التنوير والختم الإلهي لجميع أعماله، أساس آمال المؤمنين المسيحيين، ومعجزة يتم تمثيلها في العهد الجديد كعمل من عمل الرب الذي أقام ابنه من بين الأموات وكعمل المسيح نفسه، الذي كان له القدرة على التضحية بحياته وأخذها مرة أخرى.¹

يعتقد المسيحيون أن المسيح مات من أجل خطايا العالم و يكتب القديس بولس: بدون سفك دم لا توجد تحصل المغفرة²، يُصوّر المسيح على أنه "حمل الله" الذبيحة و يتحدث المسيحيون عن الولادة من جديد من خلال غسلهم بدم الحمل،³ ترتبط أحداث القيامة ووجود المسيحية ارتباطاً وثيقاً بحيث تعطي تصورا عن ارتباط البعث من جديد بعد الموت بالأصول الوثنية لأغلب المنتسبين الجدد لها وما يشكله ذلك الربط من دافع نفس لقبولها في نفوسهم ، يضاف إلى ذلك انه إذا كان المسيح قد قام من بين الأموات ، فكل معجزاته الأخرى مؤكدة ؛ و كانت قيامته لمسيحيين هي السبيل لكفارتهم وخلصهم.⁴

2-6 الكتب المقدسة عند المسيحيين

تعتمد المسيحية على ثلاثة مصادر دينية أساسية تدرج كلها تحت مسمى الكتاب المقدس وهي: العهد القديم بأجزائه الواردة الذكر سابقا. والثاني : الأناجيل وتسمى الأسفار التاريخية وعددها أربعة أناجيل أساسية في أغلب الطوائف المسيحية و تعرض حياة المسيح عليه السلام وعضاته ومعجزاته والثالث رسائل الرسل كتفسيرات وشروحات للسلوك والطقوس الدينية المسيحية. واكتسبت كل من الأجزاء الثلاثة الرئيسية صبغها القانونية على مدى قرون طويلة أما أسفار العهد الجديد التي تكون الجزء الرئيسي الثاني من الكتاب المقدس فهي الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف،⁵ الأناجيل الأربعة

¹ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.108.

² رسالة بولس للعبانيين 9: 22

³ Freke ,T.,Gandy.P.,Op.Cit.p.34.

⁴ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.108.

⁵ أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص14.

: إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا، هي التي اعترفت بها الكنائس المسيحية في القرن الثالث بعد المسيح عليه السلام دون غيرها ، وهي التي أثبتها أرينبوس عام 209م، ثم جاء من بعده كليمنس اسكندريانوس عام 214م وقرر أن هذه الأناجيل الأربعة ، واجب التسليم بها ، ثم كان بمجمع نيقية 325م¹ الذي اعترف بها رسمياً.

2-6-1 تعريف الإنجيل

العهد الجديد المنتج الأدبي الأكثر أهمية وتأثيراً للمسيحيين بتنوع أناجيله وعدم وحدتها في مؤلف واحد² و العهد الجديد أو الإنجيل معناه البشارة،³ أو الأخبار السارة Gospel والإنجيل أيضا هي النصوص المتعلقة بحياة المسيح ومريم ويوسف ويوحنا المعمدان وغيرهم من الشخصيات المحورية في المسيحية⁴، وليس هناك تعريف وحيد حتى بين أبناء الديانة الواحدة ، ذلك أن علماء المسيحية لازالوا يتباحثون في ماهية الإنجيل ،⁵ ويبدو أن كلمة إنجيل أقرب إلى ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال المسيح وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة الزم نفسه بها.⁶

أما فيما يتعلق بزمان و مكان تأليف هذا الإنجيل فمن الصعب معرفته وقد نستنج من مرويات الإنجيل نفسه أنه وضع حوالى عام 85 م.⁷ وارتقى المسيحيون بالأناجيل إلى درجة تقديسها و هي الأربعة فقط دون غيرها واستمرت الكنيسة على مدار السنين في رفض الكتب التي تخالف عقيدة الصلب وإلهية السيد المسيح، وكان الصراع الدائر بين اليهودية و المسيحية قد أثر تأثيرا كبيرة في تكوين هذه الأسفار و ترفض الكنيسة الكثير من الكتب وعدتها كتبا

¹ متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص37.

² Hurtado, L., Op.Cit.p.18.

³ خليل طاهر، المرجع السابق، ص 290.

⁴ Di Berardino,A.,Op.Cit.p.159.

⁵ أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص43.

⁶ نفسه، ص44.

⁷ فؤاد حسنين علي، المرجع السابق، ص181.

منحولة وسمتها ابوكريفيا و منها رسالة برنابا (70م-79م) والرسالة إلى أهل كورنثوس 96م ورسالة اكلميندس الثانية 120م-140م، وراعي هرماس 115م-140م¹.

إن انتقال الكتاب المقدس من كونه كتابا خاص باليهود إلى كونه كتابا مقدسا بالنسبة للمسيحيين شكل بداية لمرحلة جديدة في تاريخ المسيحية، و أدى النجاح المتزايد للتبشير المسيحي بين الأمم وإعادة تعريف المسيحية التي سمحت بدخول غير اليهود إليها واندماجهم ، بالكنيسة إلى فصل نفسها عن السياق اليهودي² رغم كل رواسته في المسيحية الوليدة . ولم يأخذ المسيحيون مسؤولية وضع الخط الفاصل بين العهد القديم والعهد الجديد إلا أنهم أظهروا أصالة المسيحية التي تميزت عن اليهودية أخيرا ورسمت بذلك الحدود الفاصلة بينها وبين المسيحية بداية من القرن الثاني للميلاد³ و تم تقديم الإنجيل⁴ على أنه محور آمال المسيحيين من خلال نشاط تلاميذ المسيح في التبشير للحصول على الخلاص الذي طال انتظاره⁵ و لتحقيق كل الآمال المسيحية في العالمان المادي والأخروي⁶.

2-6-2 الأنجيل الأساسية في المسيحية

1-2-6-2 إنجيل مرقص (Gospel Of Mark)

يعتبر أقدم الأنجيل القانونية، و أكثرها اختصارا ،⁷ يروى عن يوسفوس القيصري أن مرقص كتب بدقة متناهية ما حفظه عن بطرس الذي كان يعمل مترجمة له، ويقع تاريخ وضع هذا الإنجيل

¹ أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص176.

² Levieils, X., Op. Cit. p.1.

³ Vannier, M., Judaïsme Et Christianisme Dans Les Commentaires Patristiques De La Genèse, Peter Lang, Berlin, 2001, p.43.

⁴ تقسيم أسفار الإنجيل إلى إصحاحات في القرن الثالث عشر الميلادي على يد الكاردينال (هيوغرة)، ثم رقت فقرات كل إصحاح عام (1551م). أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص178.

⁵ Levieils, X., Op. Cit. p.17.

⁶ Schaff , Ph., Op. Cit. p.8.

⁷ يقال انه كان أحد السبعين الذين أرسلهم المسيح ال للتبشير بالنصرانية، أصله من اليهود وكان يسافر من مصر أحيانا إلى روما وأحيانا إلى شمال أفريقيا ولكن مصر كانت المستقر الأمين له فاستقر بها إلى أن انتمر به الوثيون فقتلوه بعد أن سجنوه، وعذبوه وكان ذلك سنة 62 م. أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص180.

في حوالي العام 70م¹، فهو بذلك أول الأناجيل الأربعة تاريخياً² إلا أن هناك من يشكك بنسبة الإنجيل حيث يقال أن كاتبه يوحنا الذي اختير من السبعين، و كان رجلاً نشيطاً في نشر النصرانية في أنطاكية، وشمال أفريقيا ومصر وروما، وقد قتل حوالي عام 92 م.³

نجد أيضاً بعض المسيحيين ينسبون كتابة الإنجيل إلى بطرس فهو الذي زود مرقس بالأخبار المتعلقة بالمسيح لكتابة إنجيله واختلفوا في اللغة الأصلية التي كتب بها الإنجيل فقد قال بعضهم انه كتب باللغة اللاتينية تم ترجم بعد ذلك إلى اليونانية وقال بعضهم الآخر⁴، أن مرقس كتبه باللغة اليونانية⁵.

2-2-6-2 إنجيل متى (Gospel Of Matthew)

متى أحد التلاميذ الاثني عشر⁶ يظهر إنجيل متى صلوات أوثق بالمورث اليهودي وشاع لدى الكتاب المسيحيين الأوائل رأي مفاده أن متى⁷ وضع إنجيله باللغة الآرامية، اللغة المتعارف عليها في فلسطين آنذاك⁸ ثم ترجم بعد ذلك إلى اليونانية والتي اعتبرت أقدم نسخة من الإنجيل وقد ضاعت⁹، لكن الباحثين يرون أن النص القانوني الذي وصل إلينا لا يمكن أن يكون نص مترجم، فالنصوص التوراتية الواردة فيه مأخوذة عن الترجمة السبعينية، والنصوص المشتركة مع إنجيل مرقس ولوقا ليست مترجمة هي الأخرى¹⁰.

¹ اس سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص 123.

² أبكار السقاف، المرجع السابق، ص 309.

³ سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص 7.

⁴ أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص 180.

⁵ متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص 43.

⁶ نفسه، ص 39.

⁷ كان عمل متى قبل اتصاله بالسيد المسيح عشار - جامع الضرائب - لحساب الدولة الرومانية بفلسطين وهي وظيفة يمقتها اليهود، وينظرون إلى صاحبها على انه ظالم أو على الأقل، عنيف الطبع، وقد اختاره السيد المسيح ليكون له تلميذاً، وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِسْحَاقَ جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجَبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: «اتَّبِعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ، انجيل متى الاصحاح 9، 9.

⁸ متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص 41.

⁹ نفسه، ص 40.

¹⁰ اس سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص 126.

وفيما يتعلق بمكان وتاريخ تأليف إنجيل متى . فتجتمع في الإشارة إلى إنطاكية باعتبارها موطن متى الأصلي أو من مكان قريب من فلسطين لأنه من الصعب ربط الإنجيل بمدينة محددة مثل إنطاكية أما عن تاريخه فيبقى مجهول بوجه عام.¹

تطرق متى في إنجيله إلى تعاليم المسيح ومعجزاته ثم إرشادات للمسيحيين و شرح مجيء ملكوت السموات وكيف يعامل التلاميذ بعضهم البعض² ، كما انه يتميز بكونه يورد سلسلة أنساب تعيد نسب يوسف النجار، زوج ماريا ، إلى داود الملك، وهو ما يبرز واقعية رسالة المسيح ويتميز هذا الإنجيل من حيث المحتوى، والشكل، ومواعظ المسيح ، تميزا جوهرية عن أناجيل العهد الجديد الثلاثة الأخرى.³

3-2-6-2 إنجيل لوقا (Gospel Of Luke)

ينسب هذا الإنجيل إلى لوقا، وهو من المسيحيين الأمميين الذين ليسوا من أصل يهودي ويقول عنه المفسرون اللاهوتيون انه الأممي الوحيد الذي أرشده الروح القدس ليكتب إنجيلا من أناجيل العهد الجديد الأربعة،⁴ غير أننا نجد تضارب في نسبه واصله حيث يقال خلاف للطرح الأول أنه كان طبيبا من أصل يهودي رافق بولس في حله وترحاله وأعماله، واتفق العلماء المسيحيون على أن لوقا كتب إنجيله باليونانية ، وعلى أنه ليس من تلاميذ السيد المسيح⁵ وأفكار بولس لا تجد لها مكانة في إنجيل لوقا رغم الاختلافات في الكتابة بين الطرفين ، على أنه من النادر ذكر لوقا كشخصية بارزة في سجلات التاريخ للقرن الأول من المسيحية اما عن محتويات إنجيل لوقا فنجدته يتطرق إلى مولد المسيح وسنواته الأولى وإعداده ورسالته الإلهية.⁶

¹ متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص41.

² أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص59.

³ اس سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص126.

⁴ أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص183.

⁵ متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص44.

⁶ أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص65.

2-6-2 إنجيل يوحنا (Gospel Of John)

الإنجيل الرابع و يفهم من عنوانه لا من نصه أنه ليوحنا، وذكر يوحنا فيه أعمال المسيح منذ ظهور يوحنا المعمدان حتى الصلب ومن ثم ظهور المسيح ثانية وينسب المسيحيون هذا الإنجيل إلى يوحنا الرسول¹ أخي يعقوب ابني زبدي المدعو ابن الرعد المقيم في أفسس غرب تركيا، ويقال انه ألف إنجيله هناك،² مطلع القرن الثاني للميلاد³ بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها والسبب انه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أنجيلهم ،وذلك عن طريق احتكاك المسيحيين بالأمم المجاورة لهم والتي يحتوي تراثها الديني على الإله الذي يرمز إلى المعبود الثلاثي الأقانيم.⁴

ويعد أكثر الأناجيل قراءة وأبعدها عن المصدر ولكنه أكثرها اعتمادا، حيث سطرت منه السطور على خلفيات الأفكار الفلسفية المنتشرة وقتها وخاصة المذهب الرواقي.⁵ يعرض هذا الإنجيل لتنقلات المسيح والحواريين الاثني عشر وكلمات المسيح وأعماله وشفاء المرضى وكثير من المعجزات الأخرى والخصومات وحادثة الصلب ، ويختلف يوحنا عن غيره فيذكر أعياد الفصح،⁶ كما تطرق إلى تعليمات وطقوس العبادة في الكنائس وكذلك التبشير والدعاية للأمم الأخرى،⁷ وكتب يوحنا إنجيله باليونانية، وهي ليست اليونانية القديمة بل هنا نجد لغة أخرى شعبية تخالف القديمة في النحو والصرف ويرجح أنها متأثرة بالآرامية لأننا نعرف أن اللغة التي استعملها المسيح كانت الآرامية ، ومن ثم نقلت إلى اليونانية التي أثرت على النص الأصلي مع مرور الزمن.⁸

¹ غير أن بعض علماء المسيحية في القرن الثاني فقد أنكروا نسبة هذا الانجيل إلى يوحنا الحواري الذي كان يحبه السيد المسيح . متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص47.

² أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص183.

³ أبكار السقاف، المرجع السابق، ص 310.

⁴ أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص183.

⁵ أبكار السقاف، المرجع السابق، ص 312.

⁶ فؤاد حسنين علي، المرجع السابق، ص187.

⁷ أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص65.

⁸ فؤاد حسنين علي، المرجع السابق، ص149.

(Gospel Of Barnabas) 5-2-6-2 إنجيل برنابا

ولا تعترف الكنائس المسيحية الحاضرة بصحة هذا الإنجيل ولا هذا السفر ، ولا بصحة ما جاء فيهما ، ولا بصحة نسبتها إلى برنابا ، بل تذهب إلى أنهما مزيفان وأن ملفقيهما قد ألصقوا ببرنابا ليروجوهما¹ ولذلك عد عند بعضهم من الأنجيل المنحولة وإنجيل برنابا نسبة إلى برنابا الملقب من قبل الحواريين² ومعناه : ابن الوعظ وهو خال مرقص وكان اسم برنابا يوسف وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح ونجد ذكره في أعمال الرسل حيث يقول ولما جاء شاول إلى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ فأخذه برنابا واحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وانه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم المسيح فكان معهم يدخل ويخرج في اورشليم ويجاهر باسم الرب المسيح ، وكان يخاطب ويباحث اليونانيين، فحاولوا أن يقتلوه³.

كتبت الأنجيل الأربعة القانونية على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ستين عاما ، لهذا عمل العلماء على البحث عن الأسباب التي أدت⁴ لتأخير الكتابة، ولم في ذلك إلى عامل واحد ، لكنه في الواقع إلى عدة عوامل مجتمعة، فنجد أن أصول العديد من مرويات كتب العهد القديم ، ولا سيما المزامير ، تعود إلى الشعر المصري وأدب الحكمة لقد كان اليهود اليونانيون في الإسكندرية على مدى قرون يبحثون للعثور على أوجه شبه بين الفلسفات اليونانية والأساطير المصرية مثل أسطورة أوزوريس ، ما نجده لاحقا متجذرا أيضا في المسيحية.⁵

كذلك كانت هناك أوجه تشابه بين الأساطير اليهودية والأساطير الوثنية التي لم تكن موجودة مسبقًا، ينتبأ سفر إشعيا ، على سبيل المثال ، بأن "امرأة شابة ستحمل وتلد ابنًا" ، ولكن هذا تمت ترجمته بشكل خاطئ في النسخة اليونانية على أنه "العذراء ستحمل وتلد ابنًا"

¹ سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص8.

² تظهر شخصية برنابا للمسيحيين بأنه : سخي اليد متبرع بماله للرسل من أجل الدعوة . طاهر نقي ممثليء بالروح القدس ، وفاضل كريم اختاره الروح القدس مع الرسول بولس ، لنشر الدعوة متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص59.

³ أعمال الرسل، الاصحاح، 9 ، 26.

³ أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص47.

⁴ Freke ,T.,Gandy.P.,Op.Cit.p.132.

، مما يجعلها تتماشى مع السياق المسيحي مع الفكرة الوثنية عن الولادة العذرية ، و استخدمه المسيحيون الأوائل لدعم الادعاء بأن المسيح هو المسيح اليهودي الذي طال انتظاره.¹

2-7 التلاميذ والرسل المسيحيون

اختار المسيح لدعوته مجموعة من الرسل والتلاميذ الذين تبعوا أثره في تبشيرهم بالديانة المسيحية² ، ابتداء بعشيرتهم وأهلهم داخل فلسطين ثم انتشروا في كل مكان وقد اختلفت مشارب الرسل وثقافتهم ومستواهم وهو ما ينعكس لاحقاً على المسيحية من خلال الدور الذي لعبه المؤثرين من الرسل وعلى رأسهم بولس .

2-7-1 تلاميذ المسيح

كان خط المسيح في دعوته هو سلوك مسلك السلمية فكان مسالماً ينشر تعاليم السلام والمحبة للعالم ويتفادى الصدام مع السلطات، رغم أنه هاجم الثروات الدنيوية والملكية الخاصة مهاجمة قاسية ، وكان يمكن أن يثير موقفه هذا سخط الأثرياء وكبار مالكي الأراضي، ولكن في الأحوال كلها لا يقدم لنا التقليد المسيحي ولا التقليد المناهض للمسيحية ما يشير إلى أن المسيح كان زعيماً لجماعة متمردة³ ويعزز متى ولوقا ذلك بالقول :

وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ. وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلَامِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا رُسُلًا.⁴ وَفِي مَتَّى : وَأَمَّا الْأَحَدَ عَشَرَ تَلْمِيذًا فَاَنْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا. فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا

¹ Freke, T., Gandy.P., Op.Cit.p.132.

² يشترك كل من المسيح وعمل الرسل فيما بعد بكونهم يعضون في الكنس، فيما أن مكان عبادة يهوه كان في معبد أورشليم فقط، لذلك كانت الكنس في فلسطين وخارجها، هي الأمكنة التي كان يجتمع فيها اليهود المؤمنون. وقد شيّدوا مباني خاصة لمثل تلك الكنس ، وكانت الوظيفة الأساس للكنيس، هي التعليم الديني، فقد كانوا يقرؤون هناك الكتاب المقدس ووعظ يسوع بدوره في كنس ومنازل، بل في العراء أيضاً. اس سفينسيسكايا، المرجع السابق، ص 76.

³ نفسه، ص 76.

⁴ الكتاب المقدس، انجيل لوقا، الاصحاح: 6، 12-13.

جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمَدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيَتْكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.¹

أما أسماء التلاميذ المذكورين يذكرهم متى: ثُمَّ دَعَا تَلَامِيذَهُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحِ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ. وَأَمَّا أَسْمَاءُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ رَسُولًا فَهِيَ هَذِهِ: الْأَوَّلُ سِمْعَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ، وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي، وَيُوحَنَّا أَخُوهُ. فِيلِبُّسُ، وَبَرْتُولَمَاوُسُ. ثُومَا، وَمَتَّى الْعَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى، وَلَبَّاوُسُ الْمَلَقَّبُ نَدَّاوُسَ. سِمْعَانُ الْقَانَوِيُّ، وَيَهُودَا الْإِسْخَرِيوطِيُّ الَّذِي أَسْلَمَهُ².

غير أننا نجد في إنجيل لوقا ذكرا ليهودا الاسخريوطي الذي وشى وخان المسيح وكان من تلاميذ المسيح الا أن تم استبداله : "سِمْعَانَ الَّذِي سَمَّاهُ أَيْضًا بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ. يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. فِيلِبُّسَ وَبَرْتُولَمَاوُسَ. مَتَّى وَثُومَا. يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْعُيُورَ. يَهُودَا أَخَا يَعْقُوبَ، وَيَهُودَا الْإِسْخَرِيوطِيَّ الَّذِي صَارَ مُسَلِّمًا أَيْضًا.³ ولا تقدم لنا قائمة تلاميذ المسيح الإثني عشر الكثير من التفاصيل، وعمد أصحاب الأناجيل إلى إسقاط تفاصيل كثيرة عن تلاميذ المسيح ، حيث أن إنجيل يوحنا يسقط من القائمة تداوس ويضع مكانه يهوذا أخ يعقوب.

إن التلاميذ الاثني عشر في العدد ، يجيبون على أسباط إسرائيل الاثني عشر و بدلاً من ، يهوذا ، تم اختيار ماتياس بالقرعة ، بين الصعود و عيد العنصرة بعد فيض الروح القدس، تمت إضافة بول كالثالث عشر بدعوة مباشرة من المسيح نفسه، وكان رسول الأمم المستقل.⁴ إن رمزية العدد ليس اعتبارية عند المسيحيين فهي بالأساس تعكس العلاقة مع الموروث اليهودي للأسباط، بل حتى ربط الخيانة من يهوذا لها ما يدعمها في التاريخ اليهودي من خيانات حصلت سواء مع سامري موسى وغيرهم من أنبياء وملوك بني إسرائيل.

¹ الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح: 28، 16 – 20.

² الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح: 10، 1 – 4.

³ الكتاب المقدس، انجيل لوقا، الاصحاح: 6، 14 – 16.

⁴ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.300.

2-7-2 رسل المسيح

إلى جانب هؤلاء ، كان هناك رجال رسوليون ، مثل برنابا ويعقوب أخو الرب ، الذين كانت مكانتهم ونفوذهم مساوية تقريبًا لمكانة التلاميذ، الاثني عشر باستثناء ماتياس ، الذي كان ، مع ذلك ، شاهد عيان على القيامة وقد دعا المسيح بولس مباشرة،¹ إن دعوة المسيح لم تقم فقط على التلاميذ الاثني عشر بل وجدت قائمة، الاثني عشر والسبعين، وانفرد لوقا بذكر خبرهم مع السيد المسيح ولم يرد لهم ذكر في الأناجيل إلا من إشارة لوقا ، ثم نجد أيضا قائمة المائة والعشرين، الذين ورد ذكرهم² في سفر أعمال الرسل وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ وكان عده أسماء معا نحو مئة وعشرين.³

ومن بين كل الرسل برز بطرس وبولس ويوحنا بشكل بارز على أنهم الثلاثة المختارون الذين أنجزوا العمل العظيم في العصر الرسولي ، ومارسوا ، من خلال كتاباتهم وحياتهم ، تأثيرًا مسيطرًا على جميع العصور اللاحقة، تقابلهم ثلاثة مراكز نفوذ ، أورشليم وأنطاكية وروما.

1-2-7-2 بطرس (Saint Peter)

يبرز بطرس في التاريخ باعتباره أحد أبرز مؤسسي الكنيسة المبكرة ، كان بطرس رجل غير متعلم والأغلب انه صياد وفي شخصيته مبادرا و مندفعاً نحو تولي المسؤولية ؛ أول من يعترف بالمسيح وأول من يركز بالمسيح يوم الخمسين ؛ كان بطرس الممثل الرئيسي في المرحلة الأولى من المسيحية الرسولية وحقق نبوة اسمه في إرساء أسس الكنيسة بين اليهود والأمم.⁴

¹ Schaff, Ph., Op.Cit.p.300.

² أنمار أحمد محمد، المرجع السابق ،ص81-82.

³ الكتاب المقدس، سفر أعمال الرسل، الاصحاح: 1. 15

⁴ Schaff, Ph., Op.Cit.p.125-126.

كان بطرس في الواقع في تناقض تام مع نفسه ، منذ أن افتتح الإرسالية بين الوثنيين كان لسلوكه سبب واحد فقط منع المسيحيين اليهود من العودة إلى اليهودية تحت ضغط من المتطرفين¹ وبرز سؤال محوري هل يمكن أن يكون المرء يهوديًا ومسيحيًا؟ على عكس بولس ، اعتقد بطرس أن ذلك ممكن.

2-2-7-2 يوحنا (Saint John)

يوحنا لم يكن مبشرًا، مثل بطرس وبولس. لم يفعل سوى القليل، على حد علمنا، من أجل الانتشار الخارجي للمسيحية، ولكن أكثر من ذلك من أجل الحياة الداخلية ونمو المسيحية، كان يوحنا ابنًا (ربما الابن الأصغر) لزبدي وسالومي، وشقيق جيمس الأكبر، الذي أصبح الشهيد الأول للرسول.² وينتهي العصر الرسولي بموت الرسول الأخير يوحنا، وفقًا للتقليد المسيحي، حوالي عام 100 م،³ في نفس فترة موت الرسولين بطرس وبولس وان كان ليس لدينا معلومات دقيقة في العهد الجديد، ولكن الشهادة بالإجماع عن العصور القديمة أن بطرس وبولس عانوا من الاستشهاد في روما أثناء الاضطهاد النيروني أو بعده، وأن يوحنا مات موتًا طبيعيًا في أفسس.⁴

يوحنا أصغر من المسيح، فقد عاش حتى عهد تراجان، أي حتى بعد 98 م، ولد في بيت صيدا في الجليل والديه كانا ميسورين الحال و كانت والدته تنتمي إلى الفرقة النبيلة من النساء اللواتي تبعن المسيح ودعمته، وكان يوحنا يمتلك منزلاً في أورشليم أو الجليل، حيث استقبل والده المسيح.⁵

¹ Rouche, M., Op. Cit. p. 17-19.

² Schaff, Ph., Op. Cit. p. 249.

³ Mattei, P., Op. Cit. p. 64.

⁴ Schaff, Ph., Op. Cit. p. 125.

⁵ Ibid. p. 254.

3-2-7-2 بولس (Saint Paul)

يقول هيم مكابي : أن هناك شخصيتان أساسيتان لا بد من ذكرهما إذا أردنا الحديث عن أصول المسيحية، شخصية المسيح وشخصية بولس، إذ أن المسيحيين يعتقدون أن المسيح هو مؤسس ديانتهم ذلك أن أحداث حياته تشكل دعائم المسيحية، لكنهم يعتبرون بولس المفسر الحقيقي لمهمة المسيح،¹ إن هذا الدور المحوري الذي لعبه بولس في تاريخ المسيحية راجع إلى ما أحدثه فيها من تغيرات وتفسيرات نستطيع القول أنها كانت موازية لمسار المسيح نفسه.

شاول أو بولس، ويعني لفظ بولس "الصغير" باليونانية، وكان مولده في مدينة طرطوس في شرق آسيا الصغرى في السنة العاشرة للميلاد تقريبا،² من أبوين يهوديين من سبط بنيامين³ حيث نجد في الكتاب المقدس في رسائل بولس: من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين من جهة الناموس فريسي.⁴ هاجر إلى فلسطين وعمل فيها مخبرا عند الكاهن الأكبر الذي بدوره يعمل مخبرا عند الرومان، وكان يلاحق أتباع المسيح ليتم اضطهادهم بسبب وشايات وتحريض اليهود وقمع الرومان، إن بولس في شخصيته مزيج من الغنوصية والديانات الباطنية وشي من تاريخ العبرانيين.⁵

كانت محاور الأفكار الأساسية لبولس تتركز حول إلهية السيد المسيح، والخلاص، والفداء الإلهي، على حساب فكرة الخلاص اليهودي المتمثلة بالتمسك بالشرعية وتطبيقها، وهو ما أكد عليه السيد المسيح الله في تعاليمه وأقواله وما سار عليه تلاميذه الحواريون من بعده.⁶

¹ هيم مكابي، بولس وتحريف المسيحية، تر، سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ص13.

² محمد عبد القادر ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرطوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، دار الاسراء، الرياض، 1992، ص18.

³ فؤاد حسنين علي، المرجع السابق، ص173.

⁴ رسالة بولس الى اهل فليبي 3:5.

⁵ هيم مكابي، المرجع السابق، ص8.

⁶ أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص105.

نجح بولس إلى حد كبير في تأسيس الأصول المسيحية وقيام حركة الدعوة بها في فلسطين وخارجها عبر رسائله وتنقلاته(أنظر الملحق 07) ، حامل معه الإرث المسيحي الجديد للعالم¹ إلا أن حياته انتهت في روما على اثر الاضطهادات التي لحقت بكل منتسب إلى المسيحية .

2-8 الانتشار المسيحي في الإمبراطورية الرومانية

2-8-1 عوامل الانتشار المسيحي

إن خروج المسيحية من نطاقها الضيق في فلسطين مرتبط بفهم ضرورة هذا التوسع بالنسبة للمسيحيين ثم إلى أي حد ساهم اليهود في عملية تصدير المسيحية للعالم الوثني حينها(أنظر الملحق 08). و كيف أصبحت المسيحية، من هذه النواة الصغيرة خلال أربعة قرون الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، وانه من المهم أولاً تسليط الضوء على الطبيعة اليهودية في الشتات ثم عن الانفصال الحاصل بين الديانتين اليهودية والمسيحية وأخيراً طرق الانتشار والتبشير.

اتسم يهود الشتات عامة بكونهم لا ينسون أصلهم ولا دينهم ؛ يتكاتفون وينظمون صفوفهم ويسعون لدى سلطات البلاد التي يقيمون فيها للحصول على حقوقها الشرعية في الحياة، وكانوا ينتظمون من الناحية الزمنية في جماعات لها رؤساؤها وحكامها وتقاليدها،² سواء كان ذلك في المجتمعات المحيطة بفلسطين مثل وضعيتهم في سوريا أو مصر ، إلى وضعيتهم في روما وأفريقيا. أما من الناحية الروحية فكانت تجمعهم المعابد بكل طقوسها وخصوصيتها الدينية واعتبرت حكوماتها الصغيرة ، وقد تعمد الجاليات اليهودية الكبرى مثل تلك التي كانت بروما إلى تقسيم أعضائها بين عدة معابد ، بل منحوهم امتيازات شتى ، فأصبح بنو إسرائيل يتمتعون بدستور فعلي يحميهم في سائر أرجاء الإمبراطورية و يراعي حساسيتهم الدينية ما أمكن

¹ Lane Fox,R., Pagans And Christians ,Penguin Books, Usa,2006,p.502.

² شارل جنيبير، المرجع السابق، ص57.

مراعاتها وبعبارة أخرى ، نستطيع القول بأن اليهود في المهجر كانوا فيا يبدو أكثر استعدادا لقبول دعوة أصحاب عيسى من يهود القدس وفلسطين.¹

يرتبط اليهود بدورًا مركزيًا في الانتشار المسيحي وهو ما نجد أثره في عبارات مثل "المسيحية اليهودية" و "الكنيس المسيحي" و شكّلوا الجزء الأكبر من المتحولين الأوائل ، الذين وفروا الإمكانيات الملائمة لعملية التبشير في المدن ، وخاصة في مدن آسيا الصغرى وشمال إفريقيا، ليشكلوا مجتمعات نشطة جدا خلال القرون الأربعة الأولى،² وفي هذا النجاح يشير المؤرخ رودني ستارك (Rodny Stark) أن عدد المسيحيين أكثر بقليل من مليون مسيحي بحلول عام 250م وأنه من كل خمسة يهودي في الشتات نجد يهودي متحول للمسيحية ، عندما ظهرت المسيحية لأول مرة هناك ، كان نصف السكان يهودًا تحول معظمهم إلى المسيحية.³

ثانياً أن النشاط الدعوي المسيحي ينطلق مما يمكننا تسميته مهمة مسيحية إلى عالم الأمم، و أن المسيحية نجحت حيث فشلت اليهودية بسبب قرار الأخيرة العقائدي بالتخلي عن الميول القومية للعمل التبشيري اليهودي كونها ديانة حصرية للإله يهوه وللشعب المختار دون الأمميين (Gentiles)⁴ ، ثم في إصرار بعض الطوائف اليهودية المنفتحة على وجوب أن يلتزم الوثنيون الذين يدخلون المجتمع اليهودي بالقوانين اليهودية المميزة، وهنا نجح المسيحيون حيث يفشل اليهود⁵، وجسد المسيح هذا النشاط من خلال تقديم شكل عالمي من اليهودية إلى اليهود في المقام الأول وقاد بولس بعده ، النشاط بعد أن عمل على توسيع الاعتقاد بأن المسيح عالمي الرسالة ولغير اليهود واله كل الأمميين⁶ و يشمل كل الأعراق.

¹ شارل جنبير، المرجع السابق، ص57.

² Stark, R., The Rise Of Christianity, Harper Collins , Usa, 1997, p.49.

³ Ibid. p.71.

⁴ يطلق هذا الاسم على الشعوب غير العبرانيين.

⁵ Rothschild, C., Schroter, J., The Rise And Expansion Of Christianity In The First Three Centuries Of The Common Era, Mohr Siebeck, Germany, 2013, p.12.

⁶ Ibid. p.1.

حيث أن وجود اليهود واليونانيين والرومانيين والسوريين والفريسيين جعل من المستحيل على الكنيسة أن تكون غير عالمية، وكنيسة لليهود فقط، أن عالمية الكنيسة¹ وحدة الرسالة والرسول والإله جعلت كلها في خدمة العمل نجاح العمل التبشيري، الذي انتهجته الكنيسة بشكل سلس والذي تخطى اليهود واليهودية إلى نجاح صار ينافس نجاح الإمبراطورية في فرض الوحدة بسلطتها باعتبارها الراعي الرسمي للوحدة في كل أجزائها.²

ثالثاً يقول فيليب شاف إن النجاح السريع للمسيحية يمكن إرجاعه إلى خمسة أسباب وهي الحماس الديني لأصحابها ثم عقيدة الخلود الأبدي للروح بعد موتها وعدم التخوف من الموت في وجه السلطة المضطهدة وقوة وهيكلية المجتمعات المسيحية المبكرة. إضافة إلى الأخلاق المسيحية والانضباط المتشدد للمسيحيين الأوائل وكذلك وحدة وانضباط الكنيسة التي شكلت تدريجياً نواة صلبة في قلب الإمبراطورية.³

تسارعت وتيرة الدعوة المسيحية أيضاً على إثر خراب أورشليم للمرة الأولى سنة 70م، ليتفرق المسيحيون، فلقنوا إلى البلدان المجاورة ومنها سوريا ومصر والعراق والرها، وإلى روما والغرب من الجهة المقابلة وحيثما حلوا كانوا يتابعون تبشيرهم، حتى للأمم غير اليهودية.⁴ وتوسعت دائرة المسيحية، فظهرت الأناجيل، كما كانت كتابة الرسائل إلى المؤمنين في العواصم الكبرى مثل رسائل بولس، لدعمهم وتشديد عزائمهم، وتفصيل بعض الأمور العقائدية والاجتماعية المبهمة، كما ظهرت كتابات النصيح والإرشاد وحل للخلافات، في المجتمعات المسيحية الوليدة وهي ما يعرف بأدب الآباء الرسولين،⁵ زيادة على ذلك شكلت اللغة اليونانية

¹ برزت الفكرة العالمية للكنيسة من عالمية الرسالة المسيحية، يقول المسيح في انجيل مرقس 16 : 15 : اذهبوا الى العالم أجمع وكرزوا بالانجيل للخليفة كلها .

² Glover, T., C.R.E.R.E.Cornell University Library, Usa, 2014, p.143.

³ Schaff, Ph., Op.Cit.p.123.

⁴ الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، المجمع المسكوني نيقية الأول، المكتبة البوليسية، لبنان، 1997، ص 32.

⁵ نفسه، ص 32.

وحدها اللغة الطقسية في جميع البلدان إلا أن أحادية اللغة، كانت إلى حد بعيد، وراء تأخر انتشار المسيحية ، في الشطر الغربي من العالم الروماني.¹

تمتعت المسيحية في أيامها الأولى بالحرية ما يقرب من ثلاثين سنة،² وهي تقريبا الفترة التي كانت مفصلية في العلاقة اليهودية المسيحية حيث تم الانفصال بينهما في العقد الرابع تقريبا ما جعل من السياسة الرومانية تجاه المسيحيين تتسم بالسلمية في الفترة الأولى نتيجة الحرية الدينية لليهود في الإمبراطورية ، ما سهل على الأتباع والرسل والتلاميذ نشر الديانة في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية. كما لعبت الفئة المستهدفة دورا في سرعة انتشار المسيحية حيث تبنتها غالبية التجمعات الصغيرة ، وغالبًا ما كانت مجرد حفنة من الفقراء كما كان المسيحيون الذين تحولوا إلى المسيحية ينتمون في الغالب إلى الطبقات الوسطى والدنيا من المجتمع ، مثل الصيادين والفلاحين والحرفيين والتجار والمحرفين والعبيد.³

كان هناك أيضا دور فعال للذين تلقوا الإنجيل من أسرى الإمبراطورية الرومانية والذين تم نقلهم للعيش في الإمبراطورية المأسورين من مختلف المناطق التي عرفت المسيحية ،⁴ يقول القديس بولس: "ليس كثير من الحكماء بعد الجسد ، وليس كثيرون من الأقوياء ، ولا كثيرون من النبلاء ، لكن الله اختار حمقى العالم ، ليخزي الحكماء ، واختار الله الضعفاء من العالم ليخزي الأشياء القوية ؛ والأشياء الأساسية في العالم ، والأشياء المحترقة ، هل اختار الله ، نعم ، والأشياء التي ليست كذلك ، حتى لا يجلب شيئا الأشياء التي هي: أنه لا ينبغي لأي جسد أن يمجّد أمام الله،⁵ ومع ذلك فإن هذه الفئات الفقيرة الأمية كانت تتلقى وتنقل المسيحية وهي من وكلت لها مهمة بنائها.⁶

¹ اندريه ايمار ، المرجع السابق ، ص 638 .

² محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية ، دار المعارف، مصر، 1995، ص 57.

³ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.123.

⁴ Maraval,P., CH.C.C.A. Presses Universitaires De France, Paris, 2015,p.133.

⁵ رسالة بولوس الأولى الى أهل كورنثس 1: 27

⁶ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.123.

2-8-2 مناطق الانتشار المسيحي في الإمبراطورية الرومانية

ترسخت المسيحية في آسيا بسرعة كبيرة و تدعي بعض الروايات اللاحقة حول الرسل أن أندريا قد ارتحل إلى بلاد السبخ، بينما توجه يعقوب الأكبر إلى اسبانيا ، وأخوه حنا إلى آسيا الصغرى ، و توماس إلى الهند والصين .¹ ومع الثورة اليهودية الثانية تحررت المسيحية اليهودية وخرجت من نطاق القدس الجغرافي ، كما تمكنت من إعادة تنظيم نفسها في أماكن أخرى غير يهودا ، مثل الجليل أو ما جاورها وشرق الأردن إلى سوريا،² وشهدت معظم المدن السورية حركة مسيحية نشطة جدا بفعل ترسخ الجالية اليهودية والتي كان لها تاريخ طويل في سوريا حيث يتحدث يوسفوس عن زوجات سكان دمشق على أنهم تحولوا جميعهم تقريباً إلى الديانة اليهودية³ ، وهو تعبير يشير إلى مبالغة خطابية وتضخيم مبالغ فيه من قبل يوسفوس .

غير أن هناك حقيقة تاريخية يمكن ملاحظتها في سرعة تقدم المسيحية لاحقاً في دمشق و نستطيع استنتاج ذلك من الانتشار العكسي لحركة الاضطهاد اليهودي للمسيحيين ، منذ أن عزم الفريسي بولس الرسول محاربة البدعة المسيحية و حصوله على خطابات توصية من رئيس الكهنة للذهاب إلى المدينة السورية لاضطهادهم⁴ و التي نمت فيها المسيحية في وقت مبكر جداً، ويتحدث جوزيفوس عن حوالي 10500 ضحية يهودية بعد بدء الاضطهاد في المدينة سنة 66 م .⁵

يجعلنا هذا نعتقد أن بعضهم كانوا أول من أعلن الإنجيل في دمشق، مهما كان الأمر فقد ظهر الإنجيل في وقت مبكر في المعابد اليهودية في سوريا، نلاحظ أيضاً أن مدن في آسيا تأسست فيها الكنائس في القرنين الأول والثاني بعد ان عرفت مجتمعات يهودية جيدة التنظيم

¹ شارل جنيبير، المرجع السابق، ص66.

² Leveils, X., Op. Cit. p.19.

³ Flavius Josephus, Antiquities Of The Jews ,Book 18, Chapter 5, Section 1, Perseus Digital Library, Tufts University.

⁴ Leveils, X., Op. Cit. p.48.

⁵ Ibid. p.49.

مثل النموذج السوري¹ ، وتمددت المسيحية إلى الغرب ومن ثم تسربت إلى الشرق ، لتدخل عبر التركمانستان حالياً، ومشارف الشرق الأقصى.²

أخذت المسيحية تغير وجه الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية إلى حد كبير من قيصرية إلى مدن الساحل الكبرى مثل صور وبيروت ، وتم إحصاء عشرين أسقفاً مسيحياً في تلك المناطق ثم توسعت جنوباً نحو الأردن حالياً والتي كان، بها خمسة أساقفة ثم شبه الجزيرة العربية حتى نهر الفرات، و أحصي نحو عشرين أسقفية و في الإمبراطورية الفارسية، كان تقدم المسيحيين الناطقين بالسريانية واضحاً لنسجل في عام 224م أكثر من عشرين أسقفية على ضفاف نهر دجلة، و في منتصف القرن الثالث بلغ التبشير أرمينيا.³

لتصبح آسيا الصغرى ، أرض التبشير المسيحي الأقدم والأكثر اكتظاظاً بالسكان والأغنى في الإمبراطورية ، ولعل ذلك الوزن برز بشكل واضح في مجمع نيقية حين أرسل من المنطقة أكثر من مائة أسقف، من إجمالي ثلاثمائة أساقفة.⁴ أما في أوروبا فقد كانت مدينة روما هية هدفاً أساسياً للانتشار المسيحي والدعوة المسيحية كونها بالنسبة للإمبراطورية الرومانية مركز الحكم الروماني.⁵ ومع بدايات المسيحية تطور مجتمع مسيحي صغير في روما نفسها⁶ لنشهد في عام 58 م بولس يقول: "من أورشليم وما حولها حتى إيريكوم⁷، بشرت بإنجيل المسيح بالكامل⁸ وبعدها بسنوات التقى بولس وبيتر معاً في روما بعد سنة 63م⁹، وتم

¹ Levieils,X.,Op.Cit.p.75.

²الأب ميشال أبرص،الأب أنطوان عرب،المرجع السابق،ص32.

³ Rouche,M.,Op.Cit.p.92.

⁴Ibid.p.95.

⁵ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.224.

⁶ Strauss,B.,Op.Cit.p.103-104.

⁷ مقاطعة رومانية تقع حالياً ضمن حدود دولة ألبانيا

⁸ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.122.

⁹ ويرجح أن بولس بلغ في دعوته حتى إسبانيا ، في الحدود الغربية للإمبراطورية..Schaff ,Ph., Op.Cit.p.122.

تقسيم مجال الدعوة والتبشير بينهما ، وهو على ما يبدو سبب وضعهما كمؤسسين مشتركين للكنيسة الرومانية.¹

ثم إن لوجود مجتمع يهودي في روما دور في تسهيل عملية الانتشار المسيحي وانبثق منه نواة مجتمع مسيحي والذي يبدو أنه تأسس في روما وتعزز بقدم الحجاج العائدين بعد معموديتهم في القدس.² وانتشر المسيحيون في جميع أنحاء المدينة ، وعقدوا اجتماعاتهم في أماكن مختلفة و شكلوا مجتمعات متميزة ، أو بالأحرى قسمين في مجتمع مسيحي واحد،³ قسم يهودي متحول للمسيحية بخلفياته وميراثه العرقي والديني اليهودي السابق وقسم وثني متحول للمسيحية يحمل أيضا خلفياته الوثنية ولو تولى عنها لصالح المسيحية إلا أن أثرها باقي .

أسهمت اللغة اليونانية في روما في زيادة تأثير المسيحية وانتشارها حيث أن اليهود خارج فلسطين يقرؤون ويكتبون ويتحدثون ويفكرون ويعبدون باللغة اليونانية⁴ و من بين النقوش الموجودة في سراديب الموتى اليهودية في روما ، تشير المادة الأثرية انه كان أقل من 2% بالعبرية أو الآرامية ، بينما كان أكثر من سبعين في المائة باليونانية والباقي باللاتينية، و اتخذ العديد من اليهود في الشتات أسماء يونانية ، وقاموا بدمج الكثير من الفكر اليوناني في آرائهم الثقافية ، تمامًا كما اجتذب، العديد من اليهود اليونانيين بعض عناصر الفكر الديني الوثني.⁵

¹ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.230.

² Rouche,M.,Op.Cit.p.16.

³ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.231.

⁴ رغم وجود اللغة المشتركة بين اليهود والمسيحيين واليونانيين إلا أنهم ، لم يتمكنوا من انتزاع أنفسهم من الركيزة الآرامية والسريانية لأصولهم... ما شكل عائق في استمرارية نجاح عملية نشر المسيحية في الأوساط اليونانية وخاصة المثقفة
Rouche,M.,Op.Cit.p.48.

⁵ نجد أثر اللغة اليونانية في أفريقيا حيث كانت لغة الكنيسة في إفريقيا - حتى اليوم يمكن للمرء أن يرى النصوص اليونانية على نقوش الجدران والقبور - ولكن في القرن الثاني كان هناك تغيير الى اللاتينية لغة القوة الإمبراطورية. Sundkler,B.,
Steed. Ch.,Op.Cit.p.21.

لم تعد أعداد كبيرة من اليهود بالمعنى العرقي وظلت كذلك جزئياً بالمعنى الديني لكنهم لم يكونوا يونانيين أيضاً ، لأن اليهودية لم يكن من السهل فصلها عن العرق ،¹ اتحد اليهود واليونانيون في كنيسة واحدة أصبحت بمثابة خميرة للتقاهم بين السكان اليهود واليونانيين وأساسهم الروحي المشترك ، الإيمان ، وسهل ارتباطهم داخل نفس المجتمع.²

و الذي أثر لاحق بشكل مباشر في روما التي كان نصف السكان الرومان يتحدثون اليونانية ، لغة الشرق والعالم المتحضر ،³ لذلك تم نعت كنيسة روما ،بكونها كنيسة يونانية الأصل ثم أن النسخة اللاتينية الأولى من الكتاب المقدس لم تُصنع لروما ، بل للمقاطعات ، وخاصة لشمال إفريقيا و كان اليونانيون والشرقيون الناطقون باليونانية في ذلك الوقت أكثر الناس ذكاءً وروحاً وحيوية بين الطبقات الوسطى في روما بل شكلوا فئات من التجار والحرفيين المهرة وخدم المنازل.⁴

وفي تركيبة المسيحيين الاجتماعية ، كانت الغالبية العظمى من المسيحيين في روما ، حتى نهاية القرن الثاني (أنظر الملحق 9) ينتمون إلى الرتب الدنيا في المجتمع من الحرفيين والمحرفين والعبيد، وقد احتقر الأرسقراطيون الرومانيون الفخورون بالثروة والسلطة والمعرفة ، الإنجيل باعتباره خرافة مبتذلة.⁵ وبذلك ظهرت الروح المسيحية والروح الدينية الرومانية القديمة متضادتين بشكل حاد وغير قابل للتوفيق بينهما ، وعاجلاً أم آجلاً كان عليهما أن يلتقيا في صراع مميت.

¹ Stark,R.,Op.Cit.p.58.

² Leveils,X.,Op.Cit.p.52.

³ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.224.

⁴ Clifford,A., Law Language And Empire In The Roman Tradition, University Of Pennsylvania Press,2010,p.109.

⁵ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.231.

في مصر ظهرت المسيحية في وقت مبكر نسبياً، وخاصة في الإسكندرية حيث كان يقيم فيها كثير من اليهود، و جاءتنا من أوائل القرن الأول للميلاد مقاطع برديات تحمل نصوص أناجيل مجهولة تختلف عن الأنجيل القانونية، وكذلك مقاطع من أناجيل العهد الجديد من إنجيل يوحنا على سبيل المثال، كما عرفت مصر بروز مؤسس الكنيسة المسيحية الإسكندرانية مرقس¹ وهو أحد الرسل المحوريين في المسيحية ما يثبت محورية مصر في تاريخ الانتشار المسيحي وقد استمرت هيمنة الإسكندرية المسيحية على البلد من الدلتا إلى طيبة حتى وقت متقدم.²

عثر في أوراق البردي من فترة لاحقة في القرن الثاني للميلاد في قرية كرانيس القديمة بالفيوم على أنشودة غنوصية عن المسيح مما يدل على وجود هذه الهرطقات في مصر³، هذه البرديات الأدبية المتصلة بالمسيحية من القرن الثاني الميلادي تعتبر من ناحية دليلاً قوياً على انتشار المسيحية في مصر خلال ذلك القرن وحاجة التجمعات المسيحيين إلى كتابة وتدوين الأنجيل المعروفة حينئذ للتعرف على شئون دينهم، ولكنها من ناحية أخرى لا تعطينا فكرة واضحة عن كيفية دخولها أو انتشارها في مصر أو عن المسيحيين الذين دونوا هذه الأنجيل أو استعملوها.

¹ اس سفينيسكايا، المرجع السابق، ص 96.

² Rouche, M., Op. Cit. p.95.

³ محمد السيد محمد عبد الغني، أضواء على المسيحية المبكرة، دار المعرفة، مصر، 1997، ص 4.

الفصل الثالث: الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية

1- خلفيات الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية

1-1 علاقة اليهود بالصراع الوثني المسيحي.

1-1-1 طبيعة العلاقة بين اليهود والسلطة الرومانية.

1-1-2 الثورات اليهودية ضد الحكم الروماني.

2-1 الخلاف العقائدي بين المسيحيين واليهود.

3-1 الاضطهاد اليهودي للمسيحيين.

2- السلطة الرومانية وموقفها من الديانة المسيحية

3- المنطلقات العقائدية للصراع الوثني المسيحي

1-3 تأليه الإمبراطور.

2-3 عقيدة الاستشهاد المسيحية.

3-3 معتقد قيام مملكة الرب عن المسيحيين.

4- الاضطهاد الديني في عهد الأباطرة الرومان

1-4 اضطهادات الإمبراطور نيرون (Nero)

2-4 اضطهادات الإمبراطور ماركوس أورليوس (Marcus Aurelius)

3-4 اضطهادات الإمبراطور كومودوس (Commodus)

4-4 اضطهادات الإمبراطور سيبتيموس سيفيريوس (Severus Septimius)

5-4 اضطهادات الإمبراطور ديسيوس (Traianus Decius)

6-4 اضطهادات الإمبراطور فالريان (Licinius Valerian)

7-4 اضطهادات الإمبراطور جالينوس (Licinius Egnatius)

(Gallienus)

8-4 اضطهادات الإمبراطور أورليان (Lucius Aurelianus)

9-4 اضطهادات الإمبراطور دقليانوس (Diocletianus)

10-4 اضطهادات الإمبراطور جاليريوس (Gaius Galerius)

5- الصراع الوثني المسيحي في عهد الإمبراطور قسطنطين (Flavius Valerius)

(Constantinus)

1-5 الإمبراطور قسطنطين والمسيحية .

2-5 مرسوم ميلان 313م وانعكاساته على المسيحية .

1- خلفيات الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية

نستطيع أن نفكك الصراع القائم بين الوثنية الرومانية والمسيحية من خلال فهم الدور الذي لعبه اليهود والذي يظهر في الخلفية الدينية اليهودية للمسيحية وتأثر الأخيرة بها، ثم الدور اليهودي في اضطهاد المسيحية الوليدة و أيضا الموقف المسيحي من الثورات اليهودية في وجه السلطة الرومانية .

إن كان الرومان قد اضطهدوا المسيحية بداية من القرن الأول للميلاد من خلال محاولة القضاء على إتباعها، فاليهود كان لهم دور أكثر سوء ووحشية من خلال أولا تشويها دينيا وثانيا و فصلها عقائديا ومؤسساتيا عن الهيكل الديني اليهودي خصوصا في الفترة الممتدة من القرن الأول للميلاد حتى القرن الثاني منه ، وثالثا وهو الأهم من خلال اضطهادهم للمسيح نفسه ، والذي يشكل الركيزة الأساسية للقضية المسيحية ، ما جعل اثر الاضطهاد اليهودي للمسيحية ينافس أثر الاضطهاد الروماني الوثني في حد ذاته .

1-1-1 علاقة اليهود بالصراع الوثني المسيحي

1-1-1-1 طبيعة العلاقة بين اليهود والسلطة الرومانية

تتركز العلاقة اليهودية مع الرومان على نقطتين الأولى عقائدية من خلال الرؤية التوراتية¹ اليهودية لكل الأمم غير اليهودية والثانية سياسية وحلم قيام مملكة الرب في العالم وفي فلسطين ابتداء و التي كانت فيها اليهودية ديانة فئة ، وكان للأمة اليهودية الحق في عبادة إلهها القومي وفقاً لشعائرها².

¹ تقدم التوراة تصورا عن مسار اليهود وعلاقتهم بالغير حيث تؤكد على استمرارية اضطهادهم حتى ينتهي حكم الأجانب ويحكم اليهود نهائيا على كل الأمم ويلزم لذلك أن تقوم حرب على قدم وساق تقني وتهلك ثلث العالم ويبقى اليهود المنتصرين يحرقون الغنائم من أسلحة سبع سنين كاملة بعد النصر . يوسف عيد ،الديانة اليهودية ،دار الفكر ،بيروت ،1995ص155.

² Goodman,M.,Judaism In The Roman World ,Brill ,Boston, 2007,p.108.

مثل جميع شعوب الإمبراطورية الأخرى و يمكن لليهودية أن تجد مكانها في المنظومة الرومانية التي أعطت اليهود كل حقوقهم الدينية والاجتماعية والسياسية في روما إلا أن ذلك لم يحصل بالطريقة المثلى .

بالنسبة لليهودي إن أي مشاركة في أي عبادة وثنية من تضحية أو صلاة أو قسم استحضار إله آخر ترقى إلى إنكار إيمانه وشريعته و إلى خيانة لشعبه، فيهوه لا يعترف بأي تقسيم، وهو السيد المتسلط على الكون وله وحده يجب السجود والعبادة والطاعة¹ ، فالطاعة لأي سلطة أخرى مهما كانت مكانتها وعظمتها لا تتفق ووصية الإله، والخضوع لأي ناموس أو قانون آخر غير ناموس وقانون يهوه يعتبر مخالفا وكسرا وصيته و إهانة لشخصه وعلى ما يبدو أن المسيحيين في قناعاتهم وعقائدهم تجاه السلطة طبقوا نفس الأفكار اليهودية وان لم يعترفوا بالمرجعية اليهودية فيها .

برز الكيان اليهودي عقب محاولة الكاهن عزرا (Azaryah) جمع اليهود في تجديد لعهد موسى لتبدأ معه مرحلة مفصلية في تاريخ اليهود القائمة على تقديس الناموس وصار حكم الكهنة أكثر تجذرا وصاروا هم من يقودون الجموع اليهودية ويوجهونها ودخلت اليهودية مرحلة الانطواء على نفسها ما زاد من سلطة القادة الدينيين وعمق دورهم في ترسيخ معتقدات جديدة تناسب وضعهم في ظل الحكم الأجنبي.²

¹ Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Histoire Du Christianisme Des Origines A250 , Deslee,Paris,2000,p.235.

² يوسف عيد،المرجع السابق،ص55.

لذلك اعتبروا أن وجود سلطان روما ثم ممارساتها في فلسطين بالتحديد اهانة ليهوه ، وكانوا يعتقدون أيضا بأن إله إسرائيل الذي أخرجهم من مصر وخلص آبائهم من الاضطهاد سيخلصهم هم أيضا من ظلم الرومان ، على شرط أن يستعملوا هم أيضا كل الوسائل التي يملكونها للتخلص من المستعمر وأعدائه.¹

وكانوا علي استعداد أن يضحوا بكل ما يملكون لتحقيق حلم الاستقلال وحرية العبادة. وكانت أفكار الخلاص مستولية عليهم وعلى كل قناعاتهم حيث وصل الأمر إلى غاية اقتناع الكهنة أن وقت تدخل الله بمعجزاته قد دنى شرط أن يواصلوا كفاحهم ضد روما.² بل ضد كل الأُمميين لمنع استملاكهم الأرض حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم.³

كان اليهود في نظر السلطات الرومانية شعبا صعب الانقياد والحكم، كما كانوا من جهتهم، برمين بسيطرة الرومانيين ويتحنون الفرص السانحة للتخلص منها ،⁴ وبالمثل عبر تاريخهم تم طردهم من روما وتهجيرهم أكثر من مرة ولعل أبرزها سنة 139 ق.م وهذا يعتبر القرار الأول للسلطة الرومانية تجاه أصحاب الشريعة اليهودية وعلى خلفية تبشيرهم بالديانة اليهودية ،⁵ وان كانت مسألة التبشير اليهودي تحتاج إلى تمحيص أدق على اعتبار التبشير اليهود محل خلاف بين أبناء الطائفة نفسها ، إضافة لكونها لم تكن مغرية لغير اليهود بالدرجة الكبيرة ، خاصة إذا رجعنا إلى حالة اليهود الاجتماعية مقارنة مع الطبقات الأخرى من الوثنيين

يعكس تاسيتوس رؤية الرومان لليهود واليهودية بالقول : هذه العبادة ، فاسدة ومثيرة للاشمئزاز ، تدين بقوتهم لسوءهم الشديد. الأكثر تدهورا من بين الأعراق الأخرى على الرغم من أنهم ينظرون إلى بقية البشر بكل كراهية الأعداء. يجلسون منفصلين لتناول الوجبات ،

¹ حنا جرجس الخضري، المرجع السابق، ص120.

² نفسه، ص132.

³ يوسف عيد، المرجع السابق، ص155.

⁴ اندريه ايمار، المرجع السابق، ص 418.

⁵ Goodman, M., Op. Cit. P. 108.

وينامون منفصلين ، ومع ذلك فإنهم كأمة يميلون بشكل فردي إلى الشهوة ، ويمتنعون عن الجماع مع النساء الأجنبية ؛ يحتقرون كل الإلهة ، ويتبرؤوا من وطنهم. ويعتبر قتل أي طفل حديث الولادة جريمة بينهم. يرون أن أرواح كل من يهلك في المعركة أو على يد الجلاد خالدة في حين أن الدين اليهودي لا لون له ولثيم.¹

أدرج أغسطس اليهودية ضمن الديانات الأجنبية التي كانت تستحق اللامبالاة والازدراء عندما روى مدح الإمبراطور لحفيده كايوس لعدم توقفه عن الصلاة في القدس أثناء إقامته في الشرق،² وكانت سياسة الرومان تشجع على قيام الممالك الصديقة المستقلة عند حدودهم لضمان الحماية من الأخطار الخارجية من أعداء الدولة الرومانية³ وتم تحديد الوضع القانوني لليهود في الإمبراطورية الرومانية من خلال أكثر من قانون، يضعهم في أعين السلطة وتحت سلطتها

هذه السياسة الرومانية نتجت عن ممارساتهم و وجودهم الملتبس في المجتمعات الوثنية وحتى أثناء مشاركتهم في العديد من أنشطة المجتمع العام ، فقد سعوا للحفاظ على جزء كبير من حياتهم معزولين عن طبقات معينة من النظام الاجتماعي محافظين على مجالهم اليهودي المميز.⁴

بالمقابل كانت السلطات الرومانية متسامحة مع اليهود إلى حد يجعلها لا تفقد فيه السيطرة عليهم ،حيث ألت على نفسها حماية ديانتهم وأعطتها ضمانات ترجع إلى عهد يوليوس قيصر ،بموجبها زاولوا شعائهم الدينية في حرية وأمن و سمح لليهود بإصدار عملة نقدية خاصة بهم دون أن يطبع عليها صورة الإمبراطور ، كما تم إعفائهم من الحظر المفروض على تصدير

¹ Cornelius Tacitus, The Annals, Book 5,Chapter5, Perseus Digital Library, Tufts University.

² Leveils,X.,Op.Cit.p.124.

³ احمد عثمان ،تاريخ اليهود ، ج 01، مكتبة الشروق ،القاهرة ،1994، ص 5.

⁴ Davies,W., Finkelstein, L.,The Cambridge History Of Judaism, Vol 3, Cambridge University Press, 2008,p.128.

المعادن الثمينة من الإمبراطورية الممنوحة لصالح ضريبة المعبد اليهودي ، وهو امتياز تلاه بعد فترة وجيزة إعفاء اليهود من الخدمة العسكرية الرومانية.¹

ميثاق الحرية الدينية اليهودية الذي صاغه يوليوس قيصر وأكده أغسطس ، كان عنوان لسياسة التسامح الديني الروماني ، أعطى اليهودية مكانة دينية في جميع أنحاء الإمبراطورية وتم منحهم حرية داخلية في ظل حكام الولايات وشكلت حوالي عشرة من تلك المدن ذات الكثافة اليهودية نوع من الحكم الذاتي تحت سلطة الحاكم الروماني للمقاطعة²، لكن رغم كل الامتيازات التي منحها الرومان لليهود إلا أنهم قابلوها بروح انفصالية وتعصب ديني وانعزال عن المجتمع،³ ويفهم هذا الانعزال إذا ما تتبعنا السياق التاريخي الذي نمت فيه اليهودية وطبيعة الحياة الدينية اليهودية المنغلقة على نفسها وغير التبشيرية .

لعل ابرز مثال عن هذا الانغلاق الذي قوبل بالثورة ، حين حاول انطيوخوس أبيفانس Antiochus ، ملك سورية السلوقي⁴ استخدم القوة عندما رأى ببطء عملية تحويل جميع الشعوب الخاضعة لسلطته إلى الهلنستية خلال القرن الثاني ق.م، في محاولة لفرض سيطرته وأجبر بذلك اليهود على عبادة زيوس والذي ادعى هو نفسه، أنه ظهوره الأرضي ظهور للإله نفسه ، لذلك فقد منع اليهود من أن يلزموا السبب مهددا بالقتل، وصودرت كتبهم ومنع عنهم استخدامها وكذا العبادات المرتبطة بها .⁵ لقد كانت طبيعة الحياة اليهودية الدينية متكيفة مع ضغوطات السلطات ورغم ذلك في لحظة الصدام مع المعتقدات الدينية الأصيلة كانوا ينتفضون ضد السلطات.

¹ Neusne,J., Studies In Judaism In Late Antiquity, Brill Leiden, Netherlands, 1976,p.539.

² احمد عثمان ،المرجع السابق، ص 309.

³ حافظ أحمد غانم ،المرجع السابق، ص 115.

⁴ انطيوخوس ارباع احد أشهر الملوك السلوقيين واشتهر بمعاداته لليهود

⁵ فراس السواح ،2017،الكتاب الخامس ، المرجع السابق ، ص 172.

2-1-1 الثورات اليهودية ضد الحكم الروماني

بدء الخلاف اليهودي الروماني يظهر بصورة أوضح عندما قام بيلاطس البنطى بالتدخل في الشؤون الإدارية والدينية وزيادة الضرائب على اليهود هذه الأسباب مع أسباب أخرى عديدة دفعت كثيرين من اليهود وخاصة أحزاب الغيورين إلى الثورة والعنف في استمرارية لاضطراب منطقة فلسطين التي لم تعرف الراحة طوال ستة عقود¹.

اشتبك اليهود مع القوات الرومانية ، و سيطرت القوات اليهودية في بداية الأمر على الموقف بالرغم من القوة الرومانية والمساعدات العسكرية التي جاءت من مناطق أخرى لإخماد الثورة وسحقها،² وتطور الوضع مع اعتلاء الإمبراطور كاليجولا (Caligula)³ عرش الإمبراطورية في 37م،⁴ حيث أمر جميع أتباع الديانات الموجودة آنذاك أن يقدموا قربانا له، وأمر رجاله في اورشليم أن يضعوا تمثاله في الهيكل وذلك عملا بمعتقد عبادة الإمبراطور ، ما جعل من اليهود يظهرن امتعاضا شديدا من تصرفات الإمبراطور إلا أن القدر تدخل، لتنتهي مشكلتهم بوفاته.⁵

بعد أحداث منتصف القرن الأول للميلاد ، لم تهتم السلطات اليهودية بإثارة صراع داخلي يخاطر بإثارة استياء الرومان، الذين كانوا دائماً على استعداد لاعتبار أدنى اضطراب على أنه فرصة للقمع، واستمرت حالة المهادنة إلى عام 66 م.⁶

ليثور اليهود في فلسطين من جديد نتيجة مباشرة للضرائب التي أثقلت كاهل جميع اليهود كما تم المس بحرية ممارستهم الدينية وطقوس الختان و الاحتفال بالسبت والأعياد،⁷

¹ يوسف عيد، المرجع السابق، ص84.

² حنا جرجس الخضري، المرجع السابق ، ص132.

³ Gaius Julius Germanicus إمبراطور روماني حكم بين 37 م إلى غاية 41م. Strauss,B.,Op.Cit.p.304.

⁴ Leveils,X.,Op.Cit.p.53.

⁵ حافظ أحمد غانم، المرجع السابق، ص116.

⁶ Leveils,X.,Op.Cit.p.55.

⁷ Renan,E., L'Église Chrétienne , Calmann Lévy, Paris, 2018,p.119.

إضافة إلى مضايقات الجيش الروماني المتحصن في القدس، ومحاباته تجاه الطوائف غير اليهودية في الأرض وكذا الإهانات الرومانية المختلفة للمعبد والتي خلقت انطباعاً بأن روما هي مملكة الغطرسية هي وحلفائها من الطبقات العليا اليهودية الموالية للرومان.¹

تجدد الاشتباكات و هزمت القوات الرومانية علي يد القوات اليهودية في سنة 70م وانسحب الباقي وهو ما كان له تأثير عميق في نفسية اليهود خصوصاً في نفسية أحزاب الغيورين الذين اعتبروا أن النصر جاء من الله، ولا بد أن الله سيتدخل لكي يحرر شعبه من الاستعمار، أما روما فلم يكن من السهل عليها أن تقبل هزيمة مثل هذه ولذلك فقد كلف نيرون فسبريان² بإخماد هذه الثورة، ولم يستطع الثائرون الثبات أمام قوته فسقط الكثيرون وهرب البعض الآخر خصوصاً قادة الثورة إلى أورشليم لكي يواصلوا نضالهم هناك، ومع موت نيرون صعد فسبريان لحكم روما وأصبح إمبراطوراً لها وترك ابنه تيطس لإخماد الثورة اليهودية.³

يخبرنا جوزيفوس أنه بينما كانت الحرب مع روما تختمر، فقد حذر مراراً وتكراراً أبناء وطنه من حماقة التمرد المسلح⁴، ولقد استطاع تيطس القضاء على الثورة في ماي سنة 70م لتصبح نصف مدينة أورشليم في يد الرومان، وفي 29 أوت سنة 70 م سقطت المدينة إلا

¹ Strauss,B.,Op.Cit.p.118.

² ولد تيتوس فلافيوس فيسباسيانوس في 9 م في قرية صغيرة بالقرب من مدينة سابين ريتي كان فيسباسيان من عائلة لها تراثها وتقاليدها، المعروفة باسم فلافيان، وكان والده جابياً للضرائب في آسيا الصغرى ومرابياً في آسيا الصغرى.

Strauss,B.,Op.Cit.p.114.

³ تعرض جيش فيسباسيان في نوفمبر 67م للهجوم في حملته على فلسطين ولمقاومة شديدة من المرابطين اليهود قرب بحيرة طبريا. واصطدموا بالتضاريس الصعبة و بصفته القائد العام، قاتل فيسباسيان الى أن، احتلوا المدينة. كان فيسباسيان مستعداً لبدء حصار القدس في صيف 68م، بعد وفاة نيرون، جعل فيسباسيان أول أمر له هو ترميم معبد جوبيتر الذي تم

تدميره في قتال ديسمبر 69م و أراد أن يُظهر أن الآلهة تقف إلى جانبه. Ibid.p.154.

⁴Hare, D. R.,The Theme Of Jewish Persecution Of Christians In The Gospel According To St Matthew, Cambridge University Press,Uk, 1967,p.8.

أجزاء منها في يد الرومان ، وفي أواخر سبتمبر سقطت المدينة كلها ، فقلبوها رأساً على عقب¹ وأدت هذه الضربة إلى زيادة تشريد اليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية.²

شهدت فلسطين بعدها ظهور عدد كبير من الثوار والأشخاص الذين إدعوا بأنهم مسايا ولقد كانت هذه الحركات المسيانية السياسية سببا من الأسباب الهامة التي أثارت غضب الرومان وجعلتهم ينظرون إليها كحركات عدائية لهم وللإمبراطور نفسه.³ و أدرك الرومان خطر الفكر اليهودي في بروز المسايا المخلص وزوال ملكهم وسلطتهم، وتجدد الثورات والتمردات عليهم ، ما يعني عدم دفع الضرائب وإثارة القلائل وتعطيل التجارة وإثارة الأقليات الأخرى وتحريضها على روما وهو ما جعلهم يقمعون أي حركة من هذا النوع .

أما اليهود الذين يقيمون خارج فلسطين و في الغرب بتحديد فلم يعانون كثيراً من حماقات إخوانهم في الدين و لم يشارك اليهود المسالمون في النضال وحافظوا على الامتيازات السابقة الممنوحة لهم من زمن قيصر⁴، وسرعان ما تصالحوا مع المنتصرين. بل تجرأ البعض على القول بأن الجنة كانت في صالح الرومان.⁵

لم يتوقف مسار الثورات اليهودية ضد الرومان بعد الثورة اليهودية الكبرى ليشتعل من جديد على خلفية الاضطرابات الناجمة عن الوجود العسكري الروماني الكبير في فلسطين ؛ والتدهور الاقتصادي و التحول من ملكية الأراضي إلى المشاركة في الزراعة و التغييرات الإدارية في يهودا بعد الثورة الأولى التي امتدت من سنة 66م-70م وأيضا التحريض القومي الذي أثارته الانتفاضات اليهودية في مصر وليبيا أثناء الثورة التراجانية ؛ وحرب تراجان ضد

¹ حنا جرجس الخضري، المرجع السابق، ص120.

² حافظ أحمد غانم، المرجع السابق، ص116.

³ حنا جرجس الخضري، المرجع السابق، ص132.

⁴ Renan,E., Op.Cit.p.132.

⁵ Ibid.p.132.

يهود بلاد ما بين النهرين و حظر الإمبراطور هادريان¹ للختان الذي يقال أن الحضر كان إجراءً عقابياً بعد الثورة اليهودية على السلطة.²

الا أن هذا لم يضع حداً لهياجهم وسخطهم لان اليهود أمنوا أن خضوعاً مذكلاً للاستعباد الروماني، يعني التخلي عن يهوه ربهم وسيدهم الأوحد، وكانوا مقتنعين بأنهم بإشهارهم السلاح سوف يعجلون بمجيء المسيح المخلص،³ الذي لا يأتي الا اذا انقضى حكم الأشرار الخارجين عن دين يهوه.⁴

لنتوسع وتنتشر بذلك الثورات اليهودية في شكل أعمال شغب بدوافع دينية و سياسية متداخلة، فثاروا في قبرص، سوريا، فلسطين، مصر وبرقة تحت زخم قياداتهم الدينية، وبرزت لاحقاً الحركة المسيانية اليهودية في شكل صراع عرقي وديني، يقول المؤرخ ديون كاسيوس على إثر تلك الثورات أن اليهود، "ذبخوا الرومان واليونانيين في قورينا، وأكلوا الحومهم، وتمنطقوا بأحشائهم، وفركوا دمائهم لقد قاموا بنشر العديد من منتصف الجسد، وعرضوا البعض الآخر للوحوش وأجبروا البعض على القتال كمصار عين هاجموا معبد زيوس وحطموا تمثال الإله إلى ألف قطعة".⁵

اندلعت في يهوذا ثورة اليهود الجديدة بقيادة بار كوخبا عام 132م، وساهمت في استنزاف الجيش الروماني وكسره ولو جزئياً.⁶ إلا انه تم سحق الثورة حيث تشير المصادر التاريخية إلى الأعداد الهائلة من الأسرى الذين تم بيعهم كعبيد في فلسطين وتهجيرهم إلى

¹ حظر هادريان الختان، وهو ممارسة يهودية أساسية، ولكن ربما فقط كعقاب على التمرد؛ ولكن استمر اليهود أيضاً في العيش هناك. على الرغم من أن المعبد كان تم تدميرها، وكان هناك سبعة مجامع. وقد ألمح كل من تراجان و هادريان في البداية إلى سياسات أكثر ودية تجاه اليهود ربما يسمح بإعادة بناء المعبد.. Strauss, B., Op. Cit. p. 191.

² Davies, W., Finkelstein, L., Op. Cit. p. 106-107.

³ فراس السواح، 2017، الكتاب الخامس، المرجع السابق، ص 184.

⁴ يوسف عيد، المرجع السابق، ص 155.

⁵ Lucius Cassius, Dio's Rome, Livre V, 68, 32.

⁶ Kessler, E., Wenborn, N., Op. Cit. p. 81.

الخارج بعد سقوط بيتار¹ لتكون نهاية الحرب في الخريف 135م ، ويفر اللاجئون اليهود ، ومعظمهم من القادة العسكريين والإداريين وعائلاتهم ، إلى الكهوف الطبيعية خارج القرى اليهودية، وربما استغرق الرومان حتى 136م ليكملوا ما تبقى من أثار الثورة، التي لم يتعافى منها اليهود أبداً و في أعقابها ، لم يعد اليهود يشكلون الأغلبية في فلسطين، وانتقل المركز اليهودي إلى الجليل و أصدر الرومان سلسلة من القوانين في عهد هادريان والتي تم تصميمها لاقتلاع أي بذور ثورية وقومية داخل المجتمع اليهودي ، ظلت هذه القوانين سارية المفعول حتى وفاة هادريان في عام 138م.²

و تغير اسم المقاطعة من يهودا (Judaea Provincia) إلى مقاطعة سوريا (Provincia Syria)،³ و لم يبذل اليهود أي محاولات أخرى لتحقيق الاستقلال الوطني في غضون عقود ويلخص هذا التحول من السياسة إلى الدين التأثير الحاسم لثورة بار كوخبا على التاريخ اليهودي.⁴ في المقابل فهمت السلطات الرومانية أسس التقاليد اليهودية الدينية والسياسية وبادرت عقب ثوراتهم إلى عزلهم عن الارتباط بالأرض وبذلك ضاع كل أمل في رؤية الهيكل وهو يرتفع مرة أخرى. حتى تعزية العيش بالقرب من الأماكن المقدسة كان لا بد من التخلي عنها. كان نوع العبادة التي كرسها الشعب اليهودي للأرض التي اعتقدوا أن الله قد منحهم إياها و صادرتها السلطة الرومانية ، لقطع أي جذور لثورة يهودية في المستقبل. كما صدر مرسوم

¹ بيتار Bethar مدينة قديمة في فلسطين.

² Davies, W., Finkelstein, L., Op.Cit.p.126.

³ لم تسبب الثورات في يهودا أي إنتفاص لهذه الامتيازات في جميع أنحاء الإمبراطورية وكان اليهود لا يعينون في الوظائف، لأنهم كانوا لا يقبلون أداء هذه اليمين. وفي وتغاضى المسئولون الرومان عن بعض الرسميات لليهود فقط أو يتخذون صيغة أخرى لليمين القانونية. وعلى أية حال فقد وصل كثير من اليهود إلى مرتبة عليا مثل الفارس وعضوية مجلس الشيوخ الروماني. وليس بمستغرب كذلك أن تضج الطوائف الأخرى بالشكوى من أن اليهود ينالون جميع المزايا التي ينالها المواطنون الآخرون وعلى مر السنين أعتقوا تدريجيا كما وانتقلت بعض العادات اليهودية إلى الدوائر الرومانية الوثنية، بل لعلها اخترقت الطبقة العليا نفسها . رشاد الشامي، المرجع السابق، ص177.

⁴ Davies, W., Finkelstein, L., Op.Cit.p.127.

بطرده اليهود من القدس وكذلك من محيطها تحت طائلة الموت و حُرِّمَ عليهم دخول أورشليم إلا في يوم واحد فقط في السنة ، بعد الحصول على إذن بالمجيء والبكاء في القدس .¹

يمكننا وصف تاريخ اليهود في ظل الإمبراطورية الرومانية بأنه تاريخ من التسويات الدينية والسياسية كما كانت الخداع والتمرد هي السمة المميزة للوجود اليهودي في الإمبراطورية منذ بداياته، وبعد ضم مقاطعة فلسطين، أصبحت سمة مميزة للمواطن اليهودي في أرض فلسطين أيضا و تم إخفاء الواقع المناهض للسلطة إلى حد ما من خلال الاستقلالية الظاهرة للسلطات اليهودية تحت إشراف الحكم الروماني المباشر.²

استوجب على روما إيجاد طريقة سياسية في التعامل مع أقلية دينية يهودية لا تقبل الخضوع بسهولة أو الاستيعاب والتي وتعمل على زرع الاضطراب ولا يقومون بواجبهم تجاه السلطة ، بل و يقومون أحيانا بنقل عادات الطهارة والختان للرومان وكذا عملهم في التنجيم.³ علاوة على ذلك ، إثارة المشاكل والخلافات مع جيرانها من غير اليهود ، كانت البدائل التي تواجه روما هي القمع من جهة ، ومن جهة أخرى التسامح المشروط، لم تكن هناك دعوة قانونية لقمع اليهودية ، لأنها عبادة تفي بالمعايير الرومانية للبقاء المسموح به و غير ضارة سياسياً.⁴

بل حتى في الفترات الصعبة مثل أيام هدرين في سلوكه الحاد مع اليهود كان هناك نوع من المرونة ، كما تم بنهاية عهده ،زيادة هامش الحريات الذي تساهلت في السلطة الرومانية و استبدال التجنيد في الجيش الروماني بالتجنيد الطوعي ، وتم أيضا مراعاة يوم السبت و استجاب المسئولون الرومان عن التجنيد في آسيا الصغرى للنداء إعفاء اليهود الذين يحملون الجنسية الرومانية من الاستدعاء ، كما تم تمديد الإعفاء ليشمل اليهود غير المواطنين الذين

¹ Renan,E., Op.Cit.p.21.

² Davies,W., Finkelstein, L.,Op.Cit.p.129.

³ Goodman,M.,Op.Cit.p.108.

⁴ Davies,W., Finkelstein, L.,Op.Cit.p.169.

ربما تم استدعاؤهم للخدمة بغير الفيلق من خلال تشريع شامل يمنح اليهود حقوقاً إيجابية ويضع ممارسة اليهودية من جميع جوانبها على أساس قانوني.¹

لكن سياسية روما دخل الإمبراطورية اختلفت عن عاصمتها على الرغم من استعدادها لدعم يهودا سياسياً كخطوة سياسية ، إلا أنها لم تكن ترغب في رؤية عبادة شرقية تحصل على موطن قدم بين الإيطاليين.² ولم يقتصر السلوك الروماني على اليهود فقط بل حتى باقي الديانات التي هاجر أصحابها إلى روما ، أو تم نقلها إلى هناك ، من أماكن أخرى في كثير من الأحيان إلى مواصلة عبادة معبوداتهم الأصلية، جلب المصريون معهم آلهة مثل إيزيس ، وفعلت شعوب أخرى نفس الشيء في بعض الأحيان ، لم يكن الرومان التقليديون والمحافظة سعادة للغاية بتدفق الإلهة الأجنبية.³ حيث بقيت هناك خطوط واضحة تفصل بين الإرث الروماني والوافد عليه من معتقدات وآلهة بل وحتى عرقيات رغم الانفتاح الروماني على الكل.

نشهد مثلاً في النصف الثاني من القرن الأول حتى أواخر القرن الأول على الأقل فصلاً واضحاً للمكون اليهودي في روما عن باقي المجتمع ليبدو ظاهر للعيان من خلال المنطقة الرئيسية للسكن اليهودي في روما هي الضفة الشمالية لنهر التيبير ، والتي يصفها فيلو بأنها مملوكة ويسكنها اليهود ، ومعظمهم من الرومان المحررين⁴ وظلوا في نظر الرومان من أصحاب الفئات الدنيا و ذوي المستوى الاجتماعي والاقتصادي الضعيف.⁵

2-1 الخلاف العقائدي بين المسيحيين واليهود

نشأ الصراع بين الطرفين منذ البدايات الأولى لميلاد المسيحية وتطور لحركة اضطهاد موجه واكب تطور المسيحية ، إن القفز على التقاليد والعقائد اليهودية والتي تعتبر المبدأ

¹Davies,W., Finkelstein, L.,Op.Cit.p.169.

²Davies,W., Finkelstein, L.,Op.Cit.p.172.

³Hurtado, L., Op.Cit.p.77-81.

⁴ Davies,W., Finkelstein, L.,Op.Cit.p.172.

⁵ Ibid.p.173.

الأساسي لحياة اليهودي، شكل نقطة الصدام بين الطرفين ويمكن توضيحها في مجموعة من نقاط الخلاف

أ- معتقد إلهية المسيح

كان الانقسام العقائدي الرئيسي بين اليهود والمسيحيين يتعلق بادعاءات المسيحيين حول ألوهية يسوع،¹ والذي أخضع المسيحيين إلى مركزية المسيح.² ما فتح الباب لتسأل هل كان إعدام يسوع مبادرة رومانية لأنه شكل تهديدًا حقيقيًا أو متخيلاً للأمن الداخلي لها في فلسطين و تحدياً للمؤسسة السياسية الرومانية ؟

أم أن موته يرجع إلى الاعتقاد العقائدي بأن معاناته ستلعب دورًا حاسمًا في جلب ملكوت الرب؟ ، علاوة على ذلك الدور اليهودي المحرض على قتله ؟ يجب ألا نفترض أن الخلاف حول يسوع كان هامشيًا للصراع³ ، سواء على الجانب اليهودي أو الروماني على السواء . إن علاقة يسوع باليهود تميزت بالعدائية والكراهية المتبادلة منذ بداية رسالته، فهو لم يترك نقيصة إلا ونسبها إليهم، وهم بدورهم لم يفوتوا أي فرصة للتخلص منه، والتي أفضت إلى

¹ Kessler , E., Wenborn,N.,Op.Cit.p.89.

² تطور هذا المفهوم مع تأثيرات بولس : كالإيمان بأن عيسى سبقت عناصره الروحية في الوجود عناصره الجسدية، فعيسى هو الروح أو هو إنسان سماوي، في معاني لاهوتية وكذلك أن عيسى هو صورة الله الخفية ، وهو أول الخلق وكل الكائنات خلقت به وفيه وهو آدم الإنسانية جاء يحررها من الخطايا بأن يموت ميتة الأثم المشينة، وبعثه وتمجيده هو انتصار على الموت، وأن عيسى هو إنسان ظاهرياً، فهو لم يمتحن ولم يمت إلا في الظاهر، هذا التطور ينقل المستوى المسيحي من البساطة إلى تعقيدات لاهوتية حول الاقانيم التي ستشكل محل خلاف بين الطوائف المسيحية لاحقاً. عبد الحفيظ لعمش، تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي العقيدة نموذجاً، أطروحة دكتوراه في مقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015-2016، ص177.

³Hare, R.A.,The Theme Of Jewish Persecution Of Christians In The Gospel According To St Matthew, Cambridge The University Press,Uk,1967 ,p.5.

صلبه من قبل الرومان في نهاية المطاف ، وبعد موته حاول اليهود رسم صورة زائف للمسيح،¹ من خلال كونه ليس المسيح المنتظر² وكونه معلماً مزيفاً و نبياً كاذباً.³

غير أن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية والخلافات المذهبية بين اليهود حيث كانت الممارسات المسيحية لهم تشبه الصور النمطية الشائعة عن الديانات السرية وممارسات السحر، واعتبر يسوع نفسه ساحراً وشبه بالدجالين الذين يؤدون حيلهم مقابل المال في الأسواق،- أثر الدعاية اليهودية واضح في هذه الادعاءات- ، وتم الاستخفاف بالمسيحية باعتبارها مبتذلة متشعبة بالدجل،⁴ ، بل تعدى الأمر إلى تم تصنيف الرسل والقادة المسيحيين الآخرين أيضاً على أنهم ممارسون للسحر بالمجمل.⁵

إن المبادئ السامية التي أتى بها المسيح كفيلة بأن تجعل اليهود يقابلونها بالعداء، وينظرون إلى رسالته بعين الحقد والكراهية وأخذوا ينالون من دعوته وأنصاره،⁶ وفي المقابل كان يسوع يمطرهم بكلماته القاسية المباشرة، فقد قال للفريسيين وهم النخبة المتعلمة من اليهود: يا أولاد الأفاعي، أني لكم أن تقولوا كلاماً طيبة وأنتم خبثاء؟ فمن فيض القلب بنطق اللسان.⁷ وفي موضع آخر وصفهم بأنهم عميان يقودون عمياناً، أي بقية اليهود: «فدنا منه تلاميذه وقالوا له: أتعلم أن الفريسيين اغتاضوا عندما سمعوا هذا الكلام؟ فأجابهم: كل غرس لم يخرسه أبي السماوي يقلع دعوهم وشأنهم، إنهم عميان يقودون عمياناً،⁸ لم يكن السلوك اليهودي

¹ على ما يبدو هناك جوانب كثيرة من الخلاف بين المسيحيين واليهود حيث وضع يسوع نفسه في نظر اليهود في مرتبة على قدم سواء في مواجهة موسى بالنسبة لهم . وما يعنيه ذلك من رمزية، أيضاً إسقاط لقداسة التوراة واستبدالها بالعهد الجديد عند المسيحيين، إضافة إلى التشريعات المختلفة المتعلقة بالطعام ومعتقد يوم السبت وتشريعات الطلاق والختان، كلها شكلت نقاط خلاف بين الطرفين تطورت مع الزمن في صدام واضح بينهما .

² فراس السواح، 2004، المرجع السابق ، ص 132.

³ Hurtado, L., Op.Cit.p.25-26.

⁴ Collins,D.,Op.Cit.p.150.

⁵ Ibid.p.150.

⁶ محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص57.

⁷ الكتاب المقدس، انجيل متى، الأصحاح: 12، 34.

⁸ الكتاب المقدس، انجيل متى، الأصحاح: 15، 12-13.

المحارب والمتمرد بالجديد فالسياق القرآني يوصفهم بدقة باعتبارهم قتلة الأنبياء والمرسلين ومتمردين على كل تقيد أخلاقي و التزام ديني يصدر عن الله .

لخص يسوع موقفه من اليهود في جملة واحدة، عندما قال للمرأة السامرية إن الخلاص لا يتم إلا بالتخلص من اليهود¹ : يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون؛ أما نحن فنسجد لما تعلم، لأن الخلاص هو من اليهود ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق.² بسبب هذا الموقف اليهودي المطرد زيادة في المنتسبين إلى المسيحية، وأغليبتهم الساحقة من اليهود، انهم بخسارة مؤمنهم، وتحولهم إلى الديانة الجديدة، حرضوا الرومانيين عليهم وعلى كل حال، لم يكن هؤلاء الرومانيون بحاجة إلى شكاية اليهود، لأنهم كانوا يعتبرون المسيحيين خونة ومعارضين الإمبراطور والحكم،³ بسبب سلوكهم تجاه السلطة .

ب- شرعية الكتاب المقدس

اختلف اليهود حول شرعية العهد الجديد وقد كان هناك اتفاق عام لدى اليهود على أن سلطة المسيح تجاوزت سلطة التوراة، وأسقطتها وهو ما نفاه المسيح بالقول في متى : "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكْمِّلَ." 4 ، كان المسيحيون بعده حريصين على التأكيد على أن المسيح لم يبطل التوراة غير أن هذا الادعاء لم ينجح في كسب الكهنة واليهود المتمسكين بالتوراة والناموس الموسوي و ظهر هذا الابتعاد بين الشريعتين بشكل متزايد مع الزمن.⁵

¹ فراس السواح، 2004، المرجع السابق ، ص 132.

² الكتاب المقدس انجيل يوحنا، الأصحاح: 4، 21-23 .

³ الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، المرجع السابق، ص29.

⁴ الكتاب المقدس، انجيل متى، الأصحاح:5، 17.

⁵Hare, R.A.,Op.Cit.p.5.

ج- الطقوس والشعائر

ساهم إلغاء العادات اليهودية مثل الختان و قوانين الطعام في رفض المسيحية من قبل معظم اليهود¹، و تعكس الأناجيل الجدل بين يسوع والفريسيين فيما يتعلق بحفظ السبت،² و يسأل الفريسيون يسوع لماذا يفعل تلاميذه في السبت ما لا يحل³ و التي كانت عقوبتها في اليهودية الرجم في كثير من الأحيان دون أن يُقتلوا كان رمي الحجارة وسيلة مميزة للتعبير عن الرفض عند اليهود القدماء لكل تدنيس وتجاوز للتوراة.⁴

د- التبشير ودخول الأممين

ينطلق المسيحيون من كون المسيحية لكل البشر وأن الكنيسة هي كنيسة لكل العالم وهو عكس ما تقدمه الديانة اليهودية كديانة لأقلية عرقية⁵، وأن الإله يهواه اختصاصهم دون سواهم من الشعوب، وكون شريعة موسى تختص بهم لا لغيرهم. و أن المسيح باعتباره رسول كل الأمم عبر بالرسالة إلى غير اليهود واشترك فيها الوثنيون المتحولون إلى المسيحية و يشير الميشنا إلى أنه لم يكن من غير المألوف أن يتشارك اليهود في مع الوثنيين،⁶ أما في الإنجيل فنجد: **لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَانْتُمْ إِذَا نَسَلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ.**⁷

يؤكد بولس رسول الأمم من بعد يسوع على نفس الفكرة العالمية للرسالة بالقول في أعمال الرسل: **«كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلِّمُوا أَنْتُمْ أَوْلًا بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ**

¹ Kessler , E., Wenborn,N.,Op.Cit.p.89.

²Hare, R.A.,Op.Cit.p.40.

³ الكتاب المقدس ،انجيل مرقص ،الأصاح :2، 24.

⁴Hare, R.A.,Op.Cit.p.40.

⁵ Frennd, W.C., The Rise Of Christianity, Fortress Press, Philadelphia,1984, p.164.

⁶Hare, R.A.,Op.Cit.p.50.

⁷ رسالة بولس الى أهل غلاطية : 3 : 28 - 29

مُسْتَحَقِّينَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الْأُمَّمِ.¹ إن هذا التوجه المسيحي بالرسالة كان يهدف إلى فصل الكنيسة عن الكنس² و أطلقت الكنيسة على نفسها اسم إسرائيل الجديدة والحقيقية، شعب الله الجديد الذي طبقت عليه وعود العهد القديم ، وهو الذي رأت فيه الحاخامات اغتصاباً لحقوقها وعقيدتها و من نشاط بولس بين اليهود أولاً والوثنيين ثانياً جاء العديد من الراغبين للإيمان الجديد من صفوف اليهودية ، لذلك كان من المحتم أن تزداد العلاقات توترًا بين الطائفتين.³

1-3 الاضطهاد اليهودي للمسيحيين

جملة تلك الخلافات الجوهرية بين الطائفتين أدت إلى دفع اليهود لاضطهاد المسيحيين بأشكال ووسائل مختلفة حيث سعوا إلى جعل المسيحي يرجع إلى اليهودية ؛ من خلال العودة للتوراة ، وعندما فشلوا توجهوا نحو الاضطهاد أو إثارة الفتنة ، فقد أثاروا الوثنيين ضد المسيحيين مرارًا .

إن اليهود كونهم هم أصحاب الاضطهاد الوثني، تحت مسمى اضطهاد اليهودي غير المؤمن الذي كان خطرًا روحيًا واجتماعيًا⁴ بل وصنفوهم بكونهم من نسل الشيطان.⁵ واتهم اليهود المسيحيين بقتل الأطفال وأكل لحوم البشر وسفاح القربى وغيرها من الانحرافات، و عندما بدأ الدعوة المسيحية لأول مرة ، انتشروا ينشرون إشارات زائفة حول الإنجيل ، مثل أن المسيحيين قدموا طفلاً في طقوس التضحية ، وتناولوا جسده و أن الرسل والقادة المسيحيين، اعتادوا إطفاء الأضواء في اجتماعاتهم ، وكذا ممارسة الجنس مع أي امرأة يصادفون وقد

¹ الكتاب المقدس، أعمال الرسل، الأصحاح: 13، 46.

²Hare, R.A., Op.Cit.p.65.

³Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Op.Cit.p.237.

⁴ Glover,T.,Op.Cit.p.169.

⁵ يوسف عيد، المرجع السابق، ص 156.

أثرت هذه الأكاذيب على عقول الكثيرين جدًا ، مما دفع أولئك الذين هم غرباء عن الإنجيل إلى الاعتقاد بأن المسيحيين هم رجال بهذه الشخصية.¹

رفع اليهود عن المسيحيين حق إطلاق صفة اليهودية عليهم و كانت المسيحية مجرد طائفة هرطقة لا يحق لأعضائها الانتساب إلى شريعة موسى و أكثر من عانوا من هذه الإدانة هم اليهود المسيحيون في فلسطين ، الذين أرادوا الحفاظ على الهوية العرقية والدينية معا فكان عليهم أن يضطهدوا² ولعل أبرز مثال لهذا الاضطهاد هو اضطهاد ستيفين .

حيث يعتبر اضطهاد ستيفين³ مثالا لاستخدام سلطة القتل لدى اليهود في صراعهم مع المسيحيين حيث وجد السنهدين أن ستيفن مذنب بارتكاب جريمة التجديف وتحريف الشريعة وفي أعمال الرسل: فلما سمعوا هذا جرّهم إلى قلوبهم وصرّخوا بأصوات عظيمة وجرّوا عليه نفس واحدة وركضوا به خارج المدينة ورجموه. والشهود وضعوا ثيابهم على رجل شاب يدعى شاول. وكان ستيفن يصرّخ قائلاً: ربّ يسوع اقبل روحي. فركض وركض بصراخ ورجموه بحجارة. وشاول كان يوافق على قتله.⁴

"وَهَيَّجُوا الشَّعْبَ وَالشُّيُوخَ وَالْكَتَبَةَ، فَقَامُوا وَخَطَفُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَجْمَعِ، وَأَقَامُوا شُهُودًا كَذِبَةً يَقُولُونَ: «هَذَا الرَّجُلُ لَا يَفْتُرُ عَنَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلَامًا تَجْدِيفًا ضِدَّ هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُقَدَّسِ وَالنَّامُوسِ، لِأَنَّنا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هَذَا سَيَنْقُضُ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَيُعَيِّرُ الْعَوَائِدَ الَّتِي سَلَّمْنَا إِيَّاهَا مُوسَى. 5 نتيجة لتلك الفريات تم الحكم عليه بالموت من قبل السنهدين و رجم حتى مات ، مثل هذه الحادثة تقدم لنا دليلا واضحا على أن السنهدين يمتلك حق المحاكمة في قضايا الإعدام وتنفيذ عقوبة الإعدام باستثناء تلك الحالات التي ادعت فيها محكمة رومانية الاختصاص على أساس أن المدعى عليه مذنب بارتكاب جريمة سياسية، بناءً على هذه

¹Hare, R.A.,Op.Cit.p.67.

²Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Op.Cit.p.237.

³ ستيفين قديس مسيحي في الفترة المسيحية المبكرة للقرن الأول الميلادي

⁴ الكتاب المقدس ، أعمال الرسل ،الأصحاح : 7 ، 59.

⁵ الكتاب المقدس ، أعمال الرسل ،الأصحاح: 6 ، 12.

الفرضية ، كان السنهدين مختصاً بإعدام ستيفن إذا وجده مذنباً بارتكاب جريمة يعاقب عليها بالإعدام وهو ما يفتح الباب لحالات اضطهاد مماثلة في حق المسيحيين الآخرين .¹

مع مطلع القرن الأول للميلاد ساعد بعض اليهود السلطة الرومانية في أن تصبح أكثر وعياً بالتمييز بينهم وبين المسيحيين وذلك لكي لا يتم تهديد الامتيازات اليهودية بسبب حماقات المسيحيين ، وأن يفهموا أنه لم يعد لديهم حق الاستفادة من العبادة اليهودية و المكانة التي لهم في فلسطين،² و أنهم بالمقابل أصبحوا منفصلين عن ككونهم يهودا يسقط عنهم الغطاء القانوني الخاص بالتسامح ، ونتج عن هذا القرار الروماني محاكمة القديس بولس نفسه في روما³ ، ودعم اليهود سياسة الإعدام في وجه المسيحيين وهو ما عرف بـ "الاضطهاد حتى الموت". مثل هذه العبارة أوردها يوحنا في قوله : "في الواقع تأتي الساعة التي يعتقد فيها كل من يقتلك أنه يقدم خدمة لله" ⁴

أما الطرف المسيحي فكان الشعور المتنامي لدى المسيحيين بالانفصال عن المجتمع اليهودي يزداد بسرعة،⁵ حيث اعتبروا أن الاضطهاد الروماني للمسيحيين كان راجعاً إلى حد كبير إلى عداة اليهود الذين حرضوا على اضطهاد المسيحيين، من المجتمع الوثني والسلطة الرومانية وتفاقم هذا الشعور مع دخول عصر نيرون لتصبح هناك قاعدة عامة ، انه كلما حدثت اضطهادات دموية في الأيام اللاحقة ، يكون اليهود إما في الخلفية أو في المقدمة ،⁶ سواء كمضطهدين للمسيحيين أو كمحرضين للسلطة والوثنيين على المسيحيين .

¹Hare, R.A.,Op.Cit.p.150.

² Mattei,P.,Op.Cit.p.178.

³Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Op.Cit.p.237.

⁴ الكتاب المقدس ، انجيل يوحنا،الأصحاح : 16 ، 2.

⁵Hare, R.A.,Op.Cit.p.42.

⁶Ibid.p.66.

نستطيع تتبع ذلك الشعور الانتقامي الاضطهادي من خلال تتبع مسار الانفصال المسيحي عن اليهودية و المحطات الكبرى في الصدام بين الطرفين، مثل الثورة اليهودية الكبرى وموقف المسيحيين منها ، ثم حياد المسيحيين في دعم الثورات اليهودية ضد روما والمزاعم المسيانية لبار كوخبا.¹

ساهمت كلها في زيادة الشرخ والعداوة ولقد برزت في الأدبيات المسيحية لاحقا الفرضية القائلة بأن اليهود هم مصدر وأصل كل الشرور التي تلحق بالمسيحيين و وفقاً لهذه الفرضية ، لا يمكن أن تكون عداوة الوثنيين إلا بسبب الجهل بحقيقة المسيحية ، في حين أن كراهية اليهود متعمدة.² غير انه لا يوجد دليل كافٍ لدعم الرأي القائل بأن اليهود هم المروجون الوحيدون للشائعات أو أنهم كانوا في المقام الأول مسئولين عن الاضطهاد الذي وقع بأتباع يسوع ولولا السيادة الرومانية لكان الاضطهاد أكثر خطورة واتساعاً.

2- السلطة الرومانية وموقفها من الديانة المسيحية

طبيعة الصراع الوثني المسيحي يؤدي بنا إلى فهم الروابط بين المسيحيين والوثنيين الرومان كمجتمع من جهة وبين المسيحيين والسلطة الرومانية من جهة أخرى ، وذلك لان الاضطهاد الذي وقع على المسيحيين ليس من جهة السلطة الرومانية فقط وإنما تشترك الجماهير في نفس الدرجة مع الدولة ، وهو ما يجعلنا نرجع إلى بدايات العلاقة بين الطرفين من خلال فلسفة الحكم الروماني وطبيعة الديانة الوثنية الرومانية وثالثا السلوك المسيحي تجاهها ورابعاً من خلال ضبط مفهوم الاستشهاد .

تتعلق الخصوصية الدينية لدى الرومان من تمسكهم الشديد بدين أجدادهم، و أن الولاء الديني هو العلامة البارزة الوحيدة للتفوق الذي امتلكته روما على اليونانيين مستمدة من قوة الارتباط الروماني بالمعتقدات التقليدية وألتهها³ والتي كانت حارسة روما و قد يؤدي عدم

¹Kessler , E., Wenborn,N., Dic.J.CH. Cambridge University Press ,Uk,2005,p.420.

²Hare, R.A.,Op.Cit.p.68.

³ Frend, W.C., M.P.E.CH. Basil Blackwelt,Uk,1965,p.104.

منحهم حقهم المناسب ، المتجسد في الطقوس المتوارثة منذ زمن بعيد ، إلى كارثة على روما وإنجازاتها¹ اشتهرت الإمبراطورية الرومانية في فترة سابقة بكونها الجمهورية الرومانية الدينية.²

ترسخت في الفترة الإمبراطورية من خلال التأكيد على محورية عبادة الإمبراطور لكيان الدولة وذلك بتدعيمه دينيا بتلك العبادة خاصة بعد الانتقالية التي شهدتها روما من النظام الجمهوري إلى النظام الإمبراطوري وخصوصية النظام السياسية. وعبرت مراسم هذه العبادة عن ولاء السكان لروما و الإمبراطور ، أي بالمطلق ولاءهم للسلطة الرومانية³، كل هذه الأشكال المختلفة من العبادة الإمبراطورية سواء عبادة الأباطرة المتوفين أو الإحياء هي تعبيرات عما يمكن أن نطلق عليه "الهوية الدينية" ،الرومانية ومن المؤكد أن تلك الهوية الدينية تضمنت أيضاً ما نعتبره موقفاً سياسياً يندمج مع الدين ليقودنا إلى المواطنة الرومانية.⁴

على الرغم من أن روما جعلت من عبادة الإمبراطور خلال القرن الأول للميلاد حجر الأساس في منظومتها الدينية إلا أنها سمحت بالتنوع الديني والتسامح تجاه الأدبيات والمعتقدات الأخرى والتي كان لها تنوع لا حصر له من الإلهة والبدع والطقوس، لكن هذا التعدد لم يكن يعني التسامح بالدرجة الأولى ويحدد شيشرون طبيعته بالقول أن: " لكل مدينة دينها ، ولدينا ديننا" ، كان موقف روما تجاه ديانات الشعوب التي تحت سلطتها متفهماً. من منطلق عدم الإساءة إلى هؤلاء السكان دون داع في سياسة أقرب للمهادنة منها للتسامح.⁵

¹Frend, W.C., 1965,Op.Cit.p.106.

²Ibid, 1965,Op.Cit.p.104.

³Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Op.Cit.p.234-235.

⁴ Hurtado, L., Op.Cit.p.79-80.

⁵شيشرون نقلا عن: Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Op.Cit.p.233.

إن التسامح الديني الروماني يستشف وفق السياقات التاريخية لتلك الفترة الزمنية لا وفق رؤيتنا الحالية لمفهوم التسامح الديني بين مختلف الأديان ، إن روما حددت الشروط والكيفيات التي من خلالها نستطيع فهم سلوكهم الدين التصالحي مع الديانات الأخرى. والذي لخص في ثلاث شروط وهي : أن تكون طقوسها غير مسيئة للشعب الروماني أو آلهتهم وأن تتخذ صفة العلانية. و أن يكون ولائها لروما ودينها القومي ، وان يتم إقرارها على وجه التحديد من قبل مجلس الشيوخ ، إن ممارسة مواطن روماني للديانة الخارجية التي تم قبولها يمكن أن تكون إهانة للآلهة و لعظمة الشعب الروماني، فكما أن الرجل لن يكون مواطناً في دولتين ، فإنه لا يستطيع أن يقبل ديانتين.¹

في نفس المنحى إن المقياس الفردي ليس معياراً دوماً ما لم يتخذ صبغة جماعية ، فالدولة الرومانية لم تكن تلقي بالا لما قد يعتنقه المواطن من مبادئ ، فطالما أنه كان يسهم في الاحتفالات الرسمية للدولة أولاً وقبل كل شيء ، فله مطلق الحرية بعد ذلك في أن يتعبد لأية آلهة أخرى، على شرط ألا تكون عبادته هذه من العبادات تخريبية أو أن تحول دون قيامه بواجباته الوطنية،² وهو الإسقاط الذي نحاول فهمه من خلال المسألة المسيحية في أعين الرومان حيث أن اجتمع رجال و نساء ببعضهم البعض في جنح الظلام وفي سرية لابد أنهم يضمرون شراً وكان شعور الرومانيين إزاء الاجتماعات الليلية السرية بصفة عامة³ ، متوجساً في ظل اضطرابات سياسية و انقلابات عسكرية على السلطة الحاكمة ما يجعل صورة الاجتماعات الثورية أقرب منها للدينية، لذلك وجب قمعها لعدم زرع بذور العصيان والتمرد داخل الدولة .

إن الشروط السابقة للحرية الدينية عمل بها أغسطس قيصر من خلال قانون التسامح الذي منحه لليهود وان كانت خلفية القانون سياسية بالدرجة أولى إلا انه أعطى مساحة من الحرية الدينية استغلها اليهود في تثبيت أركان معتقدتهم وكيانهم وهو ما حاولت المسيحية أن

¹ Frennd, W.C., 1965, Op.Cit.p.106.

² تشارلز ورت، المرجع السابق، ص 178.

³ نفسه، ص 178.

ترثه كونه خرجت من الرحم اليهودي ، خاصة خلال القرن الأول للميلاد ولذي سمح للكنيسة بالاستمرار في النمو تحت ظل المجمع اليهودي و يمكن أن يستمر انتشار الإيمان المسيحي داخل المجتمع اليهودي ومن خلاله و سمحت المكانة الممنوحة لها بنشر الإنجيل دون أن يكون من الممكن إلحاق الأذى به قانوناً،¹ إلا أن التمايز بين اليهود والمسيحيين والصراع بين الطرفين أسقط هذا القانون وغير من الرؤية الرومانية تجاه المسيحيين .

3- المنطلقات العقائدية للصراع الوثني المسيحي

1-3 تأليه الإمبراطور

على خلفية تلك العلاقة بين الطرفين نصل إلى استنتاج مفاده أن الصراع القائم يأخذ عدة مسارات أولها الصراع العقائدي بين مركزية ألوهية المسيح لدى المسيحيين وبين ألوهية الإمبراطور لدى الرومان، و ثانياً بين المجتمعات المسيحية التي تحركها روح الاستشهاد كمتعقد ديني أصيل في الديانة المسيحية ورجاء قيام ملكوت الرب والحصول على النعيم في حياة ما بعد الموت وبين المجتمعات الوثنية الفقيرة العاطفة الدينية والمتشردمة بين جملة المعتقدات الوثنية، التي أسلفنا ذكرها وثالثاً بين سلطة الكنيسة وتطور الحاصل في تنظيمها وهيكلها وبين سلطة الدولة الرومانية، تؤدي كل تلك المسارات المختلفة إلى نقط الصدام الحتمي بين المسيحيين والسلطة، لتبدأ مرحلة جديدة في طبيعة وأشكال صراع ما بعد الصدام .

بدأ الصدام بين الطرفين من حكم الوالي الروماني الذي حكم بالموت على المسيح واتهامه أنه حرض على الثورة ، ليصبح مؤسس الدين المسيحي ثائراً متمرداً ،لقي جزائه حين نفذ فيه حكم الإعدام ، أما عن أتباعه فهم يمثلون طائفة ينذر نموها المتزايد بالخطر حتى أنه لم ينقضي القرن الأول حتى بلغت المسيحية قصر الإمبراطور نفسه على يد بولس الرسول.² و قد تضاعف عدد المسيحيين بشكل ملحوظ وكثف الدعاة المسيحيين دعوتهم للوثنيين، حرصاً على إعلان البشارة لجميع الشعوب وطبقات المجتمع و شجعوا أتباعهم على التخلي عن عبادة

¹ Leveils,X.,Op.Cit.p.55.

² تشارلز ورت،المرجع السابق،ص177 .

أسلافهم والامتناع عن العبادة الإمبراطورية التي منذ نهاية القرن الأول، شكلت سلوكاً عدائياً وإعلاناً عن الصدام الفعلي أثارت عداءً محفوراً بالتهديدات ضدهم¹.

وتقترب هذه العقيدة الجديدة في نظر الرومان في كل مكان بالاضطرابات وأعمال الشغب ثم إن امتناع أتباعها عن الاشتراك في المناسبات والأعياد زاد من تعقيد الأمر بين الطرفين، إن الخرق المسيحي لشروط العيش الديني داخل الإمبراطورية دفع بالوالي بلييني إلى أن يسارع إلى إعدام من يقرون بأنهم أتباع للمسيح، وإلى من لم يستجيبوا إلى نداءات النصح بالتخلي عن عقيدتهم، رغم أنه كان يطلق سراخ المنكرين لهذه العقيدة، ولقد أيد نيرون هذا الإجراء عندما استشاره بلييني، ذلك لأن الامتناع عن تقديم فروض التكريم للآلهة الرومانية و تمثال قيصر ما هو إلا خيانة عظيمة².

انتقل الأمر إلى المنحى التشريعي حيث صدر قانون يحظر المسيحية سنة نيرون حظراً صريحاً، بقرار من مجلس الشيوخ الروماني، الذي كان له دستورياً³ الرقابة على العبادة؛ وتم تجريم المسيحية بموجب التشريع العام لقمع الفظائع المذكورة من أكل لحوم البشر، سفاح القربى وغيرها مما سلف ذكره⁴. وأدت سلوكيات المسيحي إلى زيادة كره المجتمع الوثني لهم، وساهم الكهنة اليهود في تدعيم حملات التشويه، كما أن ردود فعل المسيحيين تجاه التقاليد والعادات الوثنية جعلت منهم محل عداوة وبغضاء، واختلطت تلك الممارسات المسيحية مع سرية تبشيرهم واجتماعهم ليزيد من نقمة الجماهير الرومانية عليهم⁵، ما يعكس في الوقت

¹Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Op.Cit.p.238.

²تشارلز ورت، المرجع السابق، ص177.

³ لم يعتبر أي مسؤول روماني في كتاب أعمال الرسل المسيحية بذاتها جريمة يعاقب عليها القانون. Barnes, T. D., , The Journal Of Roman Studies, Vol. 58, 1968, p.33."legislation Against The Christians"

⁴ Mattei,P.,Op.Cit.p.179.

⁵ Ibid.p.177.

نفسه أزمة دينية للوثنية التي عجزت فيها عن القيام بدور البديل في وجه المسيحية الصاعدة، والمحافظة على التراث الوثني والأسس الدينية للعالم اليوناني الروماني .

جذبت المسيحية بشكل خاص الأشخاص الذين يبحثون عن بديل للأخلاق التقليدية الرومانية، على عكس طقوس العبادات الشرقية مثل عبادة إيزيس أو ميثرا ، فإنها لم تدور حول الأعمال الرائعة للإله، بل بالأحرى معاناة الإنسان، الذي تجرأ على تحدي السلطة القائمة والاستشهاد في سبيل تحقيق الخلاص الأبدي، وفي غضون جيلين انجذب الناس إلى العقيدة الجديدة.¹

أخذ التطور الذي عرفته المسيحية منذ نشأتها وميلاد كنيستها يتزايد بمنحى موازي تماماً لمنحى السلطة ، فقد كان مصير الكنيسة أن تخرج تدريجياً من بيئتها اليهودية إلى العالم الوثني ، وأن تغزوها خلال القرنين التاليين،² لتصبح كل كنيسة بمثابة مجتمع مسيحي مصغر له خصوصيته وأضحى انتماء الفرد المسيحي الأول لكنيستته لا لدولته وخضوعه لقراراتها لا لقرارات الإمبراطور نفسه ، أصبحت الكنيسة مستقلة تماماً عن هيكل سلطة الدولة ، وأصرت على قانون أخلاقي صارم يلزم أتباعها بتباعه،³ هذه الخصوصية أطرت العمل المسيحي في شكل مهيكّل ومنظم وتحت مؤسسة كبرى هي الكنيسة (أنظر الملحق 10) لها نفوذها وتنظيمها الخاص ولها مواردها ، في محاولة للاستقلال عن سلطان الدولة آنذاك ، وقد نجحت إلى حد بعيد في تثبيت نفوذها خارج فلسطين لتصبح الكنائس المنتشرة في كل أرجاء الإمبراطورية بمثابة نقاط اتصال ترتبط كلها بمركزية الكنيسة الأم في روما وتخضع لنفوذها .

على الرغم من عدم قبولها عالمياً بعد إلا أن الأساقفة قد هيمنوا عموماً على الكنيسة بطريقة هرمية في الأساس، فقد حكم كل أسقف مدينته والمناطق النائية كشخصية سلطوية لا جدال فيها،⁴ و اكتسب سلطته الشرعية بربطها بخط مباشر يعود إلى رسل المسيح، ثم المسيح ، حيث كان الأساقفة مستقلين بشكل أساسي عن كل السلطات الأخرى، على الرغم من ظهور ترتيب تقريبي للأساقفة،

¹ Potter,D.,Op.Cit.p.104.

² Frennd, W.C., Op.Cit.p.164.

³ Potter,D.,Op.Cit.p.104.

⁴ Gregory,T., Op.Cit.p.25.

يعتمد إلى حد كبير على أهمية مدنها، وسيطروا على الكنائس وأصبحوا شخصيات ذات مكانة كبيرة في مجتمعاتهم المحلية.¹

كما حددوا طبيعة العبادة العامة، وصرف الأعمال الخيرية، وتنظيم العدد المتزايد من رجال الدين (الكهنة والشمامسة ورجال الدين الصغار) الخاضعين لسيطرتهم، وهكذا ظهر الأسقف كشخصية رئيسية في المجتمع ككل.²

لعل أبرز مثال عن قوة هذه السلطة هو مسألة رفض أتباعها طقوس تقديم القرابين والبخور لتمثال الإمبراطور وامتناع المسيحيين عن الخدمة في الجيش الروماني هذه الاستقلالية والحدة جعلت من الكنيسة المسيحية تعزز مواردها وهيكلتها في سائر أرجاء الإمبراطورية لنشهد في القرن الرابع للميلاد تغولها بدرجة أصبحت فيها على قدم سواء مع رأس السلطة الرومانية وهو ما دفع الإمبراطور قسطنطين³ إلا احتوائها بالكلية .

تبلورت في القرن الأول للميلاد تطوران أساسيان في الموقف المسيحي تجاه الإمبراطورية الرومانية أولاً قدسية فكرة الاستشهاد والشهادة في سبيل المسيح و ضد القوى الوثنية وثانياً التعجيل بقيام مملكة الرب والانتقام من المرتدين والقوى المضطهدة ويجب ان نفرق هنا بين أمرين ، بين كون فكرة الاستشهاد والخلاص فكرة تختص بالفرد وبين مسار الكنيسة والمسيحية كمؤسسة وتنظيم ديني قائم في وجه سلطة دنيوية ، فقد كانت المواقف

¹ Watson,A., Aurelian And The Third Century, Routledge,Usa,2003, p.199 .

²Peters,F., The Monotheists, Princeton University Press,Usa,2004 ,p.24.

³ قسطنطين الأكبر Constantine the Great :ولد سنة 274م ابن Constaintius Chlorus تولى العرش سنة 306م الى غاية 337م اعتنق المسيحية وعرف بسياسة التسامح مع المسيحيين في عهده شهدت المسيحية التوافق مع الدولة لتعتبر فيما بعد الديانة الرسمية لها أحدث التوازن داخل الامبراطورية الرومانية بعد انتصاره على خصومه أسس مدينة القسطنطينية لتكون عاصمة للامراطورية البيزنطية توفي سنة 337م . Bouillet,M.N.,Dic.U.H.G. Hachett . Paris,1869,p.416.

المسيحية تجاه الإمبراطورية تسيير في مسارات موازية لتلك التي سلكها الأفراد من خلال التضحية والموت في سبيل المسيح .

2-3 عقيدة الاستشهاد المسيحية

شكلت عقيدة الاستشهاد المسيحي دافع قويا في إطار صراعهم مع الوثنيين والسلطة ،حيث يقول المؤرخ ويليام فريند (Wiliam Frend): " أن الاستشهاد المسيحي مسبوفاً بالاستشهاد اليهودي. ¹ أما جوزيفوس فيقول لخصومه الوثنيين: "انه لا ينبغي أن يكون هناك ما يثير الدهشة في مواجهة الموت نيابة عن شريعتنا بشجاعة لا يمكن لأي أمة أخرى أن تضاهيها". علاوة على ذلك ، أشار جوزيفوس أيضاً إلى أنه "من غريزة كل يهودي ، منذ يوم ولادته ، اعتبارها الشريعة بمثابة أحكام الله ، والالتزام بها واجب، وإذا لزم الأمر الاستشهاد في سبيلها.²

أخذت المسيحية نفس المنحى الاستشهادي اليهودي ويذكر الأب متى المسكين أنه ينبغي أن يدرك كل مسيحي أن المسيحية أولاً وأخيراً شهادة للمسيح وكلمة شهيد تعني شاهد ، وكانت تُطلق في البدء على الرسل فقط بصفتهم شهداءً لحياة المسيح وموته وقيامته³، كما أكدها الإنجيل بالقول: ونحن شهداء له⁴ وتكونون لي شهداءً.⁵

دخلت بذلك الشهادة للمسيح بالموت في درجة تكريم فائقة جنباً إلى جنب مع درجة الرسولية، وحدث أن بدأ الرب يظهر -في اعتقادهم- بنفسه لكل من يتألم كثيراً بسبب الإيمان باسم المسيح ولأجله وبالأخص للذين يسلمون للموت طواعية، فدعي بذلك شهيداً فالشهيد يُذكر

¹ Frend, W.C., Op.Cit.p.38.

² جوزيفوس نقلا عن W.C Frend, The Rise Of Christianity, Fortress Press, Philadelphia,1984, p.38.

³ متى المسكين ، الشهداء والشهادة، مطبعة دير القديس أنبا مقار ، مصر، 1987، ص42.

⁴ الكتاب المقدس، أعمال الرسل، الأصحاح: 5، 32.

⁵ الكتاب المقدس، أعمال الرسل، الأصحاح: 1، 8.

في الطقس الكنسي بعد الرسل مباشرة وقبل أعظم القديسين حتى ولو كانت حياته قبل شهادته في درجة الموعوظين.¹

و الشهادة نوعان شهادة بالدم وشهادة بالفم² والاستشهاد بسفك الدم هو في الحقيقة سر من أسرار الكنيسة يعادل سر المعمودية تماماً، و ينوب عنه فالموعوظ إذا استشهد بسفك الدم قبل أن يتعمد، يُحسب له الاستشهاد عماداً في وجه أعوان الشر، و الشيطان نفسه وكل جنوده الذين لهم سلطان أن يقتلوا الجسد، فهي امتداد فعلي للصليب حيث يبلغ الإقتداء بالمسيح غايته ونهايته والتاريخ الكنسي المبكر يحتفظ ومنذ القرن الثاني، بصور تكريم الكنيسة لشهادتها، حيث يعتبر ولا يزال يوم الاستشهاد بالنسبة للشهيد هو يوم الميلاد الحقيقي له أي الميلاد السمائي الذي فيه يبدأ الحياة ومعروف أيضاً أن الكنيسة منذ العصور الأولى أقامت هياكل صغيرة تحوي أجساد شهدائها، وكانت هذه الهياكل أو الكنائس تسمى باسم مارتيريم (Martyrium) أي مكان شهادة أي كنيسة صغيرة لذكرى شهيد.³

عبر الاستشهاد المسيحي عن سقوط فكرة وقداسة الموت لدى المؤمنين بالمسيح وهو ما يعني عدم خشيتهم لأي نوع من الاضطهاد الممارس عليهم، بل والاستماتة في الدفاع عن معتقداتهم فوصول المرء إلى درجة استواء الموت والحياة لديه يعني بالمطلق، عدم نجاعة الاضطهاد وفشله في ردهم عن أفكارهم وأهدافهم وهو ما تحقق في وجه السلطة الرومانية .

3-3 معتقد قيام مملكة الرب عن المسيحيين

رأى العديد من المسيحيين في الأجيال الأولى بعد الصلب أن روما تجسد لـ "عبادة الأصنام" ، وقوة الإمبراطورية كقوة ضد المسيح، إن إسقاطها ينذر بألفية متوقعة من الناحية الأرضية ويسهم موت الشهيد في تحقيق هذه الغاية،⁴ و لم تكن هناك حاجة للمسيحي لحمل السلاح ضد الإمبراطورية

¹ متى المسكين، المرجع السابق، ص42.

² الشهادة للمسيح نوعان بالفم وبالموت، هذه كرازة بالحياة، وهذه كرازة بالموت والكرازة بالفم، أي الشهادة بالفم، فهي

الدفاع عن المسيح بالفم والفكرة وخدمة المسيحية قولاً ودعوة فهي امتداد لعمل المسيح وخدمته وتعاليمه. متى

المسكين، المرجع السابق، ص9.

³ نفسه، ص43.

⁴Frend, W.C., 1965,Op.Cit.p.104.

الرومانية، لأنه سوف يتم ذلك من أجله في الوقت المناسب ، وسيكون تدمير العدو إلى الأبد، في هذه الأثناء ، كان على المسيحي أن يكون مقلداً وشاهداً لربه ويقبل كراهية العالم.¹

تتبع المسيحية التقليد اليهودي في نظرتة للخلاص من خلال نزول المخلص، وانه من ثابر وصبر سيكافأ يوم القيامة، كانت الكلمة الواضحة في الكتاب المقدس هي مصدر إلهام الشهيد المسيحي لتحمل الاضطهاد العظيم الذي سيأتي ،² ومهد بولس لذلك بالقول: وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهُدُونَ³ وهو التعبير الأصدق عن الإيمان المسيحي بالفداء الذي حرم منه الوثنيون واليهود،⁴ عملت المسيحية على ترسيخ مفهوم تضحية الإله نفسه في سبيل المعبود ، على عكس ما حملته المعتقدات الوثنية السابقة بمختلف أنواعها والتي كرست فكرة تضحية البشر بأنفسهم في سبيل الإلهة، أو تقديم القرابين على حد سواء .

جاذبية هذه الفكرة شكلت نقطة ارتكاز لجذب الباحثين عن الراحة الروحية ، وعمل المسيحيون من خلال كتبهم المقدسة وخاصة الأناجيل والرسائل ونشاط بولس المهم في ترسيخ الأفكار حول الملكوت والإلهية وتهذيبها، تقديماً لأبدية في ملكوت السماوات.⁵

4- الاضطهاد الديني في عهد الأباطرة الرومان

يعبر مصطلح الاضطهاد (Persecution) عن كل أعمال العنف الموجه ،وفي دراستنا يفهم كونه الأعمال العنيفة الموجهة اتجاه المسيحيين والكنيسة من قبل خصومها وشمل الاضطهاد كل إجراءات القمع والقتل والتنكيل والتعذيب.⁶ و تبلورت مع أواخر القرن الأول للميلاد فكرة التهديد الذي يشكله المسيحيون على كيان الدولة بشكل سريع حيث لم يفرق الرومان بين الوطنية والدين، فالمواطن كان مواطناً بقدر اشتراكه في التعبد للإله، و أسس أغسطس لهذه الفكرة عن طريق عبادة الإمبراطور واتخذ لنفسه لقب الحبر الأعظم ورسخ من بعده الأباطرة الرومان تلك العبادة لتشمل كل

¹ Frennd, W.C., Op.Cit.p.96.

² Ibid.p-p.79. 128.

³ رسالة بولس الثانية الى تيموثاوس 3: 12 .

⁴ Mitchell ,S., H.L.R.E.A. 2 Edition, Blackwell,Usa,p.273.

⁵ Mitchell ,S.,Op.Cit.p.192.

⁶ Di Berardino,A.,Op.Cit.p.2145.

أرجاء الإمبراطورية ، في وقت بدأت قوة المسيحية تنمو وتخرج عن دائرة اليهودية الضيقة المنغلقة على نفسها ما جعل من الرومان يتيقظون، فكان لابد من الاضطهاد لوقف هذا الخطر المتصاعد بالنسبة لهم.¹ هذا التطور كان بداية للصراع بين السلطة الدينية التي يعتبرها المسيحيون سلطة الإله في الأرض وبين السلطة الدنيوية المتمثلة في الإمبراطور.

4-1 اضطهادات الإمبراطور نيرون (Nero)

ترجع بداية الاضطهادات الفعلية ضد المسيحيين إلى عهد الإمبراطور نيرون² الذي أعتبر يسوع شخص دجالا يقود المسيحيين ، و قدّم نيرون لقرون كأكثر شخصية رمزية للجريمة والانحراف.³ في وقت كان الرومان لا يفرقون بين المسيحيين واليهود على اعتبار أنهم طائفة يعيشون معزولين عن السكان الرومان ويرفضون الاعتراف بالإلهة القومية ، مما أجب بالنسبة له انعدام الثقة تجاههم، غير أنه في عهده ولأول مرة تم الفصل بين اليهود والمسيحيين،⁴ و تم تحميلهم مسؤولية حريق روما العظيم.⁵

و أحرقت النيران ثلاثة من أحياء روما الأربعة عشر وسويت بالأرض، ولم يتبق منها سوى القليل وألحقت أضرارًا بالمباني القائمة في سبع مناطق أخرى ولم تنج سوى أربع مناطق وكانت الخسائر في الأرواح كبيرة⁶، ليس لكونهم الفاعلين ولكن بسبب معصيتهم، والتي أثارت غضب الإلهة وانتقامها، وكانت نتيجة ذلك حسب المؤرخ تاسيتوس (Tacitus) الإعدامات

¹ أسد رستم ،الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ،الجزء الأول ، دار المكشوف، بيروت لبنان 1955، ص 35.

² نيرون ولد 15 ديسمبر 37م، جنوب روما. كان اسمه لوسيوس دوميتيوس أهينو باربوس Lucius Domitius Ahenobrus (اللقبة البرونزية)، نسبة إلى والده وكانت العائلة من الجمهوريين المتعصبين، حيث يعود أسلافهم الى طبقة النبلاء ،وكانوا معروفين بالقيادة والغطرسة والقسوة . Strauss,B.,Op.Cit.p.90.

³Salles ,C., Néron,Perrin,Paris,2019 ,p.132.

⁴Neusne,J.,Op.Cit.p.382.

⁵ ربما كان هناك جماعات مسيحية بالقرب من المكان الذي بدأ فيه حريق روما العظيم زد على ذلك أعلن المسيحيون صراحة بعد الحريق أن روما عوقبت على خطاياها، ومن ثم فقد جعل المسيحيون كبش فداء جيدين لجريمة سيقوا اليها و عاقب نيرون المذنبين ليس فقط بإشعال النار وهي جريمة من المفترض أنهم اعترفوا بها - ولكنهم مذنبون من حيث تهمة "كراهية الجنس البشري". Strauss,B.,Op.Cit.p.103-104.

⁶ Strauss,B.,Op.Cit.p.84.

في حق المسيحيين ،¹ واضطهاده مجموعات أخرى بارتداء بعض الضحايا جلود الحيوانات وقتل البعض الآخر على يد كلاب الصيد الجائعة وآخرون صلبوا على الصليبان ودقت فيهم المسامير و حرق المسيحيون وأشعلت في أجسادهم النيران ليصبحوا مثل المشاعل الحية وكان نيرون نفسه حاضرا ويرتدي ملابسه الفاخرة² في نوع من الاستخفاف والاستهانة بمشاعر المسيحيين .

توفي على اثر تلك الأحداث القديس بطرس عام 64 م مصلوبا ،كما أعدم بولس الرسول بالسيف في عام 67م³ كان لا يزال الوضع القانوني "للمسيحي" خلال العقود الأولى من وجوده في روما غير واضح تمامًا ،حيث أعتبر كونك مسيحيًا جريمة يعاقب عليها بالإعدام، أما المسيحيون فقد اعتبروها فيما بعد بداية لسلسلة الاضطهادات .⁴ إلا انه لا يمكن إثبات خلفيات الاضطهاد أو لماذا اضطهد نيرون المسيحيين؟ لقد كانوا هدفًا مناسبًا ومتاحًا وغير مرغوب شعبيًا لكن ربما على مستوى ما، أدركهم نيرون على أنهم أعمق تهديد. مثله، كانوا يمثلون أزمة في المنظومة الدين الروماني ،و ربما رأى نيرون في المسيحيين تحديًا لم يستطع التغلب عليه، فحاول لتدميرهم.⁵

4-2 اضطهادات الإمبراطور ماركوس اوريليوس (Marcus Aurelius)

باشرت السلطة الرومانية بقيادة ماركوس اوريليوس سياسة الاضطهاد فنص مرسوم أصدره الإمبراطور⁶ ، بالحكم بالموت على كل من يعترف أنه مسيحي، إلا أن فترته عرفت نوعا من الازدواجية بين ميول الإمبراطور وبين ميول الجماهير الناقمة على المسيحيين وسلوكهم، معتبرين

¹ Cornelius Tacitus, The Annals, Book 15,Chapter44, Perseus Digital Library, Tufts University.

² Strauss,B.,Op.Cit.p.103-104.

³ Salles,C.,Op.Cit.p.133 .

⁴ Birley,A.,Marcus Aurelius ,Routledge,Usa,2000,p.257 .

⁵ Strauss,B.,Op.Cit.p.104.

⁶ ولد ماركوس في روما في 26 أبريل 121م. تنتمي عائلته إلى "الإسبان". مثل هادريان ابن عم الامبراطور تراجان وماركوس، كان اسمه عند ولادته ماركوس أنيوس فيروس. أخذ اسم ماركوس أوريليوس لاحقًا، عندما تم تبنيه في

الامبراطورية.. Strauss,B.,Op.Cit.p.202.

ذلك بمثابة علامة على المعارضة السياسية، ولامبالاتهم تجاه الدولة، وان كان الإمبراطور نفسه في حالات كثيرة كان يتماشى في عملية الاضطهاد مع ضغط الجماهير وليس كموقف للسلطة وهو ما يجعلنا نفهم أن عملية الاضطهاد كانت كرد فعل مدفعا عن النفس من جانب السلطات، وأنه إذا خرج المسيحيون من مخابئهم لخدمة الإمبراطور ، فربما يتم التسامح مع دينهم وهو ما معناه الاعتراف بعدد وقوة المسيحيين في ذلك الوقت.¹

سلوك الإمبراطور ماركوس أوريليوس في الإجراءات التي اتبعتها ضد المسيحيين يفهم من خلال اعتقاده بجملة من الأفكار الفلسفية، حيث يفترض وجود الإلهة لكنه نادراً ما يسميها أو يعترف بها، وإن كان عهده سجل وجود عبادة ايزيس وتنفيذها في الإمبراطورية الرومانية،² ما استوجب قمع المسيحية ومتابعتها، على عكس سلفه الإمبراطور تراجان³ ليقوم بالبحث عن المسيحيين واضطهادهم، وهو ما منعه تراجان⁴ على بليني، ومن هنا جاءت مأساة ليون عام 177م، حيث نرى في أعقاب حركة شعبية في ليون تم اضطهاد العديد من المسيحيين، سميت تلك المجزرة بحادثة "شهداء ليون" والمعروفة من خلال كتابات يوسابيوس القيصري، حيث ينقل رسالة كتبها مسيحيو المدينة إلى سكان مقاطعة آسيا أن الاضطهاد كان عنيفاً في ذلك الوقت في جميع أنحاء الإمبراطورية وتسبب في "موت أعداد لا تعد ولا تحصى من الشهداء"، ما يبين حجم المأساة، فقد تم تعذيب مسيحيي ليون خلال الأعياد الوثنية السنوية الكبرى،⁵ وإن كانت هذه الشهادة تنطوي على نوع من المبالغة في عدد الضحايا المسيحيين.

في شهادة أخرى لإيريناوس، تم تسليم خليفة بوتين أسقف كنيسة ليون، في الأول من أوت 177م، للموت في أعياد العبادة الإمبراطورية، ومن ثم الأسقف بوتين نفسه و رمي

¹ رشاد الشامي، المرجع السابق، ص، 175- 180 .

² Marcel Van Ackeren ,Op.Cit.p.203-204.

³ وضع تراجان تعليمات بعدم مطاردة المسيحيين وترك مصيرهم فعلياً في أيدي المجتمع الذي يعيشون فيه ، أي الوثنيين. نظراً لأنهم رفضوا تكريم الآلهة الوثنية . . Birley,A.,2000,Op.Cit.p.258.

⁴ على الرغم من ادعاء تراجان بالألوهية لقد قدم نفسه على أنه تقريباً نصف إله ممثل الآلهة على الأرض. ادعى أن لديه، إلا انه سلك مسلك متساهل مع المسيحيين . Strauss,B.,Op.Cit.p.149.

⁵ Petit .P.,Histoire Générale De L'empire Romain Paris, Ed Du Seuil,Paris,1978,p.123.

للوحوش ، وأمر بعدها ماركوس أوريليوس بالإفراج عن من يرتد عن المسيحية وإعدام المتمردين بالإعدام.¹

انتهت الاضطهادات قبل وقت قصير من وفاة ماركوس أوريليوس لأسباب غير معروفة، كانت ازدواجية ماركوس أوريليوس محل انتقاد لدى المؤرخين المسيحيين بسبب وقوفه بين نقمة الجماهير وبين واجب السلطة في الحفاظ على كيانها ، حيث ذهب ترتليان² (Tertullianus) أن هذا الإمبراطور كان حامياً للمسيحيين بسبب مرسوم موجه ضد متهميهم.³

كان الاختلاف في الرؤية والحكم على الإمبراطور من قبل المسيحيين ومؤرخي الكنيسة المسيحية يعكس نقطتين حول طبيعة الصراع الديني الأولى أن الاضطهاد لم يكن متواصل بل منقطع، والثانية أن نوعية وحدة الاضطهاد لم تكن متساوية في كل الفترات وكل المناطق، لذلك نشهد اختلاف بين كل إمبراطور وكل منطقة انتشرت فيها المسيحية وذلك راجعا ربما لفشل السلطات الرومانية في تقدير الاختلافات بين التزام المسيحيين من جهة والتزام قاداتهم من جهة أخرى ، لذلك تفاوتت المواقف تجاههم بين الاستعداد للتعامل مع الاضطهاد وبين التهرب منه.

3-4 اضطهادات الإمبراطور كومودوس (Commodus)

مع تولي الإمبراطور كومودوس عرف المسيحيون فترة ثلاثة عشر عامًا من السلام، وتجدر الإشارة إلى أن كومودوس كان متساهلاً معهم⁴، على الرغم من وجود عدد قليل من الشهداء المعزولين بسبب الظروف المحلية، وأشهرهم المسيحيين الاثني عشر في مدينة سكيليوم الصغيرة في نوميديا، المحكوم عليهم بقرطاج، غير أن الإمبراطور كومودس لم يهتم كثيرًا بتقديم الكنيسة

¹ Le Roux,P.,Le Haut-Empire Romain En Occident D'auguste Aux Sévères 31 Av. J.-C. - 235 Apr. J.-C, Editions Du Seuil, Madrid,2003,p.370.

² ترتليان أشهر رجال المسيحية في أفريقيا و أب الكنيسة الأفريقية له العديد من المؤلفات القيمة، مؤلف كتاب Adversus Judaeos ، وهو مثال بارز على النوع الأدبي الذي أطلق عليه اسمه ، كان ترتليان مسيحياً بارزاً في مجتمع وثني قومه بشدة وحاول تثبيت المسيحية والدفاع عنها ضد خصومه . Kessler , E., Wenborn,N.,Op.Cit.p.420.

³ Petit, P.,Op.Cit.p.122.

⁴ Turney,S., Commodus, Orion, Uk,2019 ,p.378 .

وزيادة نفوذ المسيحيين، بل إنه قيل أن خليفته مارسيا كانت مسيحية، وحصلت منه على عفو خص مسيحيين معترفين بالإيمان المسيحي الذي تعاقب عليه السلطة الرومانية والذين تم نفيهم إلى سردينا عقوبة لهم.¹ خلال هذا العهد، خرجت الكنيسة من مخبأها، مستفيدة على أفضل وجه من التسهيلات التي توفرها القوانين المواتية في روما نفسها، ومن جهل الوثنيين بمدى تغلغل المسيحية في المجتمع والسلطة معاً، لم يحترسوا لمدى توسعها أو أنهم لم يقدرُوا مدى قوتها، غير أنهم أدركوا ذلك لاحقاً، بعد تمركزها وتحولها عن حالة المهادنة في بدايتها، فأعلنوا بذلك إبادة الطائفة المنبوذة.

4-4 اضطهادات الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس (Severus Septimius)

صعد الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس للحكم، مع مطلع القرن الثالث ميلادي، وهو الإمبراطور ذو الأصول الإفريقية²، والذي عرف بعبادة الإله المصري سارابيس (Sarapis)، الإله الذي رعاه البطالمة،³ هذه العبادة المصرية بطقوسها وأسرارها ستجعل من سيبتيموس يأخذ موقف مرتاباً من المسيحية، حيث أصدر مرسوم يعود تاريخه إلى حوالي سنة 202م وقت عودته من الشرق، يحظر عمومًا أي تبشير لليهود والمسيحيين،⁴ كان من أثاره القبض سنة 203 م على ستة مسيحيين كانت بينهم امرأة في مقتبل العمر من مدينة طبرية أُلقي بهم إلى الحيوانات أمام مرأى العامة

5.

كان هذا الاضطهاد يأخذ صبغة شعبية أكثر منه سلطوية، ولم تكن عمليات الإعدام التي نُفذت في إفريقيا في عهد الحاكم هيلاريانوس حوالي عام 202م، نتيجة المرسوم ولكنها تتوافق مع الحركات الشعبية الناقمة ضد المسيحيين، حيث اتهم المسيحيون مرة أخرى بعدم المشاركة في الاحتفالات العامة ورفضهم التضحية من أجل التحية الإمبراطورية، و اعتبر عهد سيفيروس كان

¹ Ibid.p.378.

² سيبتيموس سيفيروس ولد في 11 أبريل 145م، في Lepcis Magna طرابلس حالياً والتي كانت مستعمرة رومانية في ليبيا . . Birley, A.,The Septimius The African Emperor, Routledge,Usa,2002,p.127.

³Birley, A.,2002,Op.Cit.p.181.

⁴ Petit, P.,Op.Cit.p.123.

⁵ توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1991، ص 55.

وقت سلام للمسيحيين¹ ، ولم يجرم أي شيء سوى الحكام الذين يستسلمون لعويل الجماهير الناقمة على المسيحيين.²

استطاعت الكنيسة خلال هذا القرن تنظيم صفوفها في جو هادئ أمن دون أن تلجأ إلى التستر والتخفي، فتمكنت المجامع الكنسية من أن تعقد اجتماعاتها دون أن تخشى تدخلا من السلطات، ورغم هذا يستند المسيحيون إلى وقوع بعض الاضطهادات العنيفة، ويخترعون أقاصيص يصورون فيها الاستشهاد في سبيل الرب،³ ما يعكس اغفالا واضح من جانب آخر للحالة التي وصلت إليها الكنسية من تنظيم أصبح يرى في شكل قوة منظمة ومهيكلية، تتصدى للعنف الممارس عليها من قبل السلطة، وترفض الانخراط في الجيش الروماني، أصبحت مسألة التضحية للإمبراطور الاختبار الحقيقي لموقف المسيحي من الحكم والسلطة، في مقابل طاعة وإتباع تعاليم الكتاب المقدس. ولعل أبرز ما يدل على ذلك هو عقدهم المجامع بعد وفاة سبتيموس سيفيريوس كان أولها أثناء حكم الإمبراطور كراكالا (Caracalla) عام 215م، لقد بقيت الأوضاع هادئة طيلة حكم الاسرة السيفيرية⁴.

4-5 اضطهادات الإمبراطور ديسيوس (Traianus Decius)

أعقب فترة حكم الأسرة السيفيرية مرحلة جديدة في العلاقة بين السلطة الرومانية والمسيحية حيث بدأت موجة من الاضطهاد الممنهج على يد الإمبراطور ديسيوس والذي بدأ بمحاولة إعادة توحيد الإمبراطورية الرومانية مؤكدا على الدين الروماني القديم، من خلال تنشيط ممارسات العبادة والطقوس و ترميم مباني المعبد وعناصرها الزخرفية الداخلية والخارجية ونتيجة لسياساته ، قام بنهميش أو حظر الطوائف التي اعتبرها الأكثر تهديداً للوحدة

¹ . ربما يرجع ذلك لخلفيات ومسار سيفيريوس والذي تحدث سيفيروس البونيقية أيضاً مثل اليونانية واللاتينية. في روما، سخروا من لهجته المحلية، والده كان من عائلة ثرية، ولها علاقات قوية بروما، بما في ذلك علاقتهم مع اثنان من أعضاء مجلس الشيوخ، وينتمي الى الطبقة الأرستقراطية المحلية، إلا أن مكانتهم ارتفعت عندما أعلن تراجان منحهم المواطنة الرومانية ، ليكون سيفيروس أول إمبراطور أفريقي لروما. Strauss,B.,Op.Cit.p.227.

² Petit, P.,Op.Cit.p.124.

³ توفيق الطويل، المرجع السابق، 55.

⁴ Pat,S.,The Roman Empire From Severus To Constantine ,Routledge,Usa,2001,p.167.

وخاصة المسيحية.¹ و أمر بالقبض على معتقيها وملاحقتهم وإنزال العقاب بهم ، و أصدر هذا الإمبراطور²في عام 249 م مرسومًا يقضي بأن يقدم جميع سكان الإمبراطورية التضحية للآلهة، في محاولة لانتزاع إعلان الولاء من المسيحيين.³

واستخدم مسئولوا الإمبراطور ديسيوس قوائم التعداد، وهي الآلية الإدارية التي جعلت من الممكن تحصيل الضرائب بشكل منهجي، لفرض الامتثال الفردي للأمر،⁴ كان هذا تطورًا جديدًا مهمًا بشكل عام في سياق الصراع الوثني المسيحي، كانت اللوائح المتعلقة بالتضحيات المقدمة نيابة عن الأباطرة، أو لأي سبب آخر، تشكل خطوة نحو السيطرة على المسيحيين وإحصائهم وقد طلب ديسيوس من الجميع أو على الأقل جميع أصحاب المنازل، الامتثال وإحصاء عددهم، وفي بعض أجزاء الإمبراطورية طلب الإمبراطور الحصول على شهادة تفيد بأنهم قد ضحوا للآلهة وعرف الرومان أن المسيحيين لن يوافقوا على ذلك بأي حال من الأحوال ، وقد تم العثور على العديد من هذه الشهادات ، خاصة في مصر في سياسة تهدف لممارسة سيطرة مركزية ، بتوجيه من الإمبراطور نفسه.⁵

أما في إقليم آسيا عام 250م ، حكم الحاكم العام على عددًا من المسيحيين غير الممتثلين للمراسيم بالإعدام ، بما في ذلك بعض القساوسة،⁶ كان الإجراء يهدف في الأصل إلى استهداف المسيحيين لكسر تنظيمهم، وإجراء مصممًا لتحقيق الالتزام الديني تجاه الإمبراطور في وقت كان فيه ضعف الإمبراطورية واضحا جدا ، والحاجة إلى خلق وحدة سياسية عن طريق الالتزام الديني ضرورة ملحة لحفظ استقرار السلطة واستمرارها. وانعكس هذا بشكل مباشر على وضع المجتمعات المسيحية التي وقعت تحت ضغط شديد أجج الصراع الديني بدل إطفائه، و تم إعدام عدد

¹ Pat,S., Op.Cit.p.74.

² حافظ أحمدغانم المرجع السابق ، ص 122.

³ Neusne,J.,Op.Cit.p.540.

⁴ Mitchell ,S.,Op.Cit.p.257.

⁵Gregory,T., Op.Cit.p.25.

⁶Mitchell ,S.,Op.Cit.p.257.

كبير من أساقفة روما والإسكندرية، ليكون بذلك ديسيوس أحد أعنف مضطهدي المسيحيين وربما كان أول إمبراطور روماني سعى بنشاط لتدمير المسيحية، إلا أن تم قتله في معركة سنة 251م.¹

4-6 اضطهادات الإمبراطور ليسينيوس فاليريان (Liciniu Valerian)

أدت وفاة ديسيوس إلى حرب أهلية بين القادة الباقين على قيد الحياة، ولم يتمكن أحد من السيطرة على العرش بشكل آمن حتى عام 253م، في ذلك الوقت تم ترشيح ليسينيوس فاليريان من قبل القوات العسكرية، واعتبر آخر ممثل للأرستقراطية الجمهورية القديمة من الذين شغلوا المنصب الإمبراطوري، وسعى إلى الحكم من خلال التعاون مع مجلس الشيوخ،² وكان يُنظر إليه على أنه حارس الإمبراطورية من خلال قوة الرعاية الإلهية لجوبيتر في وقت عصف الطاعون بالإمبراطورية الرومانية،³ لقد خلف اضطهادا فاليريان العنيف العديد من الضحايا و أدى هذا الاضطهاد إلى اعتقال ومحاكمة الأسقف سيبريان نفسه، واحتفظت المصادر المسيحية بسجل مفترض لجلستي استماع، حيث حوكم الأسقف من قبل حاكم إفريقيا، أسباسيوس باتيرنوس في 257 م وغاليريوس ماكسيموس في 258 م، والتي أدت الأولى إلى نفيه، والثانية إلى إعدامه.⁴

في خضم الصراعات والأزمات الداخلية والخارجية التي عصفت بالإمبراطورية من كل الجوانب اتهم المسيحيين بإثارة غضب الإلهة وتم تحميلهم المسؤولية في محاولة من السلطة امتصاص حالة الغليان الشعبي وتفاديا لتعفن الأوضاع أكثر وفي نفس الوقت إعطاء مبررات للقيام بسلسلة أخرى من الاضطهادات العنيفة لقد كان الإمبراطور فاليريان عازماً على تدمير الإيمان المسيحي الذي بدا أنه يهدد فلسفياً ومادياً أسس حكمه.⁵

¹ Gregory,T., Op.Cit.p.25.

² Ibid.p.26.

³Roger ,H., Studies In The Reign Of Valerian And Gallienus,Princeton University Proquest Dissertations Publishing ,Usa, 1952,p.60.

⁴ Mitchell ,S.,Op.Cit.p.258.

⁵ Roger ,H.,Op.Cit.p.59.

استعمل لذلك سياسة ضرب التسلسل الهرمي المسيحي، فدعت أحكام مرسومه الأول بالاضطهاد إلى إبعاد رجال الدين الكبار وغيرهم من الأفراد المتمردين بشكل خاص كما يحظر المرسوم على المسيحيين التجمع أو زيارة المقابر ، وأي مخالفة تنتهي بعقوبة الإعدام، أما المرسوم الثاني فهو لمجلس الشيوخ يدعو إلى اتخاذ تدابير أحدث وأكثر قسوة ضد الكنيسة ، حيث طُلب من المسيحيين المنتمين إلى الطبقات العليا مصادرة ممتلكاتهم ؛ وإذا استمروا في المسيحية ، كان من المقرر إعدامهم، علاوة على ذلك، تابع اضطهاد ومعاقبة الأساقفة والكهنة والشمامسة.¹

4-7 اضطهادات الإمبراطور جالينوس (Egnatius Gallienus Licinius)

بعد وفاة الإمبراطور فاليريان في عام 260م تولى جالينوس السلطة في عام 261م و أصدر الإمبراطور مرسوم يقضي بالتسامح الديني يعد الأول من نوعه، وأُعترف فيه بأن المسيحية مسموح لها ويحرم على الوثنيين التعرض لدور العبادة المسيحية، وأمر بأن يرد للمسيحيين ما كان قد صودر منهم من أملاكهم، ويرى ذلك من خلال رسالة ، أساقفة الإسكندرية، وأساقفة آخرين، سمح لهم فيها باستعادة كنائسهم وضمن حريتهم في العبادة ، كما أعاد الوصول إلى المقابر المسيحية، كانت هذه فترة من التجديد الديني الكبير في العالم الروماني.²

وهكذا أقدم الإمبراطور جالينوس على خطوة جريئة لم يسبقه إليها إمبراطور ،كان السلام الطويل لجالينوس ظاهرة استثنائية ، نعم خلالها المسيحيون بفترة سلم طويلة سعوا فيها إلى إعادة بناء ما خلفه الاضطهاد من فقد الكثير من إخوانهم وتمكن المسيحيون طيلة الأربعين سنة التي توفر فيها هذا الوفاق بين السلطة والكنيسة من تنظيم أنفسهم.³

¹Christopher J. Haas, Imperial Religious Policy And Valerian's Persecution Of The Church, A.D ,260-257 .Church History, Catholic University Of America Press, Vol. 52, No. 2 Jun., 1983, p.133.

² Mitchell ,S.,Op.Cit.p.258.

³ Leadbetter ,B.,Galerius And The Will Of Diocletian, Routledge,Usa,2009,p.127.

هذا السلام والظروف التي تتمتع بها الكنيسة زاد؛ من أعداد المسيحيين في المقاطعات الإمبراطورية؛ حتى في الأسرة الإمبراطورية نفسها وهو ما سمح بزيادة عدد المنتصرين ولا سيما في آسيا الصغرى ومصر وفلسطين وشمال إفريقيا، لتصبح أعدادهم ملحوظة في جميع المدن الرئيسية للإمبراطورية ويدعم ذلك ما نلاحظه من منحنى تطور أعداد المسيحيين بداية من منتصف القرن الثالث وتسارع وتيرة التنصير بشكل كبير جدا حتى منتصف القرن الرابع.

4-8 اضطهادات الامبراطور أوريليان (Lucius Aurelianus)

مع دخول عهد الإمبراطور أوريليان وبعد الجهود السابقة المضنية لاستعادة الوحدة والنظام لإمبراطورية التي كانت مهددة بالانقسام، اتخذ أوريليان سياسية جديدة تقوم على الترويج لعبادة إله الشمس، سول إنفيكتوس (Sol Invictus)، وإرجاع مكانة الديانة الرسمية للدولة وقدم نفسه على أنه إله يعمل من أجل مصالح البشرية كشريك أرضي لسول، ما جعله يقوم بتجديد الاضطهاد، ويمكن تفسيره بشكل أفضل من منظور محافظته الدينية أكثر من تفسيره من حيث التطرف الديني.¹

شهدت هذه الفترة أيضاً تركيزاً متزايداً على المعتقدات التوحيدية، على مستوى العبادة الشعبية، بين المثقفين والنخبة الحاكمة التي عرفت تنصر الكثير من أعضائها وهي حقيقة كان لها آثار مهم على طبيعة الصراع الوثني المسيحي، فقد أصبح القادة المسيحيون واثقين بشكل متزايد من دورهم في المجتمع لقد تم في سنة 270م إحصاء 300 مسيحي تم العثور عليهم في مجلس الشيوخ الروماني، وفي الوفد الإمبراطوري، وفي الجيش الروماني.²

و ناشدت مجموعة من قادة الكنيسة من آسيا الصغرى وسوريا الإمبراطور أوريليان للتدخل في نزاعهم الداخلي مع أسقف أنطاكية، وكان الإمبراطور قد حكم لصالحهم وإقالة الأسقف،³ لقد منع الموقف الراض للمسيحيين تجاه عبادة كل من الإمبراطور نفسه و راعيه سول إنفيكتوس من تمديد حالة السلام وأعتبر أوريليان رفض المسيحيين تكريم آلهة روما

¹ Watson,A.,Op.Cit.p.202.

² Mitchell ,S.,Op.Cit.p.258- 259.

³ Leadbetter,B.,Op.Cit.p.127.

والاعتراف بالإلوهية، ليس فقط كتهديد للمجتمع ولكن كتحدٍ لسلطته الشخصية، مهما كانت أسبابه يبدو أن أورليان كان عازم على تجديد الاضطهاد في الأشهر القليلة التي سبقت موته.¹ كان هذا مقدمة واضحة لمشاركة أباطرة القرن الرابع لاحقاً في شؤون الكنيسة الكبرى ما يعني أن المسيحيين شكلوا العنصر الحركي في المجتمع الروماني وأنه بحلول القرن الثالث لا يمكن لأي إمبراطور أن يحكم بشكل آمن دون موافقة مسيحية.²

فرض الانتشار المسيحي نفسه، فلم يعد الصراع فقد محصوراً على النطاق الداخلي في المجتمع بين الوثنيين من الجماهير الناقمة على المسيحية والمسيحيين الراضين لكل العبادات والممارسات الوثنية، بل إن التقدم المسيحي تغلغل في السلطة ليصطدم بالإمبراطور نفسه، ودائرته المقربة وهو ما شكل نقطة انعطاف حقيقية في الصراع وشدة الاضطهاد، خاصة وأن الإمبراطورية دخلت في دوامة أزمة القرن الثالث، لتنتقل كاهل الدولة وتأزم الأوضاع أكثر، ويكون التحدي أمام السلطة الرومانية مضاعفاً، في مواجهة الخطر المسيحي المتنامي وفي إعادة الاستقرار للإمبراطورية المهتدة بالانهيار والانقسام معاً.

9-4 اضطهادات الإمبراطور دقلديانوس (Diocletianus)

أعقب وفاة الإمبراطور كاروس (Carinus) اختيار الجيش أحد ضباطهم دقلديانوس³ إمبراطوراً، وتم إعلانه في 20 نوفمبر 284م⁴ كان دقلديانوس واحداً من أطول الأباطرة الرومان حكماً وأحد أباطرة الرومان الأكثر أهمية، وحكم إحدى وعشرين سنة، وضع فيها الأسس لمسار جديد للإمبراطورية. أعاد بذلك دقلديانوس تنظيم الإمبراطورية الرومانية

¹ Watson,A., Op.Cit.p.200.

²Watson,A., 199.

³ ولد دقلديانوس في 22 ديسمبر حوالي عام 245م جاء من دالماتيا Dalmatia — كرواتيا الحديثة — ديوكليس، وهو اسم يوناني يعني "مجد زيوس"، من عائلة فقيرة كان والده كاتباً، كان ديوكليس، جندياً محترفاً، يتمتع بموهبة القيادة. ارتقى في مراتب القيادة العسكرية في الجيش الروماني إلى أن وصل رتبة جنرال يخدم في منطقة نهر الدانوب. ثم في عام 283م خدم مع الإمبراطور ماركوس أوريليوس كاروس في حملاته العسكرية، ثم اختاره الجيش ليكون قائداً ويصعد لحكم

الإمبراطورية الرومانية.. Strauss,B.,Op.Cit.p.249.

⁴ Barnes, T. D.,The New Empire Of Diocletian And Constantine, Harvard University Cambridge Press, London,1982 , p.3.

وأنقذها بالمعنى الحقيقي وقد قسم المجتمع إلى رومان و بربريين، جندي ومدني، مشتري وبائع، وعلى الأخص الوثنيين والمسيحيين¹. كانت رؤية دقلديانوس الأولى بعد الفوضى العسكرية والفوضى الإدارية، هي تثبيت قوته الخاصة وتوفير قيادة ثابتة للإمبراطورية بأكملها².

هذه الخطة التي طورها دقلديانوس بدت مثالية في كل شيء إلا أنها لم تنجح في الممارسة على أرض الواقع، حيث احتاج إلى فرض عبء ضريبي لا يُحتمل، وما يترتب على ذلك من تنظيم لجميع السكان من أجل دعم الحكومة المركزية، وهو ما أدى به إلى سحق المبادرة الخاصة وتكريس المزيد من الانهيار الاقتصادي، انعكس بالإفلاس الثقافي والروحي³.

حاول دقلديانوس الخروج بالإمبراطورية من هذه الأزمة عن طريق إعادة الاعتبار لمركزية الدين الروماني في السلطة، وخلق سياسية دينية جديدة تقوم على إعادة تأكيد السمات الأساسية للوثنية التقليدية، بما لا يشبه عبادة الشمس لأوريليان ولا مشابهة للمسيحية من حيث التوحيد.

كان دقلديانوس يسعى إلى إنهاء فترة حكمه وحياته في السلطة بتدمير الكنيسة⁴ والترويج لعبادة جوبيتر باعتباره الكائن الإلهي الأعلى، واعتمد هرقل كرمز رئيسي للإيديولوجية الدينية الإمبراطورية، وأعاد تركيز الانتباه على الشخصيات الرئيسية للآلهة الأولمبية أطلق الإمبراطور مبادرة دينية جديدة صُممت خصيصاً لتعزيز تماسك الإمبراطورية الرومانية،⁵ معتبرا أي خروج عنها جريمة، كما أوجد دقلديانوس لنفسه نظام السيادة الدينية والسياسية بأن جعل نفسه لاحقا مؤلها على الإمبراطورية وأدعى أنه مبعوث ومؤيد من قبل الإلهة، فهو كان

¹ Strauss,B.,Op.Cit.p.249

² Gregory,T., Op.Cit.p.33.

³Pharr,C.,Op.Cit.p.57 .

⁴ Leadbetter,B.,Op.Cit.p.120.

⁵ Mitchell ,S.,Op.Cit.p.259.

يعتقد أنه لا يمكن إحياء الإمبراطورية سياسياً وعسكرياً من دون إحياء العقائد الوثنية التي قامت عليها.¹

هذا التوجه في تجديد المعتقدات القديمة لم يكن بصورة قوية في بداية حكمه حيث انشغل بالحروب وتثبيت أركان حكمه ما أعطى بعض من الحرية للمسيحيين، حتى أوسابيوس (Eusebius) اعترف بأن بداية حكم دقلديانوس كانت سلمية فيما يتعلق بالمسيحيين، خاصة وأن عمليات الاضطهاد الأولى جاءت ضد الطوائف الدينية الشرقية ومنها المانويين، الذين ترسخوا بقوة في مصر وشمال إفريقيا، يقول أوسابيوس أن التطهيرات ضد المسيحيين حدثت قبل وقت طويل من اندلاع الاضطهاد العظيم.²

وأن بعض التطهيرات حدثت في العام السادس عشر من حكم دقلديانوس، أي حوالي 298م- 299 م، غير أن يوسابيوس يرجح أن هناك من ساهم في التحريض والتأثير على دقلديانوس في قراره بتنفيذ اضطهاد عام للكنيسة،³ ويقصد بذلك غاليريوس الذي قيل إنه كان معادياً بشدة للمسيحية طوال حياته.⁴

بدأت الحملة العنيفة للإمبراطور دقلديانوس عام 303م ضد المسيحيين الخارجيين عن قانون الإمبراطورية وحتى العاملين في الجيش الروماني المعتنقين للديانة المسيحية الذين وجب إعدامهم وإبعادهم عن مناصبهم، بدعوى أن الرب لم يقبل ذبيحة الإمبراطور بسبب وجود بعض من الجنود مسيحيين أفضلوا احتفاله مع الإله⁵، خاصة وأن عدم الامتثال لطقوس تقديم التضحية للإمبراطور، والتي تعتبر الاختبار الحقيقي لموقف المسيحي من الحكم الإمبراطوري، كان يعد عملاً تخريبياً يستوجب العقوبة الرادعة، ويبدو أن دقلديانوس اقتنع أن لا طريقة للتغلب على هذه المشكلة إلا باضطهاد المتمردين، وإلا فإن عملية التجنيد في جميع أنحاء الإمبراطورية سيكون عرضة للخطر،

¹ Leadbetter, B., Op. Cit. p. 123.

² Smallwood, E. M., The Jews Under Roman Rule, Brill Leiden, Netherlands, 1976, p. 166-167.

³ Keresztes, P., "from The Great Persecution To The Peace Of Galerius ", *Vigiliae Christianae* , Dec 1983, Vol 37, N4 , p. 381-382 .

⁴ Smallwood, E. M., Op. Cit. p. 169 .

⁵ Leadbetter, B., Op. Cit. p. 124.

ومع ذلك فإن دقليانوس في توجهه العنيف ضد المسيحية، اعتبر تارة مناهض لكل ديانة غير الوثنية بحكم خوفه على الإمبراطورية وكونه دكتاتوراً متعسفاً مثلما حدث مع المسيحية والمانوية، وتارة بسبب كون المفوض الإلهي الأوحده .

توجه دقليانوس لاضطهاد المسيحية على خلفية رؤية رئيس العرافيين ،الذين يقومون بفحص أحشاء الحيوان ليستنبطوا منها أنباء المستقبل ،وأن الإلهة تضيق بكفر المسيحيين وتأبى من أجل هذا أن تكشف عن أنباء الغيب المحجب ،وعندئذ نزع دقليانوس إلى اضطهاد المسيحية و جندلة رجالها، وأمر بهدم كنائسها وإعدام كتبها المقدسة وأثار أبائها وقرر اعتبار المسيحيين مندسين تسقط حقوقهم المدنية، وأمر بالقبض على الكهان وسائر رجال الدين وتجريعهم العذاب ،فامتألت السجون بالمسيحيين واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسامهم بالسياط والمخالب الحديدية، أو أحرقت بالنار أو قطعت أرباعاً أو طرحت للوحوش الضارية أو غيرها من وجوه التعذيب .¹

أي كانت دوافع دقليانوس إلا أنه أسس لسياسة تقوم على إرجاع السلطة الدينية في يد الإمبراطور لضمان الوحدة الدينية للإمبراطورية، بما لا يهدد الأمن والاستقرار ولا يهمل لاحقاً تبريرات هذا السلوك لان المسيحيين عانوا من بشاعة الاضطهاد المطبق عليهم وحجم الخسائر والشهداء في عهده .

10-4 اضطهادات الامبراطور جاليريوس (Gaius Galerius)

اعتلى كل من جاليريوس الحكم في الشرق إمبراطوراً وقسطنطين في الغرب بعد تنازل دقليانوس عن العرش في 305 م، وكانت أولى خطوات جاليريوس هي تشجيع الاضطهاد واستعمل جميع الوسائل لتعذيب المسيحيين ،فزاد عدد المضطهدين في كل أرجاء الإمبراطورية وقد ساعده في ذلك نائبه ماكسمينوس ،بينما اكتفى قسطنطين بحرق عدد قليل من الكنائس ،وأصدر جاليريوس أمر في 308م يقضي بمواصلة اضطهاد المسيحيين، ما خلف

¹توفيق الطويل، المرجع السابق، ص 56.

ارتداد كثير من المسيحيين نتيجة فظاعة وقسوة الاضطهاد على العالم المسيحي بقوة غير مسبوقة.¹

ثم اصدر الإمبراطور جاليريوس أمرا بوقف جميع أعمال العنف الممارس ضد المسيحيين في 30 أبريل 311م في الوقت الذي عانى فيه من مرض شديد ملتصقا من المسيحيين الصلاة من أجله ومن أجل الإمبراطورية.² وكانت جهود الوثنيين حازمة للقضاء على المسيحية وتحمل مرحلة كل من دقليانوس وجاليريوس خصوصية في سلسلة الاضطهاد ونوعيته، ويرجع ذلك إلى أنه كان محاولة رسمية بدأتها الحكومة للقضاء على الدين ازدادت فيها الوتيرة و الضراوة، ووصل إلى ذروته مما أدى إلى معاناة وموت العديد من المسيحيين، لا سيما بين القادة.³ ومن الواضح أن الاضطهاد أثر على العديد من جوانب المسيحية اللاحقة، استهدف الاضطهاد العظيم، الهيكل التنظيمي للكنيسة المسيحية والأساقفة والكتاب المقدس ومباني الكنيسة نفسها.⁴

على الرغم من أن بعض المسيحيين خانوا إيمانهم في مواجهة إجراءات الحكومة، قاوم العديد منهم وقتلوا، غير ان السلوك المسيحي حاول تضخيم عمليات الاضطهاد، دون تقديم أسماء وإحصائيات وتم تقديم هذا للمسيحيين في شكل مجموعة بطولية من الروايات ، ولكن في الوقت نفسه لم يتم تقديم أي من أسمائهم أو الظروف الدقيقة لموتهم. كان رد فعل المسيحيين على الاضطهاد بطرق مختلفة، البعض هرب من السلطة والبعض الآخر قام برشوة المسؤولين، ووافق عدد منهم على التضحية، وتعرض آخرون للإعدام نتيجة تعنتهم ورفضهم، وكان هناك شهداء، كما يروي الأدب المسيحي، المخضرم اسمه يوليوس مع سبعة وعشرين عامًا من الخدمة العسكرية فضل الإعدام على تقديم البخور للآلهة، وأيضا قصة كريسيبينا، امرأة ثرية و أم لها أطفال في نوميديا، قبلت ان يتم إعدامها بدلا من التضحية للآلهة ، ورفض الأسقف

¹ Watson,A.,Op.Cit.p.25.

² Barnes, T. D.,Op.Cit.p.180.

³ Pharr,C.,Op.Cit.p.57.

⁴ Pharr,C.,Op.Cit.p.57.

فيليكس، في قرطاج، تسليم أسقفية الكتب المقدسة وهكذا أعدم وهو في السادسة والخمسين من عمره.¹

كانت هذه صعبة و عصبية بالنسبة للمسيحيين، استمر الاضطهاد بشكل متقطع لمدة عشر سنوات وتسببوا في معاناة كبيرة، لكن السلطة فشلت في النهاية في وقف عنفوانهم وكان الثبات على الشهادة هو أحد الأسباب، في نجاحهم في حين أن السبب الآخر هو عدم رغبة بعض السلطات غير المسيحية في زيادة الاضطهاد في بريطانيا وبلاد الغال مثلا، اقتصر قسطنطينوس على هدم الكنائس فقط. ومن المؤكد أنه لم يكن المسؤول الوحيد الذي خفف من تصرفات دقلديانوس العنيفة لتخرج المسيحية أقوى من الاضطهاد.²

5- الصراع الوثني المسيحي في عهد الإمبراطور قسطنطين (Flavius Valerius Constantinus)

5-1 الإمبراطور قسطنطين والمسيحية

مع صعود قسطنطين³ للسلطة (306م - 337م) تغير نمط وحدة الاضطهاد، و دخلت المسيحية مرحلة جديدة، كان عنوانها الأبرز المهادنة وحرية العبادة، وأصبح تأثير الاضطهاد غير محسوس بالتساوي في جميع أنحاء الإمبراطورية، لأنه اعتمد على حماسة المسؤولين في المقاطعات لتطبيقه، ودور الجماهير الناقمة على المسيحية، والتي تختلف من منطقة إلى أخرى، و يبدو أن آثار الاضطهاد قد ألغيت بالكامل في المقاطعات الغربية في وقت مبكر.⁴

¹ Strauss,B.,Op.Cit.p.264.

² Ibid.p.264.

³ استفاد قسطنطين من مسار والده العسكري حيث ارتقى قسطنطينوس Constantius الأب بسرعة في الرتب العسكرية فكان حاكماً إقليمياً و في الوقت الذي تم فيه تعيين قسطنطيوس قيصرًا عام 293م، كان قسطنطين أرسل شرق الامبراطورية في العشرين من عمره، وقد خدم في الجيوش التي غزت بلاد فارس وإخماد الثورة في مصر. ثم انضم قسطنطين إلى بلاط دقلديانوس نيقوميديا. باعتباره الابن الأكبر للقيصر قسطنطيوس، كان من المتوقع أن يخلف والده يوما ما. وكان مثل والده يعارض التعصب تجاه المسيحيين، لكنه ظل متحفظا على ذلك، من أجل الحفاظ على مسيرته. Strauss,B.,Op.Cit.p.271- 272.

⁴ Mitchell ,S.,Op.Cit.p.283.

فبعد معركة جسر ميلفيان (The Battle of Milvian Bridge) سنة 312 م ، التي فقد فيها ماكسينتيوس (Maxentius) حياته ، ظل قسطنطين الكبير وليسينيوس (Valerius Licinianus Licinius) الأباطرة الوحيدين للإمبراطورية الرومانية ، قسطنطين بصفته مسؤولاً عن الغرب ، وليسينيوس عن الشرق وفي العام التالي 313م، أصدر كلاهما مرسوم ميلان (Edict Of Milan) ، الذي منح بموجبه الحرية الدينية الكاملة للمسيحيين، إن هذا القرار غير وجه الصراع ، وكان قسطنطين المحرك الرئيسي له ، على الرغم من أن ليسينيوس في ذلك الوقت لم يكن معادياً للمسيحيين، غير انه من المحتمل أنه أعطى موافقته بشكل رئيسي احتراماً لشريكه الإمبراطور قسطنطين، لأنه ظل طول حياته وثنياً.²

كانت القضية المركزية لسياسة الدولة الجديدة هي تأسيس حرية العبادة في جميع أنحاء الإمبراطورية ، خاصة وأن دقليانوس فشل في ترسيخ الوحدة الدينية لضمان استمراريته ، وهو هدف كان كل من الإمبراطورين مستعدين للاتفاق عليه، كانت وجهات نظر قسطنطين المسيحية نفسها متأثرة كثيراً بالوثنية ، مع أن الحدث الحاسم في تحوله كان التفسير المسيحي لهالة شمسية المذهلة في معركته الفاصلة.³

مع تدهور العلاقات بين قسطنطين وليسينيوس ، اندلعت الحرب الأهلية بينهما ، كان من المحتم تقريباً التأكيد على الاختلاف في مواقفهم الدينية، قاتل قسطنطين تحت راية الرب الذي منحه النصر على ماكسينتيوس ، بينما أصبح ليسينيوس مرتاباً بشكل متزايد من المسيحيين في الجزء الخاص به من الإمبراطورية ، وقيد على أثرها حقوق المسيحيين في العبادة، ومنع الأساقفة من عقد المجامع الكنسية، ووقف الامتيازات الضريبية التي قدمها قسطنطين لرجال الدين ، أحيا ليسينيوس بذلك الاضطهاد الممنهج ضد المسيحيين ومع ذلك،

¹ جسر ميلفيان يمتد جسر ميلفيان على نهر التيبير شمال روما. بني لأول مرة عام 206 ق.م ولا يزال الجسر الحديث، الذي يتم إعادة بنائه في كثير من الأحيان، يحتوي على بعض الحجارة القديمة اشتهر المكان بمعركة ميلفيان في 28 أكتوبر 312م عندما هزم قسطنطين مكسنتيوس وانتصر عليه. لقد كان هذا هو الاشتباك العسكري الأكثر حسماً للإمبراطورية وتاريخ قسطنطين والمسيحية أيضا لم نتج عنه . Strauss, B., Op.Cit.p. 275..

² Betten, S.F., "the Milan Decree Of A D 313 Translation And Comment ", The Catholic Historical Review , Jul 1922, Vol8, N2 p.191-193.

³ Smallwood, E. M., Op.Cit.p.175.

ربما لم تصل هذه الإجراءات إلى أكثر من التدابير المتخذة ضد الأشخاص الذين كانوا تحت اشتباه كونهم منحازين إلى جانب قسطنطين.¹

عندما اعتلى قسطنطين العرش بعد العديد من النزاعات الخارجية والداخلية ، كان دينه على ما يبدو شكلاً توفيقياً من التوحيد ، متركماً من عبادة الشمس القديمة وعبادة إله النور،² جنباً إلى جنب مع المسيحية رغم وجود العديد من العناصر الوثنية على ما يبدو في معتقد قسطنطين ، إلا أنه لا يوجد أي أثر لتعدد الإلهة ، ويبدو أنه كان موحدًا كاملاً طوال حياته في شكل من أشكال المسيحية.³

إن الموقف الديني المتغير لقسطنطين والوجود المسيحي المتزايد، يعني أن الصيغ الوثنية التقليدية لم تعد مقبولة في خطب المدح لهذا الحاكم، وأدرك الرومان أن ربط قسطنطين بالإلهة الوثنية سيغضب الإمبراطور ويغضب المسيحيين في حاشيته، ومع ذلك فقد شعر الإمبراطور نفسه أن ذكر المسيح باعتباره الراعي الإلهي للإمبراطور سيكون خيانة لدينه ومعتقدات أسلافه الوثنيين، زيادة على عدم ارتياح الوثنيين في حاشيته، لقد حل مشكلته بإتباع سياسة دينية مهادنة وباستخدام المصطلحات الدينية التوفيقية⁴ التي تضمن مساحة من الحياد بين الطرفين ومساحة أكبر للمناورة من قبل الإمبراطور نفسه، ولتتحول لاحقاً إلى وسيلة تنفذ على المسيحيين و احتواء للوثنيين، على الرغم من أن قسطنطين ألغى الاضطهاد الديني.⁵

¹ Mitchell ,S.,Op.Cit.p.260.

²Smallwood, E. M.,Op.Cit.p.178.

³Pharr,C.,Op.Cit.p.57.

⁴Odahl ,Ch., C.CH.E. Routledge,Usa,2004,p.147.

⁵ قبل عدة سنوات من عام 312، رفض قسطنطين تنفيذ مراسيم الاضطهاد ضد المسيحيين. وبهذا اتبع أباه الذي لم يكن مسيحياً. لكن ربما كانت هيلينا مسيحية مايرز دورها في التأثير على الإمبراطور ومع ذلك، يقول مؤرخو الكنيسة لاحقاً إن هيلينا رافعت لأجل المسيحية. كان لكل هؤلاء المؤلفين أجنداتهم الخاصة، لكن على أقل تقدير، من الواضح أن المسيحية كانت تعني الكثير بالنسبة لقسطنطين ، وكانت والدته تعني له الكثير (عاطفياً وسياسياً) إذا كان يهتم بانتمائها الديني.

Strauss,B.,Op.Cit.p.276

إلا أنه على ما يبدو لم يحاول ترسيخ المسيحية كدين رسمي للإمبراطورية بالقوة ، مع انه يُنظر إليه على أنه أول قائد يؤسس مبادئ عامة للتسامح الديني فعلي، مما يسمح لكل إنسان أن يعبد إلهه أو آلهته وفقاً لـرغباته ، يبدو أن قسطنطين خلص إلى أن التسامح مع الدين المسيحي كان سياسة أفضل من الاعتداء على الكنيسة المسيحية ، خاصة وانه حصل على الخدمة المسيحية للدولة الرومانية عكس أسلافه الذين تسببوا فقط في فوضى دموية في المجتمع الروماني، ربما كان قسطنطين قد واجه مسيحيين في الجيش قبل الاضطهاد ، وحكم عليهم بأنهم رجال شجعان ومشرفون يمكن الاعتماد عليهم في ترسيخ أركان حكمه وسيطرته.¹

أدرك أيضا أن أساس القوة العسكرية هي للجيش ما يستوجب إلغاء وحدات سلاح الفرسان النخبوية وحل الحرس الإمبراطوري أخيراً أو ما بقي منه منذ أن تعرض الحرس لخسائر فادحة في معركة ميلفيان،² خوفاً من الانقلاب والتمرد العسكري ، في مناورة سياسية منه حتمت عليه مهادنة المسيحيين ، وكسبا لهم ، خاصة وأنه كان مدركا لحجم نفوذهم الذي وصلوا إليه وكذا خطر تعدد الجبهات على حكمه.

5-2 مرسوم ميلان 313م وانعكاساته على المسيحية

بعد مرسوم ميلان عام 313م ، أصبحت المسيحية ديناً مسموحاً به،مثل باقي العقائد الأخرى في الإمبراطورية قانونياً³ ورغم صياغة بنود مرسوم ميلان رغم أن قسطنطين ظل يحتفظ بلقب الكاهن الأعظم و الحامي الرسمي للوثنية ؛على الرغم من أنه يبدو أنه يميل أكثر فأكثر نحو المسيحية ، إلا أنه لم يتخلّ عن الوثنية أو يحاول محاربتها،بل عند وفاته ، تم تأليهه وتسجيله بين الإلهة من قبل مجلس الشيوخ الروماني ضمن القائمة التنظيمية لمن سبقه في الحكم ومع أسلافه الوثنيين.⁴

¹Odahl,Ch.,Op.Cit ,p.73.

²Strauss,B.,Op.Cit.p.282.

³ Odahl,Ch.,Op.Cit.p.103

⁴ Pharr,C.,Op.Cit.p.58.

أراد قسطنطين أن يوحد الإمبراطورية سياسياً وثقافياً واقتصادياً ولعله في تعاطفه مع المسيحية قصد أن يتخذ من هذا الدين عاملاً من عوامل هذه الوحدة،¹ علم قسطنطين أن وحدة الإمبراطورية من وحدة المسيحية ولكي تكون المسيحية عاملاً من عوامل الوحدة لا مناص من أن تكون الكنيسة واحدة خالية من بواعث الانشقاق والتفرقة.²

هذا الهدف نجح أبناء قسطنطين على ما يبدو في تحقيقه، خاصة وأنهم تلقوا تعليمًا على يد معلمين مسيحيين، انعكس في اعتناقهم جميعًا للمسيحية، واستمر هؤلاء في نهجه الديني إلى أبعد حد، لكنهم افتقروا إلى روحه الواسعة من التسامح بين الديانات وأصبحوا متحمسين ومتحيزين بشدة، وعملوا بالمقابل على قمع الوثنية بالكامل.³ من ناحية أخرى، كان الأباطرة اللاحقين حريصين على التأكيد بقوة وبشكل متكرر على أنهم لم يفكروا بأي شكل من الأشكال في تقييد الحرية الدينية وحقوق الوثنيين، الذين ما زالوا يشكلون الغالبية بالنظر إلى مشاعر الكراهية والازدراء الفائقة التي نظر بها الوثنيون إلى المسيحيين،⁴ والتي استمرت لعدة قرون لاحقة وأثرت في تكوين المسيحية وزادت من عمق خلافاتها وانشقاقاتها، وكانت بدايتها في عهد قسطنطين نفسه سواء من خلال الخلاف الأريوسي أو الصراع الدوناتي الكاثوليكي.

تحولت المسيحية من ضحية الاضطهاد الكبير إلى الدين الإمبراطوري المحمي والمعترف به قانونياً، ويبرز هنا النمط الروماني في التأقلم والتكيف ذلك أن الأباطرة الرومان في الغالب كانوا "براغماتيين" بدءًا من نموذج أغسطس إلى نموذج قسطنطين، لقد نجوا من خلال تبني التغيير في الحفاظ على ما استطاعوا من سلطتهم وتراثهم.⁵ إننا حين نتبع حدود الانتشار المسيحي ومداه، ندرك أن الدولة الرومانية تركت المسيحية مساحات كبيرة من الحرية كون الاضطهاد المطبق عليها كان متقطعًا ومحليًا، باستثناء، فترات بعض الأباطرة،

¹ حبيب سعيد، تاريخ المسيحية فجر المسيحية، دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية، مصر، ص 146.

² نفسه، ص 146.

³ Pharr, C., Op. Cit. p. 58.

⁴ Betten, S.F., Op. Cit. p. 194 .

⁵ Strauss, B., Op. Cit. p. 292.

الذين كانوا يواجهون أصلا سلسلة من الاضطرابات السياسية والطبيعية والاقتصادية، فضلا عن زيادة الحمل المسيحي الديني الا انه سرعان ما عاد التسامح الفعلي.

ركزت المسيحية نشاطها على مستوى السلطة باختراق الطبقات العليا المرموقة وذات الأهمية مثل طبقة السيناتوسين وحاولت استمالة أصحاب النفوذ و القرار السياسي ونجحت في تغيير موقف الإمبراطور نفسه ثم توجهت نحو المجتمع الذي شهد تقديم العطايا والمساعدات والتكافل بالمعوزين الوثنيين، وبرع المسيحيون في رسم صور البذل والدعم والتضامن ما سهل إعادة تشكيل صورة الفئة البغيضة والعدائية في نظر الوثنيين، أو خفض من حدتها على أقصى تقدير. لقد عبرت المسيحية إلى حد كبير إلى طبقة الأثرياء والمثقفين وحتى أن الجنود الرومان بدعوا في التحول لها رغم كونهم أقلية متركزة في شرق الإمبراطورية بالدرجة الأولى وشمال أفريقيا ثانيا، وتشير الإحصائيات إلى أنهم شكلوا ربما عشرة في المائة من إجمالي سكان الإمبراطورية.¹

¹ Strauss,B.,Op.Cit.p.262.

الفصل الرابع : انعكاسات الصراع الوثني المسيحي على بلاد المغرب القديم

1- ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم

1-1 عوامل الانتشار المسيحي في بلاد المغرب القديم

1-1-1 نشاط الرسل و حركة الدعوة المسيحية

1-1-2 التجمعات السكانية اليهودية ودورها في نشر المسيحية

1-1-3 دور الطرق والمواصلات في تسهيل الانتشار المسيحي

2- الاضطهاد الديني في بلاد المغرب القديم

1-2 الاضطهادات الدينية لمسيحيي بلاد المغرب القديم

3- بروز الحركة الدوناتية في بلاد المغرب القديم

1-3 الخلفيات الاجتماعية لظهور الحركة الدوناتية

2-3 عوامل قيام الحركة الدوناتية

3-3 أحداث شهداء ابتيينا (Abitina)

4- تطور الحركة الدوناتية 312-397م

1-4 انقسام الكنيسة الإفريقية والصراع الدوناتى الكاثوليكي

2-4 موقف الإمبراطور قسطنطين من الانشقاق الكنسي 312-337م

3-4 سياسة الإمبراطور قنسطانطيوس تجاه الدوناتيين 337-361م

4-4 الخلاف الدوناتى الدوناتى 362-397م

5- الدوناتية وعلاقتها بحركة الدوارين

1-5 ظهور حركة الدواريين في بلاد المغرب القديم 330-347م

5-2 تطور حركة الدواريين وتحالفها مع الدوناتيين 347-412م

6- الحركة الدوناتية وعلاقتها بثورتي فيرموس (Firmus) وجيلدون (Gildon)

6-1 ثورة فيرموس (Firmus) 372-375م

6-2 ثورة جيلدون (Gildon) 396-398م

1- ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم

شكلت بلاد المغرب القديم¹ مسرحا لنشاط الإنساني منذ أقدم العصور، باعتبارها أحد أبرز قارات العالم القديم وأولى مراكز النشاط الإنساني، كنتيجة لموقعها الجغرافي الذي جعلها عرضت لكل التأثيرات الخارجية وبالمقابل مؤثرة أيضا، وقد وفق الجغرافيون والمؤرخون القدامى إلى حد ما في إعطاء الإطار الجغرافي للمنطقة بما يتفق مع المعطيات المتوفرة لديهم، من هيرودوت² إلى غاية المؤرخين الرومان³، وسقوط المنطقة تحت حكم دولتهم.

يظهر الإطار المكاني للمغرب القديم بناء على الجغرافية الحديثة في شكل رباعي غير منتظم، يتميز الحد الشمالي لهذا الرباعي بجبال الأطلس⁴، ويحد هذا الإقليم من الناحية الشرقية مصر وفي ذات الوقت الحد الغربي للمحيط الأطلسي وشمالا البحر الأبيض المتوسط، وجنوبا الصحراء الكبرى⁵، أما فلكيا فتمتد المنطقة بين خطي 18° 38° شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 25° شرقا و 17° غرب خط غرينتش ما يجعلها تكون في نطاق المنطقة المعتدلة.⁶

¹ أختلف الدارسون والمختصون في التاريخ القديم على ضبط مصطلح محدد يخص منطقة المغرب القديم والمجتمع القاطن فيه، ونتيجة لذلك فقد برزت عدة آراء وتسميات تعطي الدلالة الجغرافية للمنطقة، منها ليبيا وأفريقيا وبلاد البربر. محمد مصطفى بازمة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، مكتبة قورينا، ليبيا، 1963، ص 59.

² هيرودوت: أشهر مؤرخي الإغريق ولد بماليكارناس حوالي 484 ق.م، طاف العالم لمدة 17 عاما واستقر بأثينا، وقد تحدث عن في كتابه الرابع عن حدود ليبيا وأصل سكانها، و أعطى وصفا لجغرافية بلاد المغرب القديم والتي تمتد من غرب مصر إلى رأس أعمدة هرقل. علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط2، طرابلس، 1975، ص 46.

³ بلينيوس الأقدم: Plin L'ancien 23-79 م وهو مؤرخ روماني مشهور استند إلى مؤلفه الشهير والمعروف تحت عنوان تاريخ الطبيعي (Histoire Naturelle) وصف بإسهاب المنطقة المغاربية وسكانها ووصفها بأنها المنطقة المحصورة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي، إلى أعمدة هرقل. مصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، المغرب، 1993، ص 67.

⁴ شارل اندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تر محمد الزالي، البشير بن سلامة، ط 5، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص 12.

⁵ Mercier, E, Histoire De L'afrique Septentrionl, Hachette , Paris,2017, p.9.

⁶ محمد صغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، الجزائر، 2003، ص 9.

شهدت بلاد المغرب القديم بداية التدخل الروماني في شؤونها منذ وفاة الملك ماسينيسا (Massinissa) سنة 148 ق م وما خلفه من تنازع على الحكم بين أبنائه¹ ، ولقد اتسمت السياسة الرومانية في احتلال بلاد المغرب القديم بالتدرج والمرحلية منذ 146 ق.م إلى غاية 40 للميلاد ولتبلغ أقصى اتساعها في عهد الأسرة السيفيرية خلال القرن الثالث للميلاد²، وقد جوبه الاحتلال الروماني للمنطقة بثورات وانتفاضات غير منقطعة عبرت عن روح الرفض والمقاومة المتأصلة.

1-1 عوامل الانتشار المسيحي في بلاد المغرب القديم

يرجح أن أفريقيا ومن ثم بلاد المغرب القديم عرفت المسيحية منذ العهود الأولى و أن هذا الانتشار يعود في رأينا إلى ثلاث عوامل رئيسية متمثلة في الحركة الدعوية منذ العهد الرسولي. و دور المراكز السكانية اليهودية خارج فلسطين ثم حركية الأفراد، نتيجة توفر وسائل التنقل و المواصلات بين أرجاء الإمبراطورية الرومانية .

1-1-1 نشاط الرسل و حركة الدعوة المسيحية

يعتقد ترتليان في تفسيره للتوسع المسيحي أن الكنيسة الإفريقية قد لا تكون تأسست على يد رسول ، إلا أنه على ما يبدو وطبقا للتقليد الأفريقي المسيحي ، أن بعض الأفارقة كانوا حاضرين في القدس عندما أُعطي الرسل عظاتهم في يوم الخمسين³.

تشير الأدبيات المسيحية الأولى أن مرقس ذهب إلى شمال أفريقيا في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح ، فوجد في مصر أرضا خصبة لدعوته⁴ و اتخذها مركزا للتبشير ثم انطلق منها إلى روما وأفريقيا لنشر ديانته ، إلا أن مصر ظلت مركزه حتى قبض عليه الوثنيون

¹ Gsell ,S., H.A.A.N. T5,Hachette, Paris,2014,p.305

² شارل اندري جوليان ،المرجع السابق، ص270.

³ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.56.

⁴ لم تعلن أورشليم أو أنطاكية أو الإسكندرية عن الإنجيل في إفريقيا في وقت الوعظ الرسولي المبكر .

Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.58.

الرومانيون ، وقتلوه عام 12 م.¹ أما القديس بولس فاتخذ من البحر الأبيض المتوسط طريقاً² نحو روما ومن ثم اسبانيا.³

1-1-2 التجمعات السكانية اليهودية ودورها في نشر المسيحية

يعتقد أن اليهود كان لهم تواجد قديم في شمال أفريقيا ، بين القبائل المحلية في طرابلس وأماكن أخرى في حين أن المؤرخ مونسو (Monceaux)نسب تهويد الأمازيغ في الجبال والصحاري إلى اللاجئين اليهود الفارين من الاضطهاد في فلسطين خلال القرن الأول للميلاد.⁴ وان كان تواجدهم أقدم بكثير من القرن الأول للميلاد بدءاً بهروب اليهود المتعاطفين من اليهودية إلى مصر وقورينا بعد استيلاء تيتوس على القدس ؛ ساعد هؤلاء اللاجئين في إثارة الانتفاضات ضد روما في برقة في أوائل السبعينيات ومرة أخرى في عهد تراجان في 115م ، وأدى قمع هذه الانتفاضات إلى هروب اليهود المتشددين من نفس النوع نحو الغرب أي نحو تونس والجزائر حالياً وإلى مناطق نائية في الداخل ، ما أدى إلى تهويد الأمازيغ على نطاق واسع.⁵

إن الجاليات اليهودية في أفريقيا ضمن العناصر التي ربما لعبت دوراً في اختراق الإيمان المسيحي في هذه الأراضي. من المحتمل جداً أن المعابد اليهودية في أفريقيا كانت بمثابة مراكز للإنجيل مثل أي مكان آخر في الإمبراطورية، يبدو دورهم في أي حال أكثر معقولة في انتشار المسيحية في أفريقيا.⁶

¹ متولي يوسف شلبي، المرجع السابق، ص42.

² من الغريب أن نجد حركة التبشير متوجهة نحو أقصى الشرق كما أسلفنا الذكر ولا نجدها متوجهة غرباً ، ثم أن الروايات التي تقر بتوجه بولس إلى اسبانيا بعد روما ، تدعو للاستفهام عن وضعية بلاد المغرب القديم من التبشير المسيحي في القرن الأول للميلاد .

³ Schaff ,Ph., Op.Cit.p.122.

⁴ هناك إمكانية أن يكون الهاربون من الاضطهاد النيروني في روما قد جلبوا المسيحية إلى قرطاج .

Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.56.

⁵ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.67.

⁶ Leveils,X.,Op.Cit.p.118.

1-1-3 دور الطرق والمواصلات في تسهيل الانتشار المسيحي

خلال القرون المسيحية الأولى ، لعبت المواصلات عبر البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر دوراً أساسياً في حركة التبشير و كان للنظام الواسع النطاق من المواصلات بين أرجائه دور في ذلك، وسمح بتوفير الأفكار تماما مثلما توفرت السلع ، و شهدت موانئ الساحل الشمالي المزدهمة مثل قرطاج (Carthage) و(هييون وحضرموت) (Hippo Regius) (Hadrumetum)¹ وغيرها وصول المسيحيين ، من مصر واليونان وصقلية وروما.²

وجد علماء الآثار حوالي 29 ميناء في شماء أفريقيا غير مصر³ منذ منتصف القرن الثاني ، حيث استطاعت روما أيضاً أن تفرض سلطتها على شمال أفريقيا، ما مكن السفن الشراعية أن تقطع المسافة من قرطاج إلى روما بين ثلاثة وأربعة أيام ،⁴ كما كانت مدن شمال أفريقيا مصدر ومخزن حبوب روما ما اضطرها للحفاظ على استمرارية إمدادها والمحافظة على استمرارية النقل والتجارة وتوفير الأمن لطرق مواصلتها ، ما انعكس على حركية التنقل من وإلى تلك المدن الساحلية ولذلك ليس من المستغرب أنه في نهاية القرن الثاني ، نجد أولى الكنائس المسيحية وجدت على الساحل الشمالي لأفريقيا لأول مرة.⁵

ينحو بعض الباحثين في هذا السياق إلى التقليل من شأن التغلغل المسيحي في المغرب، فيقول حسين مؤنس إن مؤرخي المسيحية بصورة عامة ومؤرخي الدولة البيزنطية بصفة خاصة يبالغون في تصوير مدى انتشار المسيحية في أفريقيا، معتمدين على القديس أوغسطين (

¹ مدينة هييون هي عناية حالياً أما حضرموت فهي مدينة سوسة بتونس حالياً .

² ، يبدو أن القديس أوغسطينوس قد تصور انتشار الإنجيل قادم من الشرق إلى إفريقيا. ويشير أن المسيحية دخلت أفريقيا عبر إيطاليا 43. حيث جاء الإنجيل إلى قرطاج . Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.58.

³ محمد كاكي ، " ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها" ،مجلة دراسات وابحاث ،المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية،المجلد 4 ، العدد2 ، أبريل 2022،ص 674.

⁴ ، يبدو أن القديس أوغسطينوس قد تصور انتشار الإنجيل قادم من الشرق إلى إفريقيا. ويشير أن المسيحية دخلت أفريقيا عبر إيطاليا 43. حيث جاء الإنجيل إلى قرطاج . Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.58.

⁵ Sundkler,B., Steed. Ch., A History Of The Church In Africa , Cambridge University Press, Uk,2004,p.21.

الذي كان يعيش في بيئة مسيحية لاتينية صرفة بعيدا عن أهل البلاد² ، بل ويمثل طبقة ارسقراطية نخبوية افريقية استفادت من كل امتيازات الدولة الرومانية التي عنت بتكوين طبقة موالية لها، من خلال سياسة الرومنة حيث كانت سياسة الأباطرة الرومان موجهة لطبقة الارستقراطيين الأفارقة لتشجيعهم على الاندماج³.

إن مسألة عمق إيمان سكان المغرب القديم بالمسيحية ليس إلا مجرد انطباع لا سبيل إلى دعمه بالأرقام، إذ ليس هناك وثائق تثبت الوقائع التي سقط فيها العدد الكبير من الشهداء والمتمردين المسيحيين أثناء الاضطهادات حيث أن كل ما يمكن استخلاصه من أخبار الشهداء ومحاضر المجامع الكنسية هو الاستدلال على أماكن الانتشار لا عن أعدادها ومعتقها و قد تدل على ثروة من تبرع بتشبيدها، والذي ربما كان مستقرا خارج أفريقيا⁴.

إلا أنه ليس بالضرورة أيضا أن نصل إلى تهميش حجم الانتشار المسيحي في شمال أفريقيا فالكنائس المنتشرة على كل المنطقة وان قلة فهي تشكل في طبيعتها نواة المجتمع المسيحي وليس دورا للعبادة فقط فما تعكسه الكنيسة في القرون الأولى من المسيحية هو نواة المجتمع بحد ذاته ونظام كنسي وكهنوتي قائم بذاته ترسم بترابطها على طول انتشارها حدود المجتمع المسيحي القائم.

كانت الكنائس الإفريقية أول من وضع نموذج لطريقة الوصول إلى حل واتفاق في حال الاختلافات التفسير الكتابي في المسيحية، وطرق تسير المجامع المسكونية ، لذا ترسخت هذه الكنائس قبل قرن من مجمع نيقية بشكل تام في المجتمع الإفريقي بل ووقفت في وجه السلطة

¹ القديس أغسطين أحد أشهر رجال الكنيسة الأفريقية وأسقف كنيسة قرطاج ، ولد في نوميديا سنة 354م وتوفي في سنة 430 م لأتقن اللغة اللاتينية ودرس في ميلان وروما وتعرف على الثقافة اليونانية والرومانية لم يعتنق المسيحية في بداية حياته وتقلب بين مختلف التيارات الفلسفية وأبرزها المانوية ، ثم تحول الى المسيحية في سنة التاسعة عشر ليصبح من أهم الكتاب واللاهوتيين المسيحيين وزعيم للكنيسة المسيحية الكاثوليكية في نوميديا ، Di Berardino,A.,Op.Cit.p.292. ²حسين مؤنس ،تاريخ المغرب وحضارته ، ط 1 ،م1، 1990 ، الدار السعودية ، جدة ،ص 66 .

³ حميدة نشنش، "سياسة روما الثقافية وأثرها في بلدان المغرب القديم"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 9، العدد2، 2021، ص 21.

⁴حسين مؤنس ،المرجع السابق،ص66.

والمجتمع الوثني ووضعت برتوكولاتها،¹ لذلك لم يكن العدد يعكس بالضرورة حجم الانتشار وقوته ، فالكنيسة عبر مراحل تطورها في أفريقيا أصبحت دولة داخل الدولة فكلما انحل عقد الدولة الرومانية قوي عقد الكنيسة والمسيحية .²

2- الاضطهاد الديني في بلاد المغرب القديم

1-2 الاضطهادات الدينية لمسيحيي بلاد المغرب القديم

قام المسيحيون بالتبشير في المعابد اليهودية في قرطاج وأماكن أخرى ، تمامًا كما كانت بدايات المسيحية في روما في المجتمعات اليهودية، في البداية كان من الممكن أن يعيش أتباع المسيحية من اليهود بسلام مع اليهود غير المسيحيين ، كما قد توحى مدافن جامارت (Gamart) المسيحية ؛ لقد تطورت المجتمعات المسيحية بشكل منفصل في شمال أفريقيا ،³ كنتيجة لهذا التطور ظهرت نواة مسيحية محلية من الرجال والنساء واجهوا بدايات الاضطهاد من أجل الإيمان المسيحي و تشير إلى ذلك بعض الوثائق التاريخية الأولى للكنيسة بمجموعة من المسيحيين من سليوم في نوميديا⁴الذين قُتلوا في الأول من أوت 180م⁵، لتكون بداية سلسلة الاضطهادات العنيفة التي ضربت بلاد المغرب القديم وما اصحبه من اتساع دائرة التنصر.⁶

شهد ترتليان ازدهار المجتمعات المسيحية واليهودية في نهاية القرن الثاني أن الديانة المسيحية تغلغت بين السكان المحليين في المدن و الأرياف والمعسكرات حيث يقول : نحن لم نخلق إلا بالأمس ونحن نملئ كل مكان مدنكم وجزركم ضيعاكم معسكراتكم ومجلس الشيوخ

¹ توماس اودن، كيف شكلت افريقيا العقل المسيحي، تر نكلس نسيم سلامة، دار النشر الأسقفية، مصر ، 2009، ص48.

² م رستوفتريف، المرجع السابق، ص 608 .

³ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.58.

⁴ يرجح أنها القالة حاليا

⁵ Sundkler,B., Steed. Ch.,Op.Cit.p.21.

⁶ Rothschild,C.,Schroter,J.,Op.Cit.p.53.

والفروم نحن لم نترك لكم إلا معابدكم¹ ، كما تطورت الكنيسة التي أضحت كاملة التكوين ، من رجال دين وأساقفة ، وكهنة ، وشمامسة ، وقراء ومؤمنون و وعاض وتائبين ، يجتمعون بالترتيب المناسب في الكنيسة.²

يدل هذا على التطور الهرمي الذي عرفته الكنيسة المسيحية في المنطقة ، ويصف ترتليان الشهداء الذين سقطوا بالقول : أن دماهم كانت بذور للمسيحيين الجدد³ واستمرت سلسلة الاضطهادات حيث نشهد بين سنتي 211م- 213 م محاكمات للمسيحيين في نوميديا وموريطانيا، واحتفظت قوائم الشهداء بمقتل بالعديد من الضحايا كما هرب بعض المسيحيين من الإعدام إما برشوة الجلادين أو بالفرار ومنهم روتيليوس (Rutilius) الذي أرشى جلاده، ليفر من عقوبة الموت إلا أنه لم يفلح.⁴

عانى المسيحيون في بلاد المغرب القديم من كل صنوف التعذيب الذي تفنن فيه الرومان والوثنيين وبلغ بهم الأمر أن أحرقوا المسيحيين يخبرنا ترتليان أن : " المسيحيين هاجمهم الجمهور، كونهم العدو، بالحجارة والنار وموتاهم لا يدفنون بل يمزقون .⁵

صدر مرسوم سنة 250م ينص على تخلي المسيحيين عن كل عقائدهم الباطلة بالنسبة للسلطة ، وأن يساهموا في الاحتفالات الرسمية الوثنية، وشهدت مناطق مثل البروقنصلية ونوميديا حملات اعتقال راح ضحيتها كيلونيوس (Cellennius) وبعض رفاقه و قدموا للمحاكمة، و صدر فيهم حكم الإعدام بعد إصرارهم على مسيحتهم وذلك في الثالث فيفري 205م.⁶ وبعد مرسوم ميلانو أصبحت المسيحية ديناً معترفاً به قانونياً به في بلاد المغرب

¹ Tertullian, Apologeticum, Chapter 37, Perseus Digital Library, Tufts University.

² Rothschild, C., Schroter, J., Op. Cit. p. 53.

³ Tertullian, Apologeticum, Chapter 50, Section 12, Perseus Digital Library, Tufts University.

⁴ Monceaux, P., H.L.A.CH. T 1, Paris, 1901, p. 46.

⁵ Tertullian, Apologeticum, Chapter 37, Section 2, Perseus Digital Library, Tufts University.

⁶ عمران عبد الحميد ،الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور 180-430م، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011، ص 111.

القديم مثل سائر مناطق الإمبراطورية ، و أن العبادة المسيحية هي عبارة عن طائفة دينية داخل الإمبراطورية الرومانية، والكنيسة المسيحية كيانات تنظيمية تتمتع بسلطة قضائية لعقد الملكية الجماعية بموجب القانون الروماني ، والمسيحيين المؤمنين كمجموعة دينية محمية تتمتع بحق غير معوق لعبادة إلههم في المجتمع الروماني.¹

وهو ما يعني أنها لم تعد تخضع لأي نوع من المتابعة القضائية ولا من الاضطهاد،² أصدر قسطنطين لاحقاً مراسيم كثيرة تخص المسيحيين والمسيحية.³ واتخذ إجراءات كثيرة كان أولها إعفاء رجال الدين من الضرائب التي يفرضها القانون الروماني على غير المتزوجين، لقد أمر بتقديس يوم الأحد، وأعطى الكنائس صراحة حق التملك عن طريق الوصية و قدم قساوسة عسكريين؛ كان على كل فيلق أن يكون لديه عدد معين من رجال الدين وخيمة كبيرة لتكون بمثابة كنيسة في المخيم أصدر قوانين لحماية النساء والأطفال والعبيد، رغم أنه في هذه النقاط لم يجرؤ على الذهاب إلى أبعد مما تتطلبه الشريعة الأخلاقية للكنيسة،⁴ والتي كانت ضرورية لإزالة القيود على المسيحية ووضعها على قدم المساواة مع الديانات الأخرى للإمبراطورية.⁵

حاول قسطنطين الالتفاف على مخرجات مرسوم ميلان حيث أن المراسيم الصادرة في حق بعض الفرق اعتبر خروجاً على السياسة التي تم عليها الاتفاق في ميلانو عام 313م،⁶ في محاولة منه لإحكام سيطرته على المسيحية بعد أن تحولت روما بسرعة احتواء المسيحية وقلبت سياستها بسرعة حيث تفتنت لقوة الديانة الجديدة واتخذتها ديناً رسمياً ليصبح دين الدولة

¹ Odahl, Ch., Op. Cit. p. 103.

² Pharr, C., Op. Cit. p. 58.

³ أصدر قسطنطين مرسومين ضد بعض الفرق المسيحية التي تتهمها الكنيسة بالهرطقة خشية الوقوع في الإنقسام الديني الذي يهدد وحدة الإمبراطورية. احمد ساحلي، إصلاحات قسطنطين الأول الدينية والسياسية في أوروبا 306-337م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، 2014-2015، ص71.

⁴ Betten, S.F., Op. Cit. p. 196.

⁵ Pharr, C., Op. Cit. p. 58.

⁶ احمد ساحلي، المرجع السابق، ص72.

الذي تسهر عليه البلديات ، وأصبح النشاط الديني من مهام الكبرى للمجلس البلدي و ثم راح أعيان البلدة يتسابقون لاعتداء مناصب دينيه في السلم الكنسي للتزلف للإمبراطور حامي المسيحية الأول في البلاد.¹

3- بروز الحركة الدوناتية في بلاد المغرب القديم

3-1 الخلفيات الاجتماعية لظهور الحركة الدوناتية

ان فهم منطلقات الحركة الدوناتية² يقتضي العودة إلى روافدها وخلفياتها المختلفة ، حيث أن التركيبة الاجتماعية والظروف الاقتصادية فضلا عن سياسة السلطة الرومانية كلها لعبت دورا في رسم سمات ومنطلقات الحركة الدوناتية والتي شكلت انشقاقا أفريقيا خالصا وظلت لأكثر من قرن محور الحياة المسيحية في أفريقيا ودخلت تحتها كل أشكال الثورات السياسية والاجتماعية . على الرغم من أن الصراع الدوناتي في بدايته كان انشقاقا دينيا محليا ، إلا أنه كان له نتائج مهمة على الكنيسة الكاثوليكية ، خاصة فيما يتعلق بعقيدة سر المعمودية ، واستقبال المنشقين والزنادقة ، وإكراه غير الكاثوليك.³

كانت الحالة الاجتماعية في بلاد المغرب القديم تعرف تدهورا كبيرا بسبب وقوع المنطقة تحت الاحتلال الروماني ما خلف شروخا اجتماعية كبرى، حيث استطاع تكريس طبقة مجتمعية من خلال خلق طبقات منفصلة عن بعضها، لتكون الطبقة الارستقراطية هي الطبقة الحاكمة والمتنفذة في كل المجالات على حساب الطبقات الدنيا الكادحة من المجتمع والتي تعاني كل صنوف الاضطهاد والظلم والتمييز

¹ محمد البشير شنيطي ،أضواء على تاريخ الجزائر القديم ، دار الحكمة،الجزائر،ص 57-58.

² الدوناتية نسبة الى "دوناتوس الكبير " زعيم الحركة وأهم قادتها و ظهرت في افريقيا خلال القرن الرابع للميلاد و استمرت الى غاية القرن الخامس للميلاد .

³ Beaver , R., "the Donatist Circumcellions " , American Society Of Church History , Cambridge University Press , Vol 4, N 2 Jun1935,p.123.

الملاحظ من الحالة الاجتماعية في بلاد المغرب القديم هو ارتباطها الوثيق بالحالة الاقتصادية الخاضعة للنفوذ الروماني والاستغلال المريع لكل خيرات البلاد، حيث طبقت روما سياسة استعمارية تقوم بالدرجة الأولى على مصادرة الأراضي الفلاحية من خلال الاستيلاء عليها وخاصة تلك الموجهة للرعي وتحويل الملاك إلى مؤجرين ثم فرض السخرة¹، في جملة من الممارسات الاستعمارية تذكرنا بالسياسات الفرنسية أيام الاحتلال، وقد قسمت روما الأراضي في أفريقيا إلى قسمين الأول الصالحة للزراعة والثاني الأراضي غير النافعة²، وبطبيعة الحال كانت الأراضي النافعة من حيث المردود والإنتاج والموقع للدولة وكل من يدخل في دائرتها، أما النوع الثاني فقد تركت لسكان البلاد.

شكلت تلك الخلفيات أرضية وحاضنة خصبة لبروز الصدام الطبقي بين فئات المجتمع، كرسته السياسة الاستعمارية الرومانية طيلة ثلاثة قرون من الاحتلال ومع ظهور المسيحية وانتشارها في صفوف الأهالي اصطبغت المسيحية بالصبغة الاجتماعية باعتبارها ديانة للضعفاء والمضطهدين خاصة وأن السلطة الرومانية في بدايتها كانت ترى في اعتناق المسيحية تمردا عليها ما زاد من عنفوان انتشارها وتغلغلها في صورة الديانة المضادة لديانة الدولة الرسمية، ومع تحول السلطة الرومانية زمن قسطنطين إلى المسيحية وبروز التسامح الديني كسياسة إمبراطورية تجاه مختلف الأديان وُلد هذا الانقسام الدوناتي مستمدا قوته من الحالة النفسية والسياسية، وخاصة في الحالة الاجتماعية للمنطقة وبالتالي سلب أفريقيا نصيبها الكامل من فوائد العلاقات الجديدة بين الكنيسة والدولة.³

2-3 عوامل قيام الحركة الدوناتية

ساهم الإمبراطور دقليانوس في تفتيت الصف المسيحي في بلاد المغرب القديم من خلال محاولته قمع كل معتنق للديانة الجديدة داخل حدود الإمبراطورية، وبالتحديد عبر مؤسسة الجيش التي تم تطهيرها من المنتسبين إلى المسيحية، وترسيخه عبادة الإمبراطور، وأصدر أوامره إلى الجيش بوجوب التزام كل عناصره باعتناق الديانة الوثنية دون استثناء

¹ محمد كاكي، المرجع السابق، ص 667.

² نفسه، ص 668.

³ Beaver, R., Op.Cit.p.123.

وقد أقدم المسيحيون على خطوة تصعيدية في اتجاه معاكس لما قام به الإمبراطور دقليانوس حيث يقول في هذا السياق ترتليان: " إن المسيحي لا يدخل الجيش ولا يمكن أن يكون جندياً، وإذا اعتنق جندي الدين المسيحي فإن خير ما يمكن أن يفعله هو الفرار. " ¹ ، واعتبر هذا التصرف بمثابة إعلان حرب من المسيحيين ، على أوامر السلطة. ² ما زاد من عنف الحملة الاضطهادية و عمق الخلاف بين المسيحيين والدولة ³ ، ركز دقليانوس سياسته على اجتثاث المسيحية بشكل جذري مستخدماً كل الأساليب من مصادرة ممتلكات ، هدم كنائس ، حرق الكتب المقدسة ، اعتقال أساقفة. ⁴ واستهداف الرؤوس المسيحية البارزة والمؤثرة وتجريدهم من تراثهم المعنوي والمادي. ⁵

كتب المؤرخون المسيحيون ومنهم المؤرخ يوسابيوس القيصري (Eusebius of Caesarea) ⁶ عن ضحايا حركة دقليانوس الاضطهادية حيث يقول أن عدد الضحايا بلغ حوالي مئة وأربعين ألف قتيل ذهبوا ضحية الحرق والإعدام في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية وهو ما اتخذته الكنيسة القبطية في مصر بداية للتأريخ الكنسي القبطي فيها وإحياء لذكرى اضطهادات دقليانوس الروماني. ⁷

¹ ترتليان نقلا عن: شارل أندري جوليان ، المرجع السابق، ص287.

² اعتبر تمرداً في نظر السلطة لا مسألة دينية Hoover, J.A., The Contours Of Donatism: Theological And Ideological Diversity In Fourthcentury North Africa Mentor, A Thesis Approved By The Department Of Religion, 2008, p.36.

³ Lancel, S., A.A.M.ST.A. Place Des Victoires ,Paris, 2014, p.145.

⁴ Meslin, M., Hadot, P., "a Propos Du Donatisme", Archives De Sociologie Des Religions , N 4 , Dec 1957, p.143.

⁵ Hoover, J.A., Op.Cit. p.69.

⁶ يوسابيوس القيصري ولد في قيصرية سنة 265م تلقى تعليمه فيها وفر من الاضطهاد المطبق على المسيحيين في عهد دقليانوس الى مدينة صور ثم منها إلى صحراء مصر وألقي عليه القبض وسجن ، عين لاحقاً أسقفاً على قيصرية سنة 313م وأعتنق أفكار أريوس في مجمع أنطاكية 352م وشارك في مجمع نيقية في ماي 352 م له العديد من المؤلفات منها تاريخ الكنيسة وموسوعة الكنيسة الأولى . فرج عادل عبد المسيح ، موسوعة آباء الكنيسة ، ج3، القاهرة، 2001، ص102-106.

⁷ يوسابيوس القيصري نقلا عن : رؤوف شلبي ، أضواء على المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية ، لبنان ، 1975 ، ص28.

غير أن تلك الأرقام المبالغ فيها في عدد الضحايا المسيحية تبرز بشكل أكبر ظاهرة الارتداد عن المسيحية واعتناق ديانة الدولة الرسمية والوقوف في صفها في حربها ضد المرتدين المسيحيين¹ الذين اشترى صكوك الذبائح أو تظاهروا بتسليم الكتاب المقدس ، وان كان بعضهم سلموا الكتب الهرطقية إلى السلطات.²

3-3 أحداث شهداء ابتيينا (Abitina)

زادت قوة الاضطهاد وعدد الضحايا من عمق الخلاف في الصف المسيحي في أفريقيا ، ففي نوميديا تم تنفيذ مراسيم القمع وتهديد المسيحيين بالسجن أو القتل ما لم يقدموا القرابين للإمبراطور، وهدمت الكنائس المنتشرة في المدن النوميديية وحطم أثارها، وجمعت الكتب المقدسة وأحرقت وذلك في جوان من سنة 303 م وتبين وثائق الكنيسة أنه في أبتيينا³ تم اعتقال فندانوس (Fundanus) الأسقف المسؤول، والذي سلم بعد تهديده بعض من نسخ الكتاب المقدس للسلطة ، واعتبر بذلك خائنا في أعين المسيحيين ، ولذلك فإن أحد قساوسته ويسمى ساتورتينوس (Satominus) تخلى عن أتباعه وأخذ يقيم دعوته في بيوت رفقاءه ، حتى علمت به السلطات فقامت بمداهمته في أحد المنازل وألقت عليه القبض.⁴

إضافة إلى ثلاثين رجل وتسع نساء، كانوا مجتمعين في نفس المنزل و اعترفوا بعقدهم لاجتماعات محظورة، وأرسلوا إلى قرطاج في عهد أسقفها منصور يوس ، وكان معظمهم من

¹ يعقوب نخلة روفيلة ، تاريخ الأمة القبطية، ج1، مصر، 1975، ص104.

² Meslin, M., Hadot, P., Op. Cit. p.143.

³ أبتيينا (Avitinn/Abtina): تعود النقوش الأثرية وبعض تلميحات أغسطس للتأكيد أن أبتيينا تقع على الطريق الرابط بين قرطاج وتيفست على قرابة أربعة كيلومتر من (Membressa) في حوض نهر مجردة بالقرب من مدينة مجاز الباب حاليا بتونس ، التي شهدت استشهاد أرة وأربعين مسيحي أيام الاضطهاد وبالتحديد في 12 فيفري 304م وقد بقيت منطقة ابتيينا تخلد هؤلاء الشهداء عبر الأجيال إذ تسمى اليوم بـ شهود الباتن (Chouhoud El-Batin) أي شهداء أبتيينا (Martyrs D'abtina) . خديجة زموري، القديس أغسطس بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي ، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة 8 ماي قالمه ، 2017-2018، ص120.

⁴ عبد العالي الفيتوري، الإمبراطور قسطنطين والمسيحية 306-337، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة المرقب، ليبيا، 2008، ص 145.

العامة و الطبقات البسيطة في المجتمع من حرفيين وصناع¹، وهم الأقل تأثراً بالحضارة والثقافة الرومانية ، وفي قرطاج تم تعذيبهم وتعنيفهم إلا أنهم لم يتخلوا عن أفكارهم بل واصلوا الاجتماع داخل السجن نفسه و قرروا فيه إدانة وتجريم رجال الدين الخونة الذين سلموا نسخ الكتاب المقدس ، هذا ولم يعرف ما حل بهؤلاء السجناء ويشيع الدوناتيون أنهم تركوا في السجن ليموتوا جوعاً وقد اتهم كايكيليانوس الذين كان شماس منصور يوس بأنه منع الطعام عن هؤلاء المساجين لزيادة معاناتهم والتي وصلت حد الموت²، وهو ما يجعلنا نرجح كون مثل هذه الأحداث هي بداية لظهور الحركة الدوناتية في المنطقة .

تؤسس أحداث ابتيينا لفكرة التخاذل³ المسيحي التي ستعتبر أول مرتكزات الانشقاق في الصف المسيحي، ما يعني تخوين الطرف الكاثوليكي، الذي أصبح متعاوناً مع السلطة الرومانية الوثنية في قبل المسيحيين المؤمنين ،الذين أصدروا بيان ميثاق شهداء ابتيينا يدعون فيه إلى ضرورة الفصل بين الشهداء والمتخاذلين طالبين من كل المسيحيين الأظهار تطبيقه⁴ .

4- تطور الحركة الدوناتية 312-397م

1-4 انقسام الكنيسة الإفريقية والصراع الدوناتى الكاثوليكي

كانت الدوناتية أهم انشقاق في الكنيسة في الفترة السابقة ، قسمت بدورها كنائس شمال أفريقيا إلى معسكرين معاديين لمدة قرن كامل، لقد انتقلت الحركة الدوناتية ، من ساحة الجدل الديني إلى ساحة المعارضة السياسية وان كان اعتبارها معارضة سياسية ينفي عنها صفة الانفصالية عن جسم الدولة الرومانية لان الدوناتيين ، أرادوا أن يظلوا أسياداً في مناطقهم لتنظيم كنائسهم وحفظ معتقداتهم⁵ .

¹ محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، الجزائر ، 2008 ، ص 259.

² عبد العالي الفيتوري ، المرجع السابق ، ص 145.

³ Allard, P., P.D.T.E. T I, Iv Paris, 1900, p.263.

⁴ Ibid. p.261.

⁵ Mourret, F., Les Pères De L'église 1 Et 5 Siècles, Librairie Bloud Et Gay ,Paris ,1928, p.119.

نجحت السلطة الرومانية في توسيع الشرخ لدى الكنيسة المسيحية الإفريقية، التي انقسمت على خلفية اضطهاد منتسبيها لطرف كاثوليكي وطرف دوناتي وارتداد البعض الآخر، حالة الاضطراب هذه خلقت مشكلتين الأولى على الصعيد العقائدي والثانية على المستوى السياسي.

عقائدياً أمر المسيح بالمعمودية¹ و قال لتلاميذه : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس .² إن المعمودية المسيحية طقس راسخ يعتمد على التطهر بالماء، وكانت معروفة عند اليهود من قبل واستمرت المسيحية في ممارسة نفس الطقس بعد أن تبناه المسيح.

لم يترك الرومان واليونان ميولاتهم إلى الديانات الحافلة بالطقوس والاحتفالات مثل مراسيم التعميد ذات الأصول اليهودية التي تبناها المسيحيون فيما بعد ، حيث تدور فكرة التعميد حول إتمام عملية التحول إلى المسيحية كعمل إيماني ، يكفي فيه المعتمد أن يشهد بأن المصلوب هو المسيح،³ وهو الأثر الذي يلمس في الممارسات المسيحية المتأثرة بالخلفيات الوثنية لها .

توقف عملية الاضطهاد الديني جعل الكنيسة في مواجهة مشكلة الخونة (Traditores) وهم الذين اظهروا ضعفهم أمام السلطة وقاموا بتسليم الكتاب المقدس إلى السلطات الرومانية،⁴ واعتبروا بذلك مرتدين عن المسيحية .

مع تراجع حدة الاضطهاد حاول العديد من المرتدين (Lapsi) الرجوع للمسيحية،⁵ ما فتح المجال لانقسامات حادة في الكنيسة الإفريقية تلخصت في طرفين أساسيين : يرى الأول

¹ يتفق المسيحيون على اختلاف فرقهم حول المعمودية حيث نجد القول بماء المعمودية وصفة التعميد للدخول في دينهم أن يمتنع من يريد الدخول في الدين عن اللحم والخمر أيما ، ثم يتعلم قواعد الإيمان ، ثم يغتسل في ماء يغمره ثلاث مرات ، وتأويلاً لتلك الغطسات هو مدة مكوث المسيح في قبره ثلاثة أيام ، والخروج من الماء هو الخروج من القبر أو هي إشارة إلى التثليث، وبعدها يقوم الأسقف ويدعو للمتغسل بالبركة بعد خروجه من الماء ويضع يده على رأسه . عيد الحفيظ لعمش ،المرجع السابق،ص173.

² الكتاب المقدس، انجيل متى، الأصحاح: 28، 19.

³ عيد الحفيظ لعمش،المرجع السابق،ص172.

⁴ اندريه ايمار، المرجع السابق ، ص120.

⁵Brisson, J, P., A.CH.A.R.Paris,1958,p.123.

بعد قبول المتخاذلين والمرتدين الذي رضخوا لإضطهادات السلطة على حساب ملكوت الرب و توضيحات المسيح وفي المقابل يرى معارضوهم أن الاضطهادات الواقعة عليهم لا تستوجب إخراجهم من دائرة المسيحية والكنيسة،¹ إنما تستوجب التوبة.

برز طرف ثالث يناصر إدماج المرتدين في الكنيسة شريطة تكفيرهم عن خطاياهم من خلال شروط قاسية وكان سيبريان أحد دعاة هذا الطرح والذي دعى : "أنه يجب أن تكون أقل من الجريمة ما يمكن القيام به هو مضاعفة صلواتكم وقضاء الأيام في الحداد، و الليالي في اليقظة و البكاء، وبقية حياتكم في حزن عميق، وأن تنبطحوا في الرماد والتراب و أن تصوموا كعقاب على ذهابكم للجلوس إلى مائدة الشيطان.²

لم تكن مشكلة الارتداد (Apostasia) عارض في الكنيسة الإفريقية بل تعكس بعدا كهنوتيا لأصحابها فالقضية عقائدية بالدرجة الأولى³ حيث أن الارتداد يعني إسقاط معنى الاستشهاد المقدس والتضحية.⁴ فالمسيح نفسه قدم نفسه فداء للبشرية فلا يعقل أن يكون أتباعه أقل التزاما من الرب نفسه تجاه المسيحية، في وجه سلطة وثنية مضطهدة، هذه الفكرة التي حركت جموع المسيحيين لمقابلة الاضطهادات والموت هي المحرك الأساسي لصمود المسيحية في أفريقيا وبسقوطها تسقط الكنيسة ككل.

¹ Meslin, M., Hadot, P., Op. Cit. p. 144.

² سبريان نقلا عن سعيدة أويحي، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الميلادي الى بداية القرن الخامس الميلادي 180-411م قرطاج ونوميديا أنموذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، 2016-2017 ص 158.

³ الردة Apostasia مصطلح يوناني و "الردة" يعني ببساطة الانفصال أو الابتعاد أو التمرد، ولكن له دلالة دينية محددة في كل من اليهودية والمسيحية. تعني الردة في اليهودية التخلي المتعمد عن الله و/أو وصاياه في مخالفة مباشرة لميثاق سيناء و يشير الارتداد (Apostasia) في العهد الجديد إلى الرفض المتعمد لله والتخلي عن مبادئ الإيمان المسيحي . Kessler , 27.-E., Wenborn, N., Op. Cit. p. 26

⁴ لقد كان الاستشهاد في المنظور الدوناتي يعني الحفاظ على المبادئ المسيحية والفوز بالجنة والالتحاق بالقدسين . خديجة منصورى ، الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال افريقيا ، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران ، 1986-1987 ، ص 165.

دافع الدوناتيين على بقاء الكنيسة خالصة من المؤمنين فقط لا غير وغير ملتأثة بلوثة المرتدين ويقول في ذلك بولس: " أَنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شَرِيرٌ بَعْدَمَ إِيمَانٍ فِي الإِرْتِدَادِ عَنِ اللَّهِ الْحَيِّ،¹ أما الطرف الكاثوليكي فعبر عن ذلك بالقول أن عقيدة الكنيسة الكاثوليكية ، التي تم وضعها موضع التنفيذ منذ زمن المسيح تقوم على منح حق الانتساب للكل ، كان الشخص المنتسب مستحقاً أو غير مستحقاً ، وهو ما يتوافق مع إرادة المسيح في التسامح.²

ظلت مسألة قبول المرتدين وإعادة دمجهم عن طريق تعميدهم محل جدل يمتد من عهد الأسقف سيريان والتي كادت أن تنهي العلاقة بين كنيسة روما والكنيسة الإفريقية وعقدت لها المجامع منذ سنة 251م إلى غاية أواخر 254م، و رغم القرارات التي اتخذت خلالها إلا أنها لم تكن حاسمة،³ لتتجدد مع كل أزمة جديدة. ويذهب الكاثوليك في طرحهم للمسألة إلى ضرورة الفصل بين الشخص الطاهر المحافظ على المبادئ المسيحية والمدنس الذي ضعف أمام الاضطهاد وأن الضعف أمر طبيعي بشري والإنسان معرض للخطأ،⁴ في نوع من التوازن في رؤية المسألة عكس الدوناتيين .

أدين دوناتوس⁵ لإعادة تعميد المرتدين ووضع الأيدي على الأساقفة الساقطين، وهو الأمر الذي سجله أوبتاتوس واعتبره غريباً عن الكنيسة وعادتها⁶، ادعى دوناتوس الكبير ،

¹ رسالة بولس للعبرانيين 3: 12-19 .

² Meslin, M., Hadot, P., Op. Cit. p.144-145.

³ سعيدة أويحي، المرجع السابق، ص 161.

⁴ خديجة منصور، المرجع السابق، ص 180.

⁵ لم تحدث الدوناتية اي تغيير وتجديد في العقيدة وكل ما هنالك انها احتفظت بنفس الخط حتى بعد وفاه مؤسسها دوناتوس وظل هذا السلوك المتحفظ متابعا لها عبر تاريخها في سنة 313 للميلاد راي الدوناتيون ضروره مناشده الامبراطور بالعفو عنهم. هورمنقتن، تاريخ ولايات شمال افريقيا الرومانية، تر عبد الحفيظ الميار ، طرابلس، 1994، ص 123.

⁶ Hoover, J.A., Op. Cit. p.69.

أن المعمودية¹ لا يمكن منحها بشكل صحيح إلا من قبل الدوناتيين.² وان مسألة طهارة الكنيسة أمراً مقدساً و قبول الزنادقة دون إعادة معمودية تلويحاً للكنيسة الكاثوليكية وقوتها المقدسة.³

لقد ذهبت التقاليد المسيحية الإفريقية منذ عهد ترتليان إلى إعادة تعميد المنشقين الراغبين في العودة، لأن التعميد الأول لا يصح باعتباره صادر عن منشقين، في حين كان الأساقفة في روما و الإسكندرية يقبلون التعميد الأول، ويكتفون فقط بوضع الأيدي على رؤوس العائدين إلى الكنيسة مرة أخرى.⁴ للدلالة على القبول من جديد. إلا أن الخلاف تفاقم حول قبولهم وتزكيتهم من قبل معترف، الذي يكون في الغالب شخصاً جاهر بالإيمان أيام الاضطهاد والتعذيب.⁵

هذا السلوك رفضه بعضهم و تمسك كل طرف بموقفه إذ اعتبر بابا كنيسة روما، كل مخالف للتقاليد الرومانية خارجاً عن المسيحية ليزيد هذا الموقف من تأزيم الوضعية ويعتبر عند مسيحيي أفريقيا موقفاً متشدداً جداً، ما أثار سخطهم ونقمة الجموع المسيحية،⁶ ليتحرك حزب الكاثوليك سريعاً لتعزيز قرار المجمع، وأرسلت رسائل إلى جميع كنائس شمال أفريقيا تتضمن تفاصيل قرارات المجمع المناهض للدوناتيين.⁷

إن الآثار المترتبة عن الاضطهاد الرومانية لمسيحيي بلاد المغرب عمق الخلاف في جسم الكنيسة المسيحية الإفريقية، على خلفية قضية الذين رضخوا للسلطة ورضوا بالتدين

¹ وفقاً لأوغسطينوس، اعتبر قبريانوس أن وحدة الكنيسة أكثر أهمية وأكثر فاعلية تجاه خلاص المرء من المعمودية. بينما اعتبر Cyprian أنه من الضروري إعادة تعميد المتحولين روان رباط الوحدة أكثر أهمية من قضية إعادة المعمودية التي كانت محل جدل والتي تحافظ الآن على الدوناتيين من الخلاص الأبدى.، D., Pigeon " Cyprian Augustine And " Theological Journal, 1991.p.41. _ Ashland "The Donatist Schism

² Mourret, F.,Op.Cit.p.119.

³ Pigeon ,D.,Op.Cit.p.41.

⁴ سعيدة أويحي، المرجع السابق، ص 162.

⁵ اندريه ايمار، المرجع السابق، ص 121.

⁶ سعيدة أويحي، المرجع السابق، ص 162.

⁷ Hoover, J.A.,Op.Cit.p.63.

بالوثنية وتصلوا من نصره القضية المسيحية في وجه السلطة الزمنية الرومانية. وقد انعكس الخلاف من خلال اتهام المرتدين بأنهم خذلوا المسيحية، في حين صمد الآخرون واستشهدوا في سبيل ذلك .

كما برز الخلاف أيضا من خلال تخاذل رجال الدين والأساقفة المسيحيين، والذين سلموا الكتب المقدسة إلى سلطات لإحراقها، ومنهم منصور يوس (Mensurius)¹ والذي انتخب سنة 304 م كأسقف لكنيسة قرطاج و اتهم من قبل الدوناتيون بأنه خائن وأن له مواقف عدائية ضد المسجونين في قرطاج، ووصلت الأخبار إلى نوميديا التي كان لها نفوذ ديني على كنائس أفريقيا عن خيانة هذا الأسقف ، وهو ما زاد من نفمة الجماهير المسيحية التي رأت في العملية خيانة للمسيحية وتزكية لموقف السلطة الرومانية الوثنية الآثمة.² طلب الأسقف سيكوندوس (Secundus) من كبير أساقفة نوميديا³ أن يحدد موقفه من تلك الشائعات فاعترف بأنه سلم بعض الكتب للسلطات ولكن لم يقم بتسليم الكتاب المقدس ورد عليه سيكوندوس والذي كان يمثل رأي الدوناتيين بعدم الرضوخ للسلطات.⁴

وكان سيكوندس قد تحدى الحاكم الروماني في أفريقيا عندما طلب منه تسليم الكتاب المقدس فرد عليه بقوله أنا أسقف مسيحي أنا لست خائن.⁵ على خلفية هذا الموقف أعتبر منصور يوس متعاوناً مع السلطة ومتخاذلاً عن نصره المسيحية وهددت جماهير المسيحيين بالخروج عن طاعة الكنيسة إذا لم يتم إزاحته من منصبه وتعيين أسقف آخر جدير بالمنصب ويحوز قبول الجميع،⁶ هذا الموقف المتشدد له ما يبرره عقائدياً حيث ينطلق الدوناتيين من كون الكنيسة هي الجماعة المقدسة أي أن

¹ منصور يوس (Mensurius) أسقف كنيسة قرطاج في بداية القرن الرابع ميلادي ذكره أوبطاميلي والقديس أوغسطين توفي عند عودته من روما سنة 311 ، Toulotte ,M., Géographie De L'afrique Chrétienne, Len Pod, ، Paris, 2017,p.84.

² Monceaux ,P.,Op.Cit.p.204.

³ خديجة منصورى ،المرجع السابق،ص 99.

⁴ عبد العالي الفيتوري ،المرجع السابق،ص 145.

⁵ خليفة بن ناصر ، "الدوناتية من مظاهر المقاومة للسيطرة الرومانية في شمال أفريقيا"، مجلة البحوث التاريخية ، العدد 1 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1993 ، ص 8.

⁶ Brisson, J, P.,1958.,Op.Cit.p.126.

جميع أعضائها مقدسون، والأسرار الكنسية هي القنوات التي تنتقل من خلالها هذه القداسة ، الموجودة في كل عضو من أعضاء الكنيسة¹ ولا يجوز خرقها من قبل احدهم .

يقابل هذا التصور الدوناتي ، قول الكاثوليك ، أن القداسة تقع أولاً في قلب مؤسسيها ، بغض النظر عن القيمة الشخصية للأفراد ومكانتهم في السلم الكهنوتي ، أي ان خطاياهم وخروجهم عن النظام الأخلاقي للكنيسة مسألة شخصية متعلقة بالشخص لا بالوظيفية التي يتقلدها بينما يرى الطرفي الدوناتي أن الارتقاء في السلم الكهنوتي والقداسة التي يتمتع به الفرد المنتسب للكنيسة تستوجب عليه التزاماً تام لا شك ولا انتقاص منه وان تولي المراتب الكهنوتية يعني الالتزام التام. وهو ما يتنافى مع التخاذل الذي عرفه بعض الأساقفة وبعض المسيحيين.²

ما يستلزم إبعادهم عن جسم الكنيسة المسيحية تماماً و زاد تفاقم الانشقاق الكنسي بعد مجمع سيرتا في 305م حيث لم يتم اتخاذ أي قرار في مشكلة الارتداد ولا الفصل في مسألة المتخاذلين بعد³ وزاد ذلك وضوحاً اثر وفاة أسقف قرطاج مونسوريوس حوالي سنة 311م-312م⁴، أثناء عودته من روما من مقابلة الإمبراطور، وقبل أن يسافر عزم على أن يضع كنوز الكنيسة المتمثلة في التحف الثمينة⁵ في مكان آمن، بعد أن وضع قائمة جرد لها ، عهد بها إلى امرأة عجوز وطلب منها أن تسلم هذه الوثيقة إليه بعد عودته أو إلى من سيخلفه⁶. وعندما وصل خبر موته إلى قرطاج بدأت مشكلة البحث عن خليفة له، في ظل المكائد والمؤامرات، وتسبب ذلك في صراع حول الكرسي الأسقفي تطور فيما بعد إلى انشقاق في الكنيسة

¹ . تأسست الدوناتية على مفهوم الطهارة الطقسية، فإذا فقد الأسقف هذا، فقد خسر كل شيء. رأى الماكسيمونيون في البداية نسخة طبق الأصل من كايسيليان. بأساليبه العنيفة وقبوله للمتواصلين النجسين دنس قدسية الكنيسة. ومثل أسلافهم في الانشقاق الأصلي، فقد اعتبروا أن من واجبه الانفصال عن النجاسة، وإزالة الإثم من وسطهم لنلا يصيبهم. في الواقع، رأى الماكسيمونيون أنفسهم كحزب دوناتي جديد، يدعم قيم الانقسام الأصلي. ومن عجيب أن مصيرهم كان يعكس صورة مصغرة لسلوك الحزب الدوناتي نفسه. ليظهروا منشغلين بالكنيسة النقية، غير الملوثة. تم الحكم على أتباع الكنيسة الكاثوليكية وحتى الدوناتيين الملوئين بالدنس بأنهم ناقصون عند قياسهم بمعيار القداسة الذي كان علامة الكنيسة الحقيقية في نظرهم Hoover, J.A., Op.Cit.p.291.

² Meslin,M., Hadot, P.,Op.Cit.p.145.

³ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص101.

⁴ Hoover, J.A.,Op.Cit.p.35.

⁵ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص102.

⁶ Toulotte ,M.,1892.,Op.Cit.p.84-88.

الإفريقية، ليتم تعيين أسقف جديد وهو كايكليانوس أسقف جديد لكنيسة قرطاجة والذي كان كبير الشماسة وساعد منصور يوس الأيمن قبل وفاته.¹

تمت مراسم ترسيمه بسرعة بدون حضور رئيس أساقفة نوميديا من قبل أسقف ابتونجا فيلكس (Felix) وعد ذلك خرقا في عرف الكنيسة الإفريقية، وأرادت كنيسة قرطاجة أن تضع خصومها في سياسة الأمر الواقع خاصة في ظل العداوات القائمة، إثر هذا التعيين توجه سيكندينوس² إلى قرطاج وعقد مجمع حضره 70 أسقف اجتمعوا بمنزل إحدى النساء الثريات³ و تدعى لوسيلا (Lucilla).⁴

في هذا الصدد يورد القديس أوغسطين سبب الصراع والانشقاق الحاصل إلى الدور الذي لعبته امرأة تدعى لوسيلا، والتي عملت على عدم الاعتراف بشرعية كيكليانوس ودعم تعيين مجورنيوس، خاصة وأنها جعلت من بيتها محلا لاجتماع الأساقفة والمعارضين والناقمين على كيكليانوس⁵، واتهمها اوغسطين أيضا بأنها اشترت ذمم بعض القساوسة واستطاعت تحقيق هدفها في إزاحة كيكليانوس⁶، بما أن تعيينه كان من طرف أساقفة متخاذلين⁷ حسب

¹ Monceaux, P., Op.Cit.p.16.

² سكندنيوس أسقف تيجزي Tigris وجيليق نوميديا وقائد الفريق المعارض لسياسة سيسيليانوس كأسقف لكنيسة لقرطاجة، قدم أوغسطين في كتابته ضد الدوناتيين وثائق تثبت أنه عفى عن مجموعة من رجال الدين على مستوى نوميديا بعد اعترافه الصريح بتسليمهم الكتاب المقدس ورغم ذلك عفى عنهم. خديجة زموري، المرجع السابق، ص 128.

³ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 128.

⁴ امرأة من أصول اسبانية لكنها استقرت بقرطاج من طبقة الأغنياء كانت من المعارضين للأسقف كيكليانوس على خلفية نهرها من قبل الأخير ما اعتبرته إهانة لها أنظر هذا الموقف المحرض فكانت المنظمة والممونة لمؤتمر المنعقد بزعامة سيكونديوس، حتى اتهمها الطرف الكاثوليكي بشراء أصوات الأساقفة المترددين اتجاه هذه القضية. خديجة منصور، المرجع السابق، ص 102.

⁵ القديس أوغسطين نقلا عن أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، مطبوعات مكتبة الاخوة، مصر، 2003، ص 157.

⁶ Augustin (St), Cont.,Cresc.,Gram., Donat.,43, 6,17,Texte De M.Petschenig, Traduction De G .Finaert, « Bibliothèque Augustinienne », Paris,1965.

⁷ مع تعيين كيكليانوس سلمت له المرأة العجوز قائمة الأمتعة التي عهد بها منصور يوس لها قبل وفاته، وهو ما جعلهم يرون في حرب كيكليانوس أحسن الحلول للخروج من هذه الأزمة. اندرو ملر، المرجع السابق، ص 157.

وصف أتباع ماجورنيوس ، ما يعني عدم شرعية انتخابه وتعيينه على رأس كنيسة قرطاجة وعليه يغدو ترسيمه غير شرعياً .

وقاموا بترسيم شخص ثاني مكانه يدع ماجورينوس (Majoinus) وأرسلوا رسائل إلى جميع أساقفة أفريقيا يعلمونهم بقرارات هذا المجمع،¹ وهكذا انقسمت كنيسة قرطاج إلى قسمين قسم يمثل الكنيسة الكاثوليكية ويتزعمه كايكليانوس وقد وقفت الإمبراطورية في صفه ، وقسم آخر يتزعمه ماجورينوس وهو الفريق الذي عرف بالدوناتية فيما بعد. وتوفى ماجورينوس بعد فترة قصيرة من ترسيمه وخلفه دوناتوس الكبير (Donatus the Great) الذي لقبته الحركة الدوناتية نسبة إليه (Donatus Magnus).²

لقد أصر كيكليانوس في وجه خصومه على شرعية منصبه في مقابل ماجورنيوس ، وتواجه الطرفان في شكل حزبين متضادين يتزعم كيليانوس طرفه والطرف الثاني بزعامة ماجورنيوس تحت مسمى كنيسة القديسين ضد كنيسة المتخاذلين لكيكليانوس.³ وتعمق الصراع بين الكاثوليك والدوناتيين بزعامة دوناتوس وأخذ أبعادا أخرى، وبقي البعد الديني والاجتماعي هو المحرك الأساسي له، وتحاول المصادر الكاثوليكية أن ترسم صورة تمردية للدوناتيين من خلال اتهامهم بهدم الصرح المسيحي وزرع بذور الخلاف، غير أن الاختلاف والانقسام بين الطرفين تجاوز مسألة تسليم الكتب إلى السلطة الوثنية.

¹ عبد العالي الفيتوري، المرجع السابق، ص 146.

² دوناتوس الأكبر Donatus Magnus: أو دوناتوس القرطاجي أنتخب سنة 316م أسقفا ونظم الكنيسة المنشقة ورفض كل أشكال التدخل من قبل السلطة الزمنية في أمور الدين وحرص الأهلالي على الرفض، وأعلن انشقاقه عن سلطة البابا وسلطة الإمبراطور وقاد الحركة الدوناتية لمدة أربعين سنة ، معتزا بكرامته حيث وجد الاحترام حتى لدى أعدائه، كما وجدت شخصية أخرى بسم دوناتوس الأكوخ السود (Donatus Casae Nigrae) أسس الكنيسة المنشقة والتي أخذت اسمه لاحقا لتعرف بالدوناتية ومثلها في مجمع قرطاجة لمحاكمة كيكليانوس كما أدان تسليم الكتب والأواني المقدسة إلى الوثنيين سبق دوناتوس القرطاجي تاريخيا ، غير أن بعض الآراء التاريخية تقول بوجود دوناتوس واحد ومنهم مونسو . Martroye,F., Genséric La Conquête Vandale En Afrique Et La Destruction De L'empire D'occident,Paris, 1907,p.389.

³ Yvette ,D., Chrétiens D'afrique A L'aube De La Paix Constantinienne Les Premiers Echos De La Grande Persécution,Paris, 2000, p.185.

وبدا يظهر أن هناك جذورا على ما يبدو إلى مسائل لاهوتية¹ مسيحية،² وتوبة المرتدين وحدود الابروشيات وسلطه الأساقفة والرسامة وشخص المسيحي وتعاليم الثالوث والصلوات.³ وهنا نجد محاولة إبراز الحركة الدوناتية كحركة تمرد وانفصال على المسيحية استفادة من حالة الاحتقان والظلم التي عاشها أتباعها .

وتقدم من جهة أخرى على أنها حركة دينية بصبغة اجتماعية كان الخلاف في الأمور التنظيمية داخل الكنيسة الإفريقية هو أساس النزاع مع الكاثوليك، ويرى أنصار أصحاب الكنيسة أن هذا التوجه الدوناتى لا يعدو كونه هرطقة وأن جدالهم وشقاقهم لم يكن مؤسس على فكر لاهوتى ولا عن أفكار وأراء بل هو مجرد من كل ذلك ليكون في الأخير تعبيراً عن خلاف في الوقائع والأمر التنظيمية في محاولة منهم لتقويم الكنيسة الدوناتية.⁴

2-4 موقف الإمبراطور قسطنطين من الانشقاق الكنسي 312-337م

أصبح قسطنطين حاكم الإمبراطورية و المسيحية أيضاً، بعد ما يقرب من عشرين عاماً من الحرب والسياسة ، نجح قسطنطين أخيراً في توحيد كل الرومان تحت حكم رجل واحد، كما أصر على توحيد جميع المسيحيين أيضاً ، لكنها لم تكن مهمة سهلة وبينما كان قسطنطين لا يزال حاكماً للغرب فقط، تدخل في صراع كنيسة شمال أفريقيا، و أصر قسطنطين على أن يظهر المسيحيون جبهة موحدة ضد خصومهم وأعلن هدفه في تحقيق الوحدة المسيحية.⁵

¹ كان المرتكز الدوناتيين أن "الكنيسة هي الجسد الوحيد في العالم الذي يسكن فيه الروح القدس ، فكيف يمكن أن يفشل أعضاؤها في أن يكونوا طاهرين سعى مفهوم الكنيسة هذا إلى دعم المثل الأعلى للإنجيل الذي أوصى فيه المسيح.

Pigeon ,D.,Op.Cit.p.42.

² اختلف الطرفان في مسائل التعميد والطهارة والارتداد والرجوع للكنيسة والمعمودية الأولى والثانية وكذلك طقس الشهداء والاعياد الدينية مثل عيد الفصح والخمسين وعيد المسيح . خديجة منصورى ،المرجع السابق،ص 157-158.

³ توماس اودان ،المرجع السابق ،ص51.

⁴ محمد العربي عقون،المرجع السابق،ص261.

⁵ Strauss,B.,Op.Cit.p.284.

مع انتهاء عهد اضطهادات دقليانوس أو ما يعرف تاريخيا بالاضطهاد العاشر¹، بدء عهد جديد للمسيحية في بلاد المغرب القديم، حيث تولى الإمبراطور الروماني قسطنطين السلطة. هذا الوضع الجديد انعكس في بلاد المغرب القديم بصورة مباشرة، و انقسمت الكنيسة المسيحية في أفريقيا وانقسم أتباعها والمجتمع المسيحي تبعاً لها، وتحولت الطبقة الارستقراطية إلى المسيحية بفعل تحول السلطة في روما و منحها السلطة الزمنية كل الامتيازات²، في محاولة منها لترسيخ وجودها بالمنطقة، غير أن الطبقة الكادحة من الأهالي بقيت على المسيحية الأولى، التي انتشرت في صفوفها، ليتشكل بذلك طرفان طرف يتبنى المسيحية الرسمية الكاثوليكية، وطرف يعتنق المسيحية بصبغتها الدوناتية .

مع سنة 312م أخذ الإمبراطور قسطنطين المعتنق للديانة المسيحية الكاثوليكية بدل من الوثنية يقدم الدعم للكنائس الإفريقية، أعلن التحول في سياسة السلطة الزمنية تجاه المسيحيين ، وأعتبر الكنيسة الكاثوليكية هي اللاحق بالدعم دون سواها باعتبارها الكنيسة الموالية للسلطة وأخذت كل أشكال الدعم والعطايا.³ وهمشت بالمقابل الكنيسة الدوناتية من قبل الإمبراطور قسطنطين في محاولة لإحتواء الكنيسة تحت سلطته ، و هنا يبرز الدور الذي لعبه قسطنطين والسلطة الرومانية في دعم حزب كيكليانوس وترسيخ قواعد الكنيسة الكاثوليكية في امتداد وترسيخ ضمني لقواعد السلطة الرومانية في نوميديا، كما أنه كان على دراية بالانشقاق الحاصل في جسم الكنيسة الإفريقية وأحسن استغلاله لحسابه من خلال جمعه كل الإيضاحات عن طريق أسقف قرطبة.⁴

¹ الأنبا ياكوبوس، الاستشهاد المسيحي ومجد الشهداء ، مطرانية الزقازيق، مصر، ص45.

² عبد الحميد رأفت ، المرجع السابق ، ص 140.

³ عبد الحميد رأفت ، نفسه ، ص 136-138.

⁴ أندرو ملر ، المرجع السابق، ص157.

في ظل هذا الانقسام الحاصل يورد القديس اوغسطين أن جموع المسيحيين المذنبين يريدون محاكمة الغائبين لأنهم يريدون تغطية جرائمهم بتشهير الغير ونشر الأكاذيب والإشاعات وتحويل الأنظار للبحث عن الحقيقة.¹

وجد الدوناتيين أنفسهم في صدام مع السلطة بسبب انتهاج الأخيرة سياسة استمالة للكاثوليك على حسابهم فقد منحهم وهدم الهبات والعطايا وتوجهت لدعمهم بل أن الإمبراطور نفسه حرمهم من كل أشكال الدعم وحصرها في أتباع كيكليانوس،² الأمر الذي جعل من الدوناتيين يرفعون التماسا إلى السلطة الرومانية ويرجون الإمبراطور أن يعيد النظر في قضيتهم، ويتفحص مسألتهم من جديد من خلال أساقفة حيايين، مثل أساقفة الغال³

لأنهم أكثر حيادية وإنصافا في الحكم على أحد الطرفين المتنازعين الكاثوليك والدوناتيين، وتجنب الدوناتيين تحكيم البابا لعدم حياديته في الحكم وميله للجناح الكاثوليكى باعتباره ممثلا للكنيسة الكاثوليك، إضافة إلى عدم ارتقائه لمنزلة الحكم بعد، وعدم تأثيره بقوة في الفصل بينهم.⁴ حاول الدوناتيين من خلال إشراك الإمبراطور تحيده أو إنقاص الدعم الموجه لخصومهم على الأقل وقد وافق قسطنطين على النظر في قضيتهم وانهقد مجمع روما سنة 313 م متألف من حوالي عشرين أسقف،⁵ وقبل قسطنطين طلب المنشقين رغبة منه في إيجاد حل للقضية و طلب من ملتياذ (Miltiade)، بابا مدينة روما، أن يترأس جلسات المحكمة للحكم بين الطرفين، واشترك معه ثلاثة أساقفة غالبيين كقضاة، و خمسة عشر أسقفاً من إيطاليا.⁶

¹ Monceaux ,P.,Op.Cit.p.237.

² Ibid.p.469.

³ خديجة منصورى، المرجع السابق،ص 132.

⁴ اندرو ملر، المرجع السابق، ص 157.

⁵ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 180.

⁶ سعيدة أويحي، المرجع السابق، ص 212.

ليصدر قرار بتبرئة الاسقف كيكليانوس من التهم الموجهة اليه، والحكم لصالح الطرف الكاثوليكي¹ ،الذي استغل الأمر وأخذ يدعو إلى ضرورة الإصلاح بين الأطراف المتنازعة ونبذ الشقاق الحاصل وضرورة الاتحاد ، في رسالة إلى أنوللينوس بروقنصل أفريقيا عام 313م يقول قسطنطين : " تحية لك يا عزيزي أنو للينوس من المحبة التي تجمعنا نطلب من حضرتكم أن تحفظ حقوق المسيحيين ومختلف حقوق المواطنين الخاضعين لسلطتكم وأن ترجع الحقوق المسلوبة، لذلك نأمر حين استلامك هذه الرسالة أن ترجع للكنيسة المسيحية الجامعة في أي مدينة أو موطن آخر والتي كانت في حوزة المواطنين أو غيرهم أن ترجع ملكيتها إلى الكنائس، لأننا أمرنا فعلا بأن ترد لهذه الكنائس تلك الأمور التي كانت تملكها سابقا، ونظرا لأن حضرتك تعني أن قرارنا هذا واضح كل الوضوح، فأسرع بأن ترد إلى تلك الكنائس بأسرع مما يمكن كل ما كان في ملكيتها سابقا سواء كانت حدائق أو أي شيء آخر ، حتى نعلم أنك قد نفذت أمرنا هذا بكل حرص السلام لك يا عزيزي أنو للينوس المحبوب جدا "².

أراد قسطنطين من خلال هذه السياسة المنتهجة استغلال الصراع الكاثوليكي الدوناتي إلى ابعد حد³ و إضعاف كل من الطرفين وجعل الإمبراطور هو المتصرف الأول وصاحب القرار في أي أمر يتعلق بالكنيسة المسيحية ما يضمن له ترسيخ لقواعد حكمه خاصة في نوميديا وتجنب أي صراعات وثورات تهدد كيان الدولة الرومانية ومصالحها الاقتصادية وكانت فرصة الانقسام الحاصل في جسم الكنيسة الإفريقية خير فرصة لتحقيقه تلك السياسة واستغلال كلا الطرفين المتنازعين .

لم يقبل الدوناتيون قرارات مجمع روما بحجة أنه تعجل في إصدار قراراته ولم يدرس القضية بشكل صحيح ، لذلك أرسلوا بالتماس إلى قسطنطين لينظر في القضية من جديد⁴ ، وقد أبدى قسطنطين رغبته الكبيرة في إنهاء هذا الخلاف على الفور ، كونه على أبواب الحرب

¹ ه ورمقنن،المرجع السابق،ص124.

² احمد ساحلي،المرجع السابق،ص58.

³ محمد البشير شنييتي،المرجع السابق،ص180.

⁴ خديجة منصور ي،المرجع السابق،ص134.

ضد حليفه ليكينبوس¹ والتي نشبت في أكتوبر 314م ، لذلك فهو يريد رأب الصدع وبشكل سريع في صفوفه الداخلية ، ولا يستطيع أن يواجه عدوه وظهره مكشوف².

وكذلك أراد قسطنطين الاستفادة من أقاليمه الجديدة الغنية ليتم هذا المجمع في أول أوت 314م.³ بمدينة آرل (Arles) في غاليا⁴ حيث مثلت فيه كل مقاطعات الغرب الروماني بحضور ممثلين عن الدوناتيين وخصومهم الكاثوليك ، وحدد مجمع آرل مختلف الإجراءات التأديبية، خاصة ما تعلق بالمرتدين والاتهامات الموجهة إليهم، وضرورة إعادة تعميد الهرطقة والخارجين عن الديانة.⁵

وأراد قسطنطين ان يحضر كل أساقفة الغرب فدعى له كل أساقفة المناطق التي تقع في نطاق حكمه تفادي كون المجمع خاصا ولحساب منطقة واحدة كما كان في مجمع روما الذي حضره ثلاثة أساقفة والبابا . ورغب الامبراطور في الحصول على ضمانات من الكنيسة تجاه الدولة من مجمع ارال سنة 314م وقد حصل على امتياز من الكنيسة الكاثوليكية يتمثل في قرار المجمع أن كل جندي مسيحي يرمي سلاحه يطرد من المسيحية⁶، والظاهر أن اتفاقا ضمينا حصل بين قسطنطين والأساقفة المسيحيين الكاثوليك لتكيف قراراتهم بما يخدم أهداف قسطنطين السياسية والعسكرية، خاصة وأن صلاحية الأساقفة والبابا كانت تقارب أن لم نقل توازي صلاحيته الدينية.

¹ أراد قسطنطين انهاء قضية تورط فيها خاصة وانه غير قادر على إعادة تأسيس الوحدة الدينية اللازمة للهدوء السياسي في المقاطعات الأفريقية ، في وقت حربه واعداده للحملة التي كان على وشك شنها ضد منافسه ليسينيوس تجعله يركز مجهوداته لكي لا يقع في فخ الانقسام والتشتت

² Decret, F., CH.A.N.A.Seuil, Paris, 1996, p.136.

³ عبد العالي الفيتوري ، المرجع السابق ، ص 153.

⁴ آرل مدينة وبلدية تقع في جنوب فرنسا حاليا

⁵ ربيع العولمي، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم ، جامعة باتنة 1 ، 2015-2016، ص330.

⁶ محمد البشير شنياتي ، المرجع السابق، ص 180

رفض الدوناتيون قرارات مجمع اراال واعتبروها خيانة كبرى وقابل الكاثوليك ذلك في كنيسة قرطاجه بمنع الدوناتيين من دخول الكنائس والاعتصام بها وبذلك اعتبروها كنيسة الشيطان في وجه كنيسة القديسين،¹ او في خريف عام م315 أرسل قسطنطين إلى نائبه في أفريقيا رسالة يهدد فيها بمعاقبة الدوناتيين الذين سعوا طواعية للاستشهاد وأثاروا العنف ولم يلتزموا بقرارات مجمع اراال، يقول قسطنطين فيها : أولئك الذين سأجدهم مذنبين بالعنف وخضوعهم إلى الاحترام المناسب تجاه الدين ، سأجعلهم يعانون من العقوبات المستحقة دون أي تردد على حماقتهم وعنادهم الطائش.²

تحول قسطنطين قد يبدو لبعض الدوناتيين ،مضطهدا مثل سابقه لحقهم في المرافعة عن كنيستهم المضطهدة أما الكاثوليك فقد رأوا في القرار مظهرا قمعيا، لا يصح من إمبراطور ينتسب للمسيح وساعده المسيح في حربه ، حيث أن قانون ممارسة العنف ومحاسبة أصحابه كان يستهدف أيضا سلوكيات بعض المسيحيين تجاه الوثنيين الذين يمارسون طقوسهم في معابدهم وهو ما كفله قانون التسامح الديني لقسطنطين فقد بعض الرهبان للاستشهاد في القرن الرابع بالقتال من أجل اختفاء المشاهد الوثنية ، مثل الألعاب في المدرج ، لم يقبل بعض المسيحيين والكاثوليك والدوناتيين تسامح الإمبراطور .³

أعاد الدوناتيين طلب تدخل الإمبراطور قسطنطين والتمسوا منه إعادة النظر في ما تقرر عن المجمع المنعقد والذي لم يكن بالمطلق بقراراته المنحازة، في صفهم بل الأكثر من ذلك أنه زاد من القيود عليهم و تحت حجة عدم اعترافهم بقرارات الصادرة في حقهم قرر الإمبراطور إعادة استدعائهم في ميلان سنة 316 م غير أن قراره كان مماثلا للقرارات السابقة ما زاد من نقمة الدوناتيين وصعد من سخطهم⁴ .

تعنت الدوناتيين واتسع الانشقاق لدرجة أكبر من ذي قبل، و لعب دوناتوس دورا من خلال دعمه للدوناتيين وتقوية روح المقاومة ضد السلطة وأخذت مبادئ الدوناتية تلقى رواج وقبولا في صفوف الجموع المسيحية خاصة الفقيرة منها و التي ألمها الوضع الاجتماعي

¹ محمد البشير شنييتي، المرجع السابق، ص181.

² Pottier ,B.,Op.Cit.p.48.

³ Ibid.p.48.

⁴ شافية شارن، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، الجزائر، 2008، ص245.

والديني، لقد أصبح الصراع ضد الكنيسة الكاثوليكية صراعا بين الطهارة الكنسية والتدنيس الكنسية ؛ بين فكرة الكنيسة كمجتمع حصري من القديسين المتجددون وفكرة الكنيسة كمسيحية عامة للدولة والشعب.¹

أخذت الحركة تسلك طريقا أكثر حدة و عنفوانا يتسم بالنزعة التحررية² وروح المقاومة دفاعا عن أنفسهم ،خاصة وأن الكنيسة الكاثوليكية استأثرت بكل الهبات والامتيازات لتصبح كنيسة السلطة والمدافع عنها والممثل لها في مواجهة الشعب الفقير وساهم الوضع الاقتصادي المتردي والوضع الاجتماعي الذي خلفته الطبقة الرومانية في بلاد المغرب بتأجيج حدة الصراع الكاثوليكي الدوناتي، خاصة وأن الطبقة المعدمة أصبحت أكثر تدمرا من كل الامتيازات الممنوحة لطبقة الارستقراطيين على حسابهم.³

وجد الطرفان المتصارعان أن سياسة المصالحة والمسامحة التي عمدت السلطة الرومانية إلى استعمالها وثبتها قسطنطين لا تهدف إلا لثبتيته نفاذ الإمبراطور الروماني تجاه الرعايا المسيحيين وأصبح بذلك قسطنطين هو المهيمن الأول على شأن الكنيسة الإفريقية وصاحب القرار الأول في أي خلاف ونزاع بين الطرفين الكاثوليكي والدوناتي.⁴

و أراد بسياسة الترغيب تلك إبقاء كل من كيكليانوس ودوناتوس في دائرة سلطته، وأرسل أسقفين إلى أفريقيا للتوصل إلى حل وسط، غير أن دوناتوس لم يتبع هذا الحل وتبعه في ذلك كيكليانوس ،خاصة وان الأوضاع ساءت في أفريقيا ،ما دفع دوناتوس أن يستغلها في جمع أتباع جدد وتقوية نفوذه ، وهو ما أثار حفيظة الإمبراطور قسطنطين وأثار نقمته على الدوناتيين لعدم قبولهم بسياسة المصالحة التي أقرها وانتقل بذلك إلى النقيض منها، حيث اضطهد

¹ Schaff ,Ph., Vol 3,Op.Cit.p.215.

² تشتبك الخلافات المسيحية الدينية مع المشكلات المدنية الإمبراطورية حيث ان الخصومة بين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين الدوناتيين ، أصبحت خصومة بين نوميديا وقرطاجة. كما أصبحت خصومة بين الفلاحين ومالكي الأرضين. عبد الحفيظ لعشم،المرجع السابق، ص 249.

³ شارل أندري جوليان،المرجع السابق،ص282.

⁴ عبد الحميد رأفت،المرجع السابق،ص428.

المسيحيين الدوناتيين وصادر أملاكهم وهدم كنائسهم كما جرت العديد من المذابح في حق المسيحيين الدوناتيين جعلهم يعتبرون ضحايا هذه الحملة من الاضطهاد شهداء في وجه الظلم الأثم في سبيل إعلاء المسيحية الحق.¹

خلفت هذه الاضطهادات رد فعل مقاوم قاده دوناتوس ضد السلطة الرومانية ووقف في وجه القوة العسكرية التي جاءت لتأديب الدوناتيين بقيادة أورياكيوس وعندها أدرك قسطنطين أن سياسة العنف والترهيب لن تجدي وأنها لم تكن فاعلة في إنهاء العنف والانشقاق الحاصل بين المسيحيين فأرسل سنة 317م إلى نائبه في أفريقيا وإلى كيكليانوس والأساقفة الكاثوليك بضرورة اتباع سياسة جديدة تقوم على الاعتدال والتسامح وأرسل أوامره بالسماح للأساقفة الدوناتيين المنفيين بالعودة إلى ديارهم.²

في خطبة ألقها دوناتوس في شهر مارس سنة 318م عبر فيها عن موقفه بالقول " إذا لم يكن إثبات تاريخ الاضطهادات كتابة عديم الفائدة، وإذا لم تتمكن من إعطاء قراءة للأعياد التي تقام على شرف الشهداء، فلماذا لا نقرأ تاريخ الإحتيالات الماكرة، والاختراعات، والمكائد التي تحت غطاء الدين تخدع الأرواح، إن التحضير لهذه الاجتماعات ضروري، حيث لا يكشف العدد عن نفسه صراحة، وكما يقال: فإن أعداء الإنسان قد يكونوا في عقر داره إذن من الغريب على العقيدة أن نكتم مجد الشهداء عن طريق الصمت أو إخفاء حجة ما هو مطابق للخلاص والنجاة".³

أصدر قسطنطين في فيفري 320م مرسوم يأمر فيه كل من أسقف قرطاج فيرينوس (Verinus) وبروقنصل أفريقيا اليانوس (Elianus) بمنع قبول أي شكوى من مجهول تتخذ شكل الوشاية،⁴ لقطع الطريق على محاولات التشويه والضرر بالخصوم المسيحيين وزيادة الخناق على الدوناتيين .

¹ Monceaux ,P.,Op.Cit.p.29.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص297.

³ دوناتوس نقلا عن: ربيع العولمي، المرجع السابق، ص308.

⁴ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص209.

هدف بذلك لفرض مزيد من الهدوء ومنع الأطراف المتنازعة من تأزيم الوضع أكثر ويفقد الطرف الدوناتي القدرة على تشويه الخصم الكاثوليكي من خلال الوشاية والدعاية واستمالة الجماهير، كما ساهمت سياسة مصادرة الكنائس الدوناتية من قبل السلطة تطبيقاً لقرارات المجامع المسيحية السابقة¹ في بروز الرغبة في الاستشهاد والرغبة في مقاومة السلطة الرومانية التي حاولت إخراجهم بالقوة كما حدث في سيرتا التي احتل الدوناتيون فيها كنيسة كاثوليكية واستولوا عليها ولم يصدر أي رد فعل من قبل السلطة الرومانية في نوع من المهادنة للدوناتيين على حساب خصومهم الكاثوليك.²

هذا السلوك المقاوم وصلابة الدوناتيين جعلت الإمبراطور ينحني بالفعل وساهموا في الاعتراف بالدوناتية، يمكنهم تفسير تقنين الدوناتية في 321م على أنه اعتراف ضمني بقضيتهم من قبل قسطنطين،³ وفي الخامس ماي 321م أرسل مرسوم آخر إلى أفريقيا⁴ يعفو فيه الإمبراطور عن الدوناتيين ويأمر أن ترد إليهم أملاكهم وكنائسهم المصادرة ثم دع كل من الطرفين إلى حل المشاكل العالقة بينهما فقط عن طريق السلام والذي أورد منه قسطنطين أن يجذب إلى صفه الدوناتيين ويحتويهم غير أن الوضع بين الطرفين بقي في نفس درجة العداء والتنافر.⁵

¹ Pottier ,B.,Op.Cit.p.50.

² Monceaux ,P.,Op.Cit.p.198.

³ Pottier ,B.,Op.Cit.p.50.

⁴ مرسوم التسامح في 5 مايو 321م تضمن أيضا حق العودة لرجال الدين المنفيين إلى إفريقيا ، ويتمتع المنشقون بحرية العبادة بشرط عدم الإخلال بالنظام العام وكان يقصد به عدم المساس بحقوق الكاثوليك ، كما تتم دعوة رجال الدين الكاثوليك بدورهم لإظهار الاعتدال والصبر في مواجهة الخصوم الذين يدركون قوتهم ويظهرونها. سمحت فترة السلام التي افتتحها هذا المرسوم للكنيسة الدوناتية. Decret,F.,Op.Cit.p.136.

⁵ عبد الحميد رأفت ،المرجع السابق،ص428.

استغل دوناتوس ذلك في انتشار حركته وأفكاره في عموم بلاد المغرب في مواجهة الكاثوليكين والسلطة من ورائهم، وقد التف حوله المزيد من الناقمين على الأوضاع العامة¹، قاوم الدوناتيون السلطة بشكل مسلح ودخلوا في صراعات عنيفة معها، واستولوا على كنائس الكاثوليك وخرّبوا بعضها الآخر كما عزلوا أنفسهم وكنيستهم عن أي دنس كاثوليكي وثلوث كنيستهم وأخذت كنيستهم تحرض مسيحيي الكاثوليك على الهرب، ورفعوا شعار هرب واترك كنيسة الخونة ولا تترك أجدادك بتقديسك للخطأ، ووسمت كل من انتسب إلى الكنيسة الكاثوليكية بالخيانة ووجوب معاقبته ومقاطعته كما حرّموا حتى مصافحتهم والتعامل معهم.²

تفاقم الصراع، وجمع الدوناتيون العديد من المؤمنين، ويشهد بذلك التقدم المتزايد لهذه الكنيسة المضادة على حيويتها: في عام 330م، كان هناك حوالي 270 أسقفًا دوناتيًا؛ في 394م، أصبح العدد حوالي 400؛ ثم تراجع العدد في مؤتمر قرطاج عام 411م، ليصل 276 أسقفًا.³ وسعت الدوناتية نشاطها جغرافيًا من طرابلس إلى القيصرية، مع تركيزها الأساسي في نوميديا، المقاطعة التي كانت مهدها حيث تم تنصيب أتباعها كقادة محوريين و كان شعار روما هو تجنب أي مواجهة معهم، لدرجة أن الإمبراطور بعد حادثة أخذ كاتدرائية سيرتا من الكاثوليك، لم يجرؤ على طردهم، وفي عام 330م⁴ بنى واحدة جديدة على حسابه، أما بالنسبة لغريغوري حاكم الولاية الذي حاول في عام 336م اتخاذ بعض الإجراءات ضد الدوناتيين، فوجد مقاومة شرسة من دوناتوس.⁵

¹ محمد البشير شنيقي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب اثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر، 1984، ص297.

² محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص262.

³ Meslin, M., Hadot, P., Op.Cit. p.144.

⁴ خلال المجلس الذي عقد في قرطاج في الأعوام 336-340، استطاعت الدوناتية أن تجمع مائتين وسبعين أسقفًا، جلسوا لمدة خمسة وسبعين يومًا. في روما نفسها، تم تنظيم مجتمع دوناتي، ما يبين قوة الحركة وسرعة انتشارها.

Decret, F., Op.Cit. p.136.

⁵ Decret, F., Op.Cit. p.134.

ازداد عدد أتباع الدوناتية حتى وصل إلى أكثر من نصف عدد المسيحيين في أفريقيا فعند وصول أغسطس إلى هيبورجوس في سنة 391م، وجد الأغلبية الساحقة من سكانها المسيحيين ينتمون إلى الكنيسة الدوناتية فمن بين 311 كنيسة و معبد نجد 219 منها يعود إلى الكنيسة الدوناتية، وهذا دليل واضح على احتلالها الصدارة في أفريقيا، فضلا عن تحول الكثير من السكان الكاثوليك إلى الدوناتية وذلك هروبا من المشاكل التي كانت تلحق بهم من طرف هذه الأخيرة، استطاع الطرف الدوناتي ربح الدعاوي ضد خصومهم¹. ذلك أن تأثير الدوناتية كان عميقا في النفوس ووصل إلى نواة المجتمع وبرز بين أبناء الأسرة الواحدة الذين انقسموا بين دوناتي وكاثوليك² رغم كل الروابط الأسرية التي تجمعهم هذا الانقسام حول الانتماء الديني المسيحي أصبح ظاهرة في المجتمع المحلي المسيحي الإفريقي.

سطعت الدوناتية في قرطاجة وفي المناطق الداخلية من البروقنصلية، وكذلك في شرق نوميديا وجنوبها³ و في " بيزاكينا (Byzacène) و كذلك في كل من تاموقادي (Thamugadi)، وبغاي (Bagai) وأيضا في سيرتا (Cirta)، وتاغست (Thagaste) وهيبو ريجوس (Hippo-Regius)"،⁴ غير أن هذا الانتشار أبقيا لم يصاحبه انتشار عمودي في طبقات المجتمع حيث لم يمس الطبقات العليا في المدن إلا القلة القليلة، وربما يعود ذلك إلى الطبيعة الطبقيّة للمجتمع وأيضا الاثنية اللغوية ذات الصبغة اللاتينية في الغالب وهو ما يلمس من خلال بقاء العبادات الوثنية راسخة في الطبقات العليا تماما مثلما بقيت الفلسفات في روما في وجه المسيحية .

إلا انه إذا كانت الدوناتية قد فشلت في ضم الارستقراطيين والطبقات العليا إلى صفوفها فإنها نجحت في استقطاب وعلى نطاق واسع الطبقة المثقفة⁵، يظهر بوضوح من خلال سير

¹ في الغالب كانت المسائل المطروحة قبل مجمع نيقية متعلقة بالسماح للتائبين بالرجوع الى الشركه المقدسه وتركز هناك نقاش حول ما من هو التائب الحق بعد سقوطه في المعصيه . توماس اودان، المرجع السابق، ص49.

² خديجة زموري، المرجع السابق، ص143.

³ ه ورمنقن، المرجع السابق، ص131.

⁴ ربيع العولمي، المرجع السابق، ص421.

⁵ ه ورمنقن، المرجع السابق، ص135.

بعض البارزين منهم أمثال دوناتوس، الذي كان يتمتع بثقافة واسعة اتسمت بالتشبع بالثقافة الرومانية التقليدية، التي ازدهرت في المدن الإفريقية مع سنوات الاحتلال الطويلة، وأيضاً تيكونيوس المفكر والفيلسوف الدوناتى الذي تميز بمعرفته الواسعة للدراسات التقليدية والمسائل الدينية.¹

هذا الاستقطاب لم يكن عشوائياً بل كان يدل بالدرجة الأولى على كون أصحابه هم فئة مثقفة ومتعلمة متقنة في الغالب للغة اللاتينية والتي لم تكن لغة الشعب في أفريقيا وكذا كون قادته والشخصيات اللامعة في هذا الصراع تكونت وفق الثقافة الرومانية وكذا تشبعت بالمسائل اللاهوتية المسيحية ولم تكن منفصلة عن التطورات التي عرفتها المسيحية و تضافرت كل تلك العوامل وساعدت الحركة في الازدهار والتوسع لاسيما في العشرين سنة الأخيرة من القرن الرابع أو على الأقل أخرت من سقوطها وانهازها أمام منافستها الكاثوليكية .

على النقيض يقول فرنسوا دوكري (François Decret) أن الدوناتية لم تعلن أبداً عن نفسها كمتحدث أيديولوجي واجتماعي للفقراء والمضطهدين عندما يتحدثون عن الفقر ويقدمون أنفسهم على أنهم "كنيسة الفقراء" ، وأنهم حين يرفضون الكاثوليك ، فإنهم يرفضون أي تسوية مع السلطة الرومانية وبالتالي أي حل وسط في صراعهم ، وبالنسبة لهم ليس العالم الروماني هو الذي يمكن أن يساعد في تأسيس العالم المسيحي الحق انه موقف عفا عليه الزمن للحركة التي ترفض أن تعيش في قرنها ، لتدمج نفسها سياسياً واجتماعياً في العالم الروماني ، نظراً لأنهم يعتبرون أنفسهم ورثة الحقيقيين للكنيسة الإفريقية.²

¹ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 144.

² Decret, F., Op. Cit. p. 172-173.

3-4 سياسة الإمبراطور قسطنطينوس تجاه الدوناتيين 337-361م

تفاقت الأوضاع السيئة في المغرب القديم في عهد الإمبراطور قسطنطينوس Julius Constantius الذي خلف والده قسطنطين المتوفى في 22 ماي 337 م، فأصدر قانون إمبراطوري سنة 338 م وجه إلى الأفارقة، في محاولة منه لتحقيق الوحدة الدينية¹. في محاولة استعادة الوحدة الكاثوليكية المسيحية حيث فشل والده². غير انه لم يستطع، ذلك أن حماسه للكاثوليك على حساب الدوناتيين واضحة وظاهرة والذي يلاحظ بشكل كبير في فرض رؤيته الكاثوليكية في سياسته تجاه الأريوسيين في الشرق، وقد عمل على وضع حد لحالة الانشقاق الإفريقي الدوناتي الذين وضع نجاح الكنيسة الكبرى في خطر حقيقي وبالتالي قوض تماسك الإمبراطورية³. كانت رؤية خلفاء قسطنطين تجاه الدوناتية تقوم على حماية المصلحة الاقتصادية في أفريقيا من أي تهديد محتمل بالدرجة الأولى وخاصة إمدادات الحبوب وعلى رأسها القمح⁴ ولضمانها عملوا على توطيد الوحدة والعامل الديني وعلى اثر ذلك أرسل الإمبراطور محافظين إلى المغرب القديم وهما ماكاريوس (Macrius) وبوليس (Paulus)، طالبين من الدوناتيين ضرورة الارتباط والمشاركة في أقداس الكاثوليك، وحاولت الرواية الكاثوليكية إعطاء طابع إنساني لحملة المبعوثين المكلفين من قبل الإمبراطور بإحصاء الفقراء وحثهم على الوحدة الدينية⁵.

¹ Brisson, J, P.,1958,Op.Cit.p.84.

² نهج قسطنطينوس منذ 347م نفس نهج والده بالتدخل في الشؤون الدينية في إفريقيا، و قام بإصدار قانون يؤكد به حكم أبيه ضد الدوناتية ونقصد هنا قانون قسطنطين في 316م، وبالتالي فهو يبطل هنا التسامح الذي أصدره سنة 321م؛ ويعيد اشعال الصراع حيث بموجب هذا القانون فالدوناتيون اصبحوا معرضين للعقوبات ومصادرة كنائسهم وممتلكاتهم اذا ما حاولوا التعرض للكاثوليك، وزادت الامور سوءا مع احداث بغاي عند وصول المبعوثان إلى مدينة بغاي التي كان اسقفها دوناتوس والذي رفض الانصياع لأوامر المبعوثان وحاول مقاومتها فوعدت مواجهات بين الطرفين راح ضحيتها عدد كبير من الأساقفة الدوناتيون. خديجة زموري،المرجع السابق،ص 136.

³ Decret,F.,Op.Cit.p.135.

⁴ ه ورمقنن،المرجع السابق،ص 136.

⁵ عبد الحميد عمران،المرجع السابق،ص 214.

لكن في الواقع كان عليهم محاولة الاتحاد حول الكنيسة العظيمة وشراء الذمم وخلق تمرّد داخلي في الدوناتية عن طريق توزيع الأموال على أتباعها لاستمالتهم،¹ أدرك دوناتوس سريعا ألاعيب الإمبراطور من خلال مفوضيه وان المسألة حسمت والمبادرة قد تم الحكم عليها بالفعل، بالفشل وشجب هذه المناورة الخبيثة وبينما رحب رجال الدين الكاثوليك بالمفوضين باعتبارهم أطرافا في قضية الوحدة المقدسة ، فقد أوعز إلى أساقفته بتجاهلهم ورفض كل الصدقات وبعد أن فشل مندوبون في مشروعهم ، أرادوا استخدام القوة ، وواجهوا مقاومة قوية ، لا سيما في نوميديا التي كانت الكنائس الدوناتية بالفعل أكثر عدداً فيها وفي موريتانيا أكثر من كنائس منافسيها.²

بوصولهما بدأت مرحلة جديدة في سلسلة الاضطهادات الدينية، متمثلة في حملة عسكرية ضد الأهالي وعملية تطهير ضد الدواريين³، وبداية سياسة العنف تجاه الحركة⁴ وما صاحبها من اغتياالات في مدينة باغاي بعدما رفضت الحركة الدوناتية سياسة منح الأعطيات التي حاول الإمبراطور استمالة الشعب بها،⁵ ليشهد الصراع الكاثوليكي الدوناتى أعنف فتراته، وتصبح الدوناتيه وجها لوجه أما حملات القتل والتطهير من قبل السلطة ولتحمل لواء المقاومة ضد الاحتلال الروماني .

قاد دوناتوس الحركة في هذه الفترة من خلال مواجهة السلطة الرومانية و اغرائتها للدوناتيين الذين استمالتهم بالعطايا والهبات وشراء ذمم العناصر الفاعلة في حركة دوناتوس في محاولة منه ضرب الحركة داخليا، وواجهها دوناتوس بمنع ورفض أخذ كل أشكال الهبات المقدمة من السلطة وحرّم قبولها على رعاياه ما سبب فشل سياسة الإغراء المنتهجة من السلطة، واشتدت حدة العنف مع حادثة قام بها أحد الدوناتيين الذي يدعى ماكسميانوس والذي قام بتمزيق قرار بروقنصلي قرطاجة في 15 أوت من سنة 347م الذي يتعلق بتوحيد الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية، فأوقف وتم تعذيبه في السجن، ولقي زميله إسحاق الذي قام بشتم

¹ Decret, F., Op. Cit. p. 134-135.

² Ibid. p. 134-135.

³ Monceaux , P., Op. Cit. p. 335.

⁴ ه ورمنقن، المرجع السابق، ص 136.

⁵ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 214.

الكاثوليك نفس المصير وبعد عملية تعذيبهما تم رميهما في البحر واعتبرهما الدوناتيون فيما بعد رموزاً للتضحية والبطولة¹، وتم اعتبارهما شهيدين في نوميديا.

أراد ماكاريوس تطبيق المرسوم الإمبراطوري كرد فعل لرفض الحركة الدوناتية سياسته القائمة على منح العطايا للسكان لامتناس غضبهم، فكانت النتيجة أحداثاً دموية وحملة اغتيالات واسعة، وبسبب العنف المتبادل والذي ميز الحياة اليومية للسكان.² جعلت هذه الأحداث بغاي معقل للمقاومة بقيادة دوناتوس، وصارت الكنائس مخازن للحبوب³، و زاد ذلك من أتباعها وانتشارها مدعومة بجموع الأهالي والمزارعين. وتحولت تدريجياً إلى شكل تمرد عام شامل، فعبر سكان منطقة فيجزيل التي تحتوي ضريح الشهيد ماركلوس عن غضبهم والوقوف في وجه ماكاريوس لتتصاعد وتيرة المقاومة ما استوجب تدخل الإمبراطور وأمر أن تنصهر الكنيستان في كنيسة واحدة و إعادة الأموال إلى الكنيسة الكاثوليكية و نفي المحرضين والقادة المنشقين.⁴

عانى الدوناتيون أقسى أنواع العذاب والاضطهاد المطبق من قبل السلطات الرومانية، فتم رميهم في البحر والحفر السحيقة وأحرق البعض بالنار وغطس البعض في الماء، في أنواع وأشكال اضطهادية تفنن الرومان فيها وفي تطبيقها على الدوناتيين، لتعم المعارك والضحايا كل المناطق واستخدم ماكاريوس كل وسائل العنف في القضاء عليها، غير أن تلك الأعمال لم تزد إلا من عزيمة الدوناتيين وتقوي إيمانهم بقضيتهم وان اختلفت حدة الاضطهاد في شمال أفريقيا من منطقة إلى أخرى.⁵

¹ Monceaux ,P.,Op.Cit.p.243.

² De Lessert.P.,Fastes Des Provinces Africaines Sous La Domination Romaine, T2, Paris,1901,p.243.

³ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، 1984، ص298.

⁴ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص217.

⁵ Hoover, J.A.,Op.Cit.p.38.

بالموازاة أيضا أظهرت تلك الأحداث ضعف الكنيسة الدوناتية ، غير المنظمة بسبب نفي أساقفتها وتشريد رجالاتها وهو ما حتم عليهم التحالف مع حركة وليدة وهي حركة التي كان من الصعب على العديد من الأساقفة الدوناتيين فصل أنفسهم عن الدوارين وحركتهم ، و من ناحية أخرى ، كانت الدوناتية تحتاج إلى إعادة التنظيم ، واستئناف نشاطها وقوتها ، حيث عقد أساقفتها عدة مجالس، لكن هذا التطور لم يكن له أثر فوري،¹ على مجريات الصراع .

بعد هذه الضربات التي تلقتها الدوناتية تزايد بشكل كبير عدد الكنائس والأساقفة الكاثوليك تحت غطاء ورعاية السلطة وأصبح التواجد الكاثوليكي ملموسا إلى حد كبير في أرجاء أفريقيا بعد ما كانت تسيطر عليه الدوناتية وهو ما اعتبر الفترة الذهبية للكنيسة الكاثوليكية من 347م إلى 362م،² حتى أن المجمع الكنسي الكاثوليكي المنعقد بقرطاج في سنة 348 م برئاسة كراتوس افتتح جلسته بالشكر والامتنان لله على تدخل قسطنطينوس وإرساله للمبعوثين إلى أفريقيا.³

مع انتهاء حكم قنسطانطيوس سنة 361 م، صعد للسلطة الإمبراطور جوليانوس (Julian)⁴ كان واضحا أنه لم يكن ميلا للموقف المسيحي وذلك لكونه متشبع بالثقافة الإغريقية وأراد إرجاع الوثنية واعتمد على الوثنيين الذين اضطهدهم قسطنطين وعلى الأرستقراطية الرومانية القديمة المتعلقة بعبادة الأوثان، وطرد المسيحيين من الإدارات العامة، وأسس المدارس الوثنية لكنه لم ينجح ، بحيث وجد معارضة من الكنيسة فراح يشدد الخناق عليها في الإمبراطورية.⁵

¹ Decret,F.,Op.Cit.p.146-147.

² ه ورمنقتن،المرجع السابق،ص137.

³ خديجة زموري،المرجع السابق،ص138.

⁴ جوليانوس: هو فلافيوس كلوديوس جوليانوس، ابن أخ غير شقيق لقسطنطين العظيم كان قائدا مبرزا في ميدان الحرب فانتصاراته المتتالية على ضفتي الدانوب جعلته مدعاة لحقد شديد من طرف الإمبراطور قسطنطينوس، اعتلى عرش الإمبراطورية بعد الموت المفاجئ لهذا الأخير عام 361م وهو في الثانية والثلاثين من عمره، كان فيلسوفا يحب البساطة وأبهة القصور لذا عاش صوفيا، اشتهر بكرهه للمسيحية وأراد أو يعيد أمجاد الوثنية على حساب المسيحية لذلك لقب بالمرتد أو العاصي .إسحاق عبيد الإمبراطورية الرومانية بين الذين والبربرية دراسة في " مدينة الله"، د.بط ، دار المعارف، مصر، 1972 ص 61.75.

⁵ عبد الحفيظ لعش،المرجع السابق،ص247.

استثمر الدوناتيون الفرصة بتولي جوليان السلطة وأرسلوا بعض قادتهم و بعض الأساقفة ومنهم "بونتوس(Pontius) وروقاتيانوس(Rogatianus) وكاسيانوس (Cassianus) والذين أرسلوا عرائض إلى الإمبراطور طالبين منه التدخل ليمنحهم حريتهم الدينية"¹، وكذا حرية التبشير وعودة المنفيين واسترجاع الكنائس المسلوقة منهم.² مرتكزين على القانون من أجل الحق في التمثيل الدوناتيين، ما يعني إسقاط مرسوم سابقه للوحدة الدينية.³ و قرر جوليان إرجاع الحقوق للدوناتيين، هذا القرار لم يكن يختص بالدوناتيين فقط بل حتى لصالح الأريوسيين في شرق الإمبراطورية، في إطار رؤيته للمسألة المسيحية ووقع بذلك مرسوم 362م،⁴ و بموجب القرار استعاد الأساقفة المنفيون أملاكهم، وتم تولي بارمينيانوس⁵، الذي انتخب لخلافة دوناتوس والذي عين في 362 م.⁶

على الرغم من أنه ليس أفريقيا، وبذلك أصبح الخارجون عن القانون، كما أجازهم النص الإمبراطوري السابق قانونيين في نظر جوليان، وبدأ الدوناتيون في عملية استعادة كنائسهم وممتلكاتهم وأثاثهم الكنسي، ثم تم تنقية البازيليكا المستعادة بواسطة مراسم التكفير، لتغسل الجدران والأرضيات بالماء المالح، ونحت المذابح بعناية لإزالة كل آثار الشوائب التي تلوثت بها و أعلنوا أن الأسرار المقدسة التي قدمها رجال الدين الكاثوليك باطلة، وألقوا القربان المقدس للكلاب وفي بعض الحالات، كانت عمليات الدوناتيين فيها بعض العنف وهو ما يدعيه أوبتا الميلي (Optatus Of Milev) أنها كانت مصحوبة بفظائع "لقد قلع أعين العديد من الأساقفة الكاثوليك وأن الدوناتيين غزو الكنائس و لم يبق شيء من السلام الذي فرضه الإمبراطور قسطنطين.⁷

¹ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 219.

² خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 138.

³ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 219.

⁴ كان هدف جوليان من هذه السياسة هو ازدهار الهرطقات والانشقاقات لإضعاف المسيحية وكسر قوتها في الإمبراطورية.

⁵ ه ورمقنتن، المرجع السابق، ص 138.

⁶ قاد بارمينيانوس الكنيسة الدوناتية في تلك الفترة الحرجة، هذا الأخير الذي استمرت أسقفيته حتى عام 390م، واكتسب سمعة جيدة حتى بين خصومه وعرف بالنزاهة والاعتدال. خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 182.

⁷ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 181.

⁷ Decret, F., Op. Cit. p. 146-147.

4-4 الخلاف الدوناتى الدوناتى 362-397م

شهدت الكنيسة الدوناتية في منطقة موريطانيا القيصرية بين سنوات 362-372 م، خلافا داخليا كان نتيجة لوم بعض الرفاق الدوناتيين بعضهم على عدم تسامحهم المذهبي وتواطؤهم في أعمال العنف والشغب¹ التي حولت بعض الأوفياء منهم إلى مذنبين ليتم تبرر أعمال العنف التي ارتكبتها مجموعة من رجال الدين دوناتيون باسم المسيح ضد المضطهدين.²

هذا التبرير للعنف الديني الدوناتى ، الذي يشير بلا شك إلى خلفيات عهد جوليان ،والذي تساهل ضمناً على بعض سلوكيات الدوناتيين العنيفة لذلك كان موقف أوبطاميلي في 366 م مهاجماً الأساقفة الدوناتيين من خلال إسناد المسؤولية إليهم عن جرائم الدوارين في موريطانيا، حتى أنه يتهم رجال الدين الدوناتيين بتعيين رؤساء الدوارين و استخدم الأساقفة الدوناتيون المتهمون بالعنف بدلاً من ذلك مجموعات من المؤمنين المسلحين المعروفين بالدوارين³تحت حكم الإمبراطور جوليان⁴ .

برز انشقاقاً آخر في الكنيسة الدوناتية سنة 380م بقرطاج، تزعمه كلاوديانوس (Claudianus) وهو أسقف دوناتي في مدينة روما والذي عرف خلاف بينه وبين بريميانوس في قرطاج غير أن انشقاقه لم يتعدى مدينة قرطاج ولم يستمر طويلاً إذ رجع إلى حضيرة الكنيسة الدوناتية في حوالي 392 م⁵. ويكشف لنا القديس أوغسطين عن تدخل الكنيسة الكاثوليكية من

¹ ربيع العولمي، المرجع السابق، ص323

² اعقب وفاة جوليان تصاعد حدة الصراع بين الكاثوليك والدوناتيين، وصدرت العديد من المراسيم الإمبراطورية ضد المنشقين. حيث اصدر قرارا في 17 أكتوبر 377م إلى كاهن أفريقيا، يجدد له فيه حظر إعادة التعميد وأصدر أمراً تضمن نفي كلاوديانوس ممثل الدوناتيين في روما . ربيع العولمي، المرجع السابق، ص323.

³ Pottier ,B.,Op.Cit.p.97.

⁴ في الواقع ، كان عهد جوليان أقصر من أن يكون لميوله تأثير دائم على المشهد الديني الأفريقي. استأنف الأباطرة في وقت لاحق بشكل عام السياسة المؤيدة للكاثوليكية. Decret,F.,Op.Cit.p.146.

⁵ خديجة زموري، المرجع السابق، ص148.

أجل إشعال فتيل الصراع داخل الصف الدوناتى، وأيضاً توسع المسيحية في المنطقة، حتى و إن كان عاماً وليس عميقاً في الداخل.¹

يدعي أوغسطين أن العنف في تلك الفترة قد بلغ مستويات عليا و أن العديد من الدوناتيين حاولوا منع المتحولين للكنيسة الكاثوليكية بالقوة والاضطهاد، و حملت السلطة الرومانية الدوناتيين المسؤولية عن هذه المشاكل، التي أضعفت الجزء الغربي من الإمبراطورية في وقت تمر به بوضعية صعبة و أزمة عسكرية خطيرة، و من الصعب فهم مستوى العنف الذي يريد أوغسطين اتهام الدوناتيين به إلا انه، كرر بلا كلل في كتاباته عن عدداً صغيراً من الاعتداءات الخطيرة لإعطاء الانطباع عن تفشي العنف ويذكر حادثة إعماء القساوسة الكاثوليك عن طريق صب الخل في أعينهم من قبل خصومهم الدوناتيين.²

بعد وفاة زعيم الحركة الدوناتية بارمينيانوس سنة 392م³ انتخب بريميانوس (Primianus) خلف له، إلا ان سياسته لم تكن فاعلة وقراراته تميزت بكونها مضطربة لتزيد الشكوك حوله،⁴ و تفاقم من حالة النفور منه، و تتداخل الأحداث السياسية والعسكرية في الثلث الأخير من القرن الرابع للتفجر الأوضاع في داخل الحركة الدوناتية من جديد في شكل أكثر خطورة بالنسبة للحركة الدوناتية من المحاكمات الاضطهادات التي عانت منها بسبب تحالفاتها مع ثورات فيرموس وجيلدون.

حيث اجتمع مجلس من مائة أسقف في (Cabarsussa)، في (Byzacène)، في 26 جوان 393 م وانتخبوا الشماس ماكسيميانوس، أحد أقارب دوناتوس الكبير، وهو شخصية تمثل التيار المحافظ وتدعي أنها مخلصه لأفكار سبريان (Cyprian)، والتي تعكس آراء

¹ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص151.

² Pottier, B., Op.Cit. p.104.

³ تم تعيين أوغسطين "أسقفاً جديداً لأسقفية" هيبو ريجيوس (Hippo, Regulis) في نفس السنة 392م، الذي كان له دور فاعل في إحداث انشقاق داخل الحركة نفسها، وذلك للاختلاف بينه وبينهم و باستعماله لجميع الوسائل والإمكانات بما في ذلك الدعوة إلى استخدام القوة مستفيدة من دعم السلطة على حساب الدوناتية. عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص222.

⁴ ربيع العولمي، المرجع السابق، ص447.

المؤمنين الدوناتيين وحزبهم، و استمر الصراع بين الطرفين بنفس التصميم الذي استخدمه الدوناتيون لمهاجمة الكنيسة الكاثوليكية.¹

وهكذا ، أعلن بريميانوس والأساقفة الـ 310 الذين اجتمعوا في مجلس فاغا عام 394 م لدعمه و إدانتهم للمغتصب ماكسيميانوس ومقاضاة المنشقين لاستعادة حيازة البازيليكا التي احتلوها.² وانتهى الخلاف بانتصار الفريسياترين على حزب الماكسي ميانيين سنة 397م وقرروا العفو عن بعضهم وعادوا إلى الكنيسة الأم ، الا أن ملامح الانشقاق الماكسيميانى،لم تمت فقد طالبت الكنيسة الماكسيميانية حضور مناظرة قرطاجة سنة 411م،³ وفيها، انقسمت الكنيسة الدوناتية إلى ثلاث تيارات أساسية أولها تيار يضم أنصار بريميانوس ، يشكلون الأغلبية بشكل عام وتركزهم بشكل خاص في نوميديا ، والتيار الثاني من أتباع ماكسيميانوس في المقاطعات الشرقية ، وأخيرا تيار أتباع روجاتوس⁴ وتمركزو في إقليم موريتانيا.⁵

أثر هذا الانقسام الداخلي للدوناتيين على حركتهم ،غير انه في إطاره العام لم يغير من رؤيته للطرف الكاثوليكي و لم يكن في الغالب بتلك الدرجة الكبيرة من الضعف والسوء ، حيث اتسم الطرفان المتنازعان في الكنيسة الدوناتية بسياسة موحدة تجاه خصمهم الكاثوليكي ويورد أوغسطين في ذات السياق قوله أن : العديد من الأساقفة الدوناتيين لم يتفوهوا بكلمة واحدة حتى لا يضرروا بوحدة كنيستهم في المناطق ذات الغالبية الدوناتية ، أو ضد رجال الدين الدوناتيين الذين تركوا الانقسام⁶ وهو ما يعكس وعي سياسي لقادتها على اختلافاتهم .

¹ Decret,F.,Op.Cit.p.151.

² Ibid.p.151.

³ ربيع العولمي ،المرجع السابق، ص447.

⁴ روجاتوس ، أسقف دوناتي من كارتينا ، انفصل في 364 عن الكنيسة الدوناتية في موريتانيا مع عشرات من زملائه لينأى بنفسه عنهم بعد تفشي الخلافات الداخلية. Pottier ,B.,Op.Cit.p.96.

⁵ Decret,F.,Op.Cit.p.151-152.

⁶ القديس اغسطين نقلا عن : Pottier ,B.,Op.Cit.p.104.

في 25 أوت 415 م صدر مرسوم بتعليق قانون سنة 410 م بقرطاجة، الذي يعاقب فيه بالنفي أو بالقتل لكل الهراطقة الذين يقيمون التجمعات وأوجب في 6 نوفمبر 415م بمتابعة كل من يمارس التعميد الثاني، من خلال نفي كل من يشارك في هذا الطقس ومصادرة الأماكن التي يجتمعون فيها.¹ وبعد وفاة الإمبراطور تيودوز (Theodosius Flavius) سنة 395م انقسمت الإمبراطورية الرومانية، إلى شطرين متصارعين، إمبراطورية الشرق و عاصمتها بيزنطة، و إمبراطورية الغرب و عاصمتها ميلانو حتى 402 م، لقد كان على رأس إمبراطورية الشرق أركاديوس (Arcadius)، و على رأس إمبراطورية الغرب أخوه هونوريوس (Honorius).²

في سنة 410م طلب الأساقفة الكاثوليك من الإمبراطور هونوريوس³، أن يتدخل بنفسه باستخدام سلطته لتنظيم و عقد مؤتمر، لإلزام الدوناتيين بالمشاركة فيه، بحيث يرأسه مفوض إمبراطوري يقوم بالتحكيم بين الطرفين بهدف الوحدة لمصلحة الكنيستين. وواصل هونوريوس سياسة أسلافه تجاه الدوناتيين وأصدر ثلاثة مراسيم تدعم طرح الجناح الكاثوليكي،⁴ لم يكن هذا اللجوء إلى السلطة في نزاع كنسي، جديداً على المسيحيين حيث لعب الأباطرة المسيحيين

¹ حميدة نشنش، "إجراءات الإمبراطور هونوريوس للقضاء على الحركة الدوناتية 423-393م"، مجلة الباحث، المجلد 13 العدد: 01الجزائر، سبتمبر 2021، ص571 .

² محمد الحبيب بشاري، "أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397-398"، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، المجلد 13، العدد 1، مصر، 2012، ص246.

³ يعتبر الإمبراطور هونوريوس من الأباطرة المؤثرين في الصراع المسيحي وقتها وذلك نتيجة المراسيم الاضطهادية ضد الحركة الدوناتية، و التي لم تخرج عن نهج سابقه في أمر المتعلق بالوحدة الدينية المعلنة من طرف قسطنطينوس سنة 316م وقسطانس سنة 347م، إلا أنها اتسمت بعنف والحرص على تطبيقها، خصوصا بعد مجمع قرطاجة المنعقد سنة 411 م، نظرا لأن الدوناتية أصبحت تشكل خطورة وجودية على الاحتلال الروماني ومصالحه في منطقة المغرب القديم، وبالأخص خلال السنوات الأخيرة من القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، وذلك نتيجة تحالفاتها المؤثرة والقوية سواء مع الدوارين أو مع الاخوين فيرموس وجيلدون ومانتج عن تلك الثورات . حميدة نشنش، "إجراءات الإمبراطور هونوريوس للقضاء على الحركة الدوناتية 423-393م"، مجلة الباحث، المجلد 13 العدد: 01الجزائر، سبتمبر 2021، ص561 .

⁴ خديجة منصوري، المرجع السابق، ص139.

بالفعل دورًا مركزيًا في أزمنة عديدة مثل مسألة أريوس، وفي أصول الانقسام الأفريقي كان الدوناتيين أول من لجأ إلى قسطنطين كحكم بينهم وبين الكاثوليك.

في 14 أكتوبر 410 م انحياز الإمبراطور بشكل واضح حيث نظر في القضية بالفعل لصالح الكاثوليك وعين عضو مجلس الشيوخ الشاب، فلافيوس مارسيلينوس و وصل في نهاية العام إلى قرطاج، وأصدر في 19 جانفي 411م¹ مرسومًا يقضي بإدانة جميع الأساقفة الأفارقة الدوناتية، ومُنح للسلطات المحلية حق مصادرة، أماكن العبادة التي تم سحبها بالفعل تطبيقًا للقرارات السابقة، بالإضافة إلى ذلك، أمر مارسيلينوس القضاة تحت طائلة العقوبات بتعليق جميع الإجراءات ضد المنشقين حتى صدور الحكم النهائي.²

انتصار الكنيسة الكاثوليكية من خلال " مرسوم اتحاد " جديد في 30 جانفي 412م، أقره هونوريوس، وأدان الدوناتيين المتعصبين من خلاله بعقوبات مالية تصل إلى مصادرة جميع ممتلكاتهم،³ لقد صدرت في عهد هونوريوس وتحت حكم خليفته فالنتينيان الثالث، ثمانية قوانين تقن الصراع المسيحي.⁴ ما يجعلنا هذا نتساءل حول سلوك السلطة الرومانية الذي يأخذ المنحى القانوني وهي القدرة على اختراقه بالتعسف والعنف الغير الخاضع للقانون، الا أن الأباطرة الرومان في وجه الدوناتية حاولوا تقنين الصراع المسيحي في كل مرة وتقيده بسلسلة من المراسيم والقوانين.

¹ تم تثبيت أحقية الكاثوليك من قبل السلطة الرومانية من حيث كون كنيستهم هي الممثل الشرعي والأحق في أفريقيا وهم الأجدر بحمل لقب الكاثوليك من الدوناتيين المدعين هذا الموقف له أهمية كبيرة من حيث ربط مسيحي إفريقيا بكل مسيحي الإمبراطورية وتهميش واقضاء الدوناتيين من أي دور محتمل في الكنيسة المسيحية ما يضمن وحدة الصف المسيحي للسلطة الرومانية.

² Decret, F., Op. Cit. p. 160.

³ ه ورمقنن، المرجع السابق، ص 130.

⁴ Decret, F., Op. Cit. p. 165-166.

5- الدوناتية وعلاقتها بحركة الدوارين

1-5 ظهور حركة الدواريين في بلاد المغرب القديم 330-347م

عرفت منطقة بلاد المغرب القديم في الأساس بكونها منطقة زراعية وخاصة نوميديا التي أصبحت محاصيلها مطلوبة بشكل أكبر لتزويد روما، ونتيجة لذلك أصبحت الأعباء تقريبا غير محتملة بل وغير ممكنة في بعض الأحيان كما هو الحال في أماكن أخرى في الإمبراطورية، و تحت الضغط الاقتصادي والعبء الثقيل للضرائب خصوصا في بلاد المغرب القديم، ما نتج عنه نقمة المزارعين من البلاد وتحول ملكية الأرض و كذا سعى المحرومون والفقراء إلى البحث عن مصادر لعيشهم كل تلك الأوضاع فاقمت مظاهر العبودية والظلم

شكلت تلك الوضعية عامل اضطراب اجتماعي واقتصادي يتفاقم بتسارع كبير ضف إليه أن مالكي لأراضي كانوا من الرومان، وفي كثير من الأحيان غير مقيمين، ثم مع تنفيذ المسيحية أصبحوا مسيحيين لتصبح الكنيسة نفسها مالكة للأرض لتتحول من عبودية السيد الروماني الوثني لعبودية السيد المسيحي، جلبت هذه الوضعية شعورا متنامي من النقمة والسخط الشعبي انفجر في وجه الدولة الرومانية رافعا في الواجهة العبء الثقيل للضرائب، والنظام التعسفي لحيازة الأراضي.¹

كذلك ضعف الإنتاج وتراجعت قيم الذهب والفضة في سبك النقود ما عمق من مشاكل طبقة الفلاحين الذين يرتبطون بالأرض التي لا يمتلكونها،² هذه الصعوبات الاقتصادية انتهت كثورة اجتماعية واستفادت الدوناتية من تلك الثورة التي لم تكن جزءا من سياستها الأصلية،

¹ Beaver , R.,Op.Cit.p.125.

² عبد الحميد عمران، " ثورة الدوارين (الريفية) و ارتباطها بالحركة الدينية (الدوناتية) 347- 411 م في بلاد المغرب القديم "مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 5، جامعة نواكشوط، أوت 2015، ص76.

و اتخذت هذه الثورة شكل الدوارية السيركوميونية منطلقاً من منطقة الأوراس من ماسكولا¹ ثم سرعان ما انتشرت في كامل المنطقة.²

كان بارمينيون أسقف قرطاجه الدوناتى أول من أشار إلى الدوارين³ تعود أولى تجمعاتهم على ما يبدو إلى عام 317 م، بعد أمر قسطنطين⁴ بتسليم الكنائس الدوناتية إلى الكاثوليك،⁵ وشكل الدوناتيين فيها فئة مؤثرة ، ولعل أبرز مثال هو زعيمهم الأكثر شهرة ، الأسقف أوبتاتوس ثاموغادي.⁶ وفي عام 340 م برز كل من أكسيدو (Axido) و فاسير (Fasir) في قيادة جموع الدواريين في نوميديا وكانت موجهة في البداية ضد أغنياء المنطقة،⁷ وتشكلت هذه الجموع بالأساس من المزارعين والذين عانوا من تدهور أوضاعهم المعيشية وشكلوا جبهة ناقمة على الملاكين والسلطات الرومانية والكنيسة الكاثوليكية وفي سنة 347م، استمالهم دوناتوس لصفه بعد أن وصفهم بالآباء القديسين.⁸

في محاولة لإضفاء القداسة الدينية عليهم وعلى أعمالهم ما يزيد من حماسهم واقتناعهم بعدالة القضية تحت زعامة دوناتوس. و اندلعت ثورة الريفيين في النصف الأول من القرن الرابع ميلادي في السنوات ما بين 330م و 340م ، وتوسعت في شكل ثوري مكثف كان أهمها وأكثرها الذي

¹ مدينة خنشلة حالياً.

² Beaver , R.,Op.Cit.p.125.

³ ه ورمنقن،المرجع السابق،ص 128.

⁴ يؤكد أوبتاتوس Optatus Of Milev أن هذه الأحداث وقعت قبل وقت قصير من اجتماع الكنيستين في 347 م ممن قبل الإمبراطور قسطنطينوس، تم وضعها تقريباً في 340 م ، حتى لو كان التسلسل الزمني ابتاتوس غير مضبوط، فقد حدثت هذه الأحداث قبل ذلك بقليل في عام 330م. لكن من الصعب بالفعل تحديد متى. Pottier ,B.,Op.Cit.p.46.

⁵ Beaver , R.,Op.Cit.p.126.

⁶ Ibid.p.127.

⁷ ه ورمنقن،المرجع السابق،ص 128.

⁸ عبد الحميد عمران،المرجع السابق،2015،ص86.

حدث سنة 347 م، في خضم الصراع الدوناتي الكاثوليكي ليتم وسم أصحابها باسم الدوارين أو " السيركونسيليون (Circoncellions)¹ والذي أطلق عليهم من قبل أعدائهم.²

كما نجد مصطلح القادة القديسين أو الآباء القديسين (Duces Sanctorum) الذي كان سيستخدم من قبل الدوارين لتعيين قادتها كما وصفهم دوناتوس زعيم الحركة الدوناتية ، ويشير أوبتات أيضًا إلى أن الدوارين أطلقوا على أنفسهم اسم (Agonistici) أي مقاتل ، وهو مصطلح يشير إلى مقاتلي الله الذين يأملون في الاستشهاد، وهكذا منذ ظهورها لأول مرة في المصادر ، تم ربط تعريفها بالاستشهاد،³ لينصبوا أنفسهم مدافعين عن كنيسة دوناتوس ، وذلك لكون قادتهم في كثير من الأحيان رجال دين دوناتيين.

كما أطلقوا على أنفسهم أيضا اسم (Milites Christi) أي جنود المسيح أما الكاثوليك فأطلقوا عليهم لقب "الطوافون الدوارون" بسبب حياتهم البدوية في المناطق الريفية حيث وجدوا مأوى في أكواخ الفلاحين⁴ وهاتين التسميتين الأخيرتين كانتا بعد التحالف مع الحركة الدوناتية في سنة 347م، خلال فترة الاضطهاد الثانية، وليطلق عليهم أيضا صفة مقاومي بناء الوحدة (Operarii Unitatis) ، وهي صفة ظهرت بعد حملة بوليوس و ماكار يوس لعام 347م بعد القرار الإمبراطوري الرامي إلى فرض الوحدة الدينية وما تلاه من مجازر في صفوف الأهالي، الراضين لتدخل السلطة

¹ Cellacirum مصطلح اللاتيني يتركب من جزأين Cella-Cirum ، فالجزء الأول يعني " حول " أما الجزء الثاني " كيلا - Cella " فمعناه أما " هري " وجمعها " أهراء " ، أو مخزن الحبوب. محمد المبكر ، "حركة الدوارين في شمال أفريقيا في القرنين الرابع والخامس الميلاديين" ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، 1984، ص259.

² محمد المبكر ، المرجع السابق ، ص259.

³ Pottier ,B.,Op.Cit.p.50-51.

⁴ Beaver , R.,Op.Cit.p.126.

في الأمور الدينية كما عبر عنه دوناتوس: ما الذي يجمع الإمبراطور بالكنيسة، أم هم الطوافون حول أضرحة الشهداء؟¹ لما يحمله هذا المدلول من معنى ديني محض بعد الارتباط بالحركة الدوناتية.²

يرى القديس أوغسطين بأن الدوارين تابعين للدوناتيين ويصف أعمالهم بالقول: تطير أسرابهم يمينا وشمالا على شكل عصابات من المجانين المسلحين بالسيوف والعصي يقومون بالعديد من المذابح ولا يكتفون بالهجوم على غيرهم بل يلقون أنفسهم من أعلى الجروف . كإشارة منه إلى طلبهم للاستشهاد، و يبدو فإن الكنيسة الدوناتية لم تكن على وفاق دائما مع الثوار الريفيين.³

قدمت الأدبيات التاريخية للمدرسة الاستعمارية ومن قبلها المؤرخين الرومان حركة الدواريين عن كونهم حركة تمرد تم تجنيد أصحابها من السكان الساخطين من كل المناطق والعبيد الهاربين والمزارعين المقهورين و المجرمين الخارجين عن القانون والكاثوليك المطرودين من كنيستهم الأم، والدوناتيين الناقمين والمتمردين ، في إغفال وتجاوز واضح لمسبباتها الفعلية والتي نستطيع تلخيصها في الفقر والوضع الاجتماعية المزرية ثم مشكلة العبودية والسخرة الضرائب و أيضا الأعباء المالية ،إضافة إلى مصادرة الأراضي وحيازتها من قبل السلطة الرومانية ، و فشل سياسة الرومنة وانعكاسات سياسة التهميش الرومانية ، وكذلك انعكاسات الصراع الوثني المسيحي على المنطقة.

¹ أما الآراء الأخرى التي تفسر ماهية الدوارين فإنها تقول بأن الدوارين كانوا رهباناً متنقلين (Cator بمعنى بيوت الرهبان) والظاهر أن البعض وقع هنا في خلط بين الرهبان الذين كانوا يغادرون أديرتهم في القرن الخامس وبين الدوارين الذين وجدوا منذ سنة 340م على الأقل، هذا فضلا عن أن الدوناتيين كانوا يعارضون مبدأ الرهينة لدرجة أن أحد أساقفتهم يعيب على أغسطس كونه أدخل هذه الظاهرة إلى إفريقيا. ثم إن الدوارين لو كانوا رهباناً لما فرض عليهم القانون غرامة عشرة أرتال من الفضة ، أما رأي W..C. Frand القائل بأن الدوارين كانوا خليطاً من السكان يجمعهم نشاط واحد هو ارتياد أضرحة الشهداء، فإنه مجرد تأويل لكلمة Cotos التي لا تعنى حسب رأيه مستودعات. محمد المبكر، المرجع السابق، ص265.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، 2015، ص79.

³ القديس أوغسطين نقلا عن : Decret,F.,Op.Cit.p.138.

هذه الحالة الاجتماعية والاقتصادية وكذا الدينية أصبحت المحرك لجموع الدوارين، انطلاقاً من ترتيبهم في سلم الفئات الاجتماعية المقهورة، الذين يبدو أنهم كانوا أحراراً إلا أنهم في مرتبة أعلى من العبيد¹ ما جعلهم منفصلين عن باقي طبقات المجتمع وعمد الرومان إلى زيادة الضرائب على الفلاحين خاصة أنهم كانوا من المزارعين بالحصّة (Coloni)، وإضافة لكونهم يعيشون في الملكيات الكبرى التابعة للإمبراطور أو لبعض كبار الملاك المحتكرين ومعظمهم من غير القاطنين في أفريقيا². زاد ذلك من كاريثية وضعيتهم، والواقع أن حالة السكان كانت قد ساءت خلال القرن الثالث والرابع للميلاد ليغادر المزارعون حقولهم واتسعت مساحات الأرض البور خاصة في الأراضي قليلة الخصوبة، والتي كانت الضرائب فيها تقارب أو تتعدى المحصول الزراعي الذي يمكن أخراجه³.

أجج ذلك نيران "الثورة الاجتماعية" لوضع حد لتسلط المالكين و تحرير المدنيين التعمساء، الذين يتم سحقهم أحياناً تحت مطالب الدائنين الذين لا يرحمون⁴. وضعية الدوارين و سكنهم بالأرياف و ترحالهم جعلهم بعيدين عن سياسة الرومنة بل حتى سكان المدن المحليين الذين كان أغلبيتهم يتحدثون البونيقية ولم يستعملوا اللاتينية إلا في مراسلاتهم الرسمية وإما الريف فليس من شك إن القوم ضلوا دهرًا طويلاً يجهلون اللاتينية⁵، ما يزيد من التأكيد على كون الرومنة والطبقات المثقفة هي من تصدرت المشهد المسيحي وأن الدواريين كانوا بعيدين عن تأثيرات الرومنة لينعكس ذلك في اتساع الهوة بين طبقتهم وباقي الطبقات .

واكب هذه الأزمة تزايد ضغط الأفارقة الأحرار على الحدود الرومانية، وبدؤوا يتسللون داخل تلك الحدود ويلتحق بعضهم بصفوف العمال الموسميّين، مما يفسر جزئياً أن الدوارين كانوا في معظمهم من العناصر الوطنية غير المترومنة أو قليلة الترومن. ولا يتكلم أغلبهم

¹ محمد المبكر، المرجع السابق، ص 265.

² نفسه، ص 265.

³ Decret, F., Op. Cit. p. 138.

⁴ Ibid. p. 138.

⁵ حميدة نشنش، "سياسة روما الثقافية وأثرها في بلدان المغرب القديم"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 9، العدد 2، 2021، ص 21.

باللغة اللاتينية¹ أما العامل الديني الذي يتمثل في المسيحية عموما والتي اعتنقها كثير من الفقراء والمعوزين الذين وجدوا فيها ملاذا لهم من الاضطهاد الروماني ، في وقت كانت فيه المسيحية في توسع كامل ،² على حساب السلطة الوثنية القمعية ، وقبل تنصر الطبقات العليا من المجتمع كانت المسيحية في أعين الضعفاء ديانة محاربة السلطة والطبقية وديانة المقهورين وقد حركت العقيدة الاستشهادية عند المسيحيين روح الثورة والمقاومة عند الدواريين ، وتبنى الدوناتيين نهجا دينيا ثوريا في وجه السلطة، كان محركا دافعا للدواريين وتحالف الطرفين ، سواء ضد الكاثوليك أو ضد السلطة الرومانية نفسها .

5-2 تطور حركة الدواريين وتحالفها مع الدوناتيين 347-412م

مرت حركة الدواريين بأدوار كان بدايتها حادثة أوكتافيا³ إلى معركة بغاي سنة 347 م ، شكلت على مدى سبع سنوات تهديدا مباشرا للسلطة الرسمية في عدة مناطق من المغرب القديم و ليصبح هتاف الثورة عن طريق ثوارها : "الحمد لله"⁴ امتدت وتوسعت على أثرها ثورة الريفيين إلى العديد من المناطق في نوميديا وانضمت إليها العديد من القبائل⁵.

أدت تنامي قوة الدواريين إلى تزايد أعدادهم المنخرطين في صفوفهم ، حتى أصبحوا يشكلون كيان مهدد لاستقرار التواجد الروماني بالمنطقة ، ويقول أوبطاميلي بأنهم كانوا يعترضون عربات السادة فينزلون السيد ويجبرونه على السير حافي القدمين، ويركبون بدله

¹ محمد المبكر، المرجع السابق، ص265.

² Decret, F., Op. Cit. p. 138.

³ يذكر "أوبطاميلي" أن الأساقفة الدوناتيين وجهوا نداءً عقب أحداث سنة 340م إلى القائد الأفريقي من أجل كبح جماح هؤلاء وطلبوا من تورنيوس Taurinus إعادة هؤلاء إلى الطريق السوي، مما جعل الأخير يرسل جنوده إلى الأسواق التي يتواجد بها الدواريون وحدثت مجزرة في قرية "أوكتافا Octavensis المعروفة بإحداث أوكتافا لاحقا . عبد الحميد عمران، المرجع السابق، 2015، ص80.

⁴ عثر على هذا الشعار في بقايا أثرية في كل من خنشلة بغاي و عين البيضاء والعديد من المناطق الأخرى. خديجة منصور، المرجع السابق، ص118.

⁵ حمودي نبيلة، "الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان" ،مجلة المراقب للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ،ديسمبر 2020، المجلد 16، العدد4، الجزائر، ص46.

عده،¹ و لعل مبالغتهم وتطرفهم في عدم الاعتراف بالأنظمة القائمة قد أخرج رجال الدوناتية فطالبهم بعضهم بالكف عن العنف، وهو ما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن الدوارين لم يكونوا يمثلون وجهة نظر الدوناتية في الصراع القائم آنذاك.²

كانت أعمال العنف لم تختص بالمسيحيين الكاثوليك فقط بل كانت قد سجلت من قبل حيث هناك إشارات إلى أن هجمات الدوارين كانت ضد الوثنيين و حدثت في أوائل القرن الرابع ، حتى قبل زمن أكسيدو وفاسير، هذه الهجمات على الوثنية تم إثباتها أيضاً في زمن أوغسطين ، في شكل أكثر عنف حيث كتب اوغسطين مع بداية القرن الخامس للميلاد ، عن تدمير المعابد الوثنية التي قام بها الأساقفة دوناتيون الذين زُعم أنهم استخدموا الدوارين لهذا الغرض.³

وفي منطقة سيفيس(Sufus)سرق بعض المسيحيين تمثال هرقل معبود بعض الوثنيين ليدخلوا في صدام معهم وسقط منهم 60 شخصا وذلك في 30 أوت 399 م.⁴ هذا السلوك العدواني تجاه الوثنيين يعبر العنف المضاد الذي مارسه المسيحيون أنفسهم تجاه الوثنيين . و كانت هذه الهجمات ضد الأغنياء ، لصالح الفقراء والمضطهدين في كثير من الأحيان فردية ولم تكن هذه الثورة جزءاً من السياسة الدوناتية المنتظمة ضد السلطة في تلك الفترة ولم يتم اعتمادها رسمياً من قبل الكنيسة الدوناتية .

ومع ذلك فإن الدوارين لم يكونوا أولاً وقبل كل شيء ثوريين اجتماعيين ، لان الصبغة الدينية تبدوا واضحة ذلك أن إحدى خصائصهم الأكثر وضوحاً هي التطلع إلى الاستشهاد ، الذي اعتقدوا أنه يمكن تحقيقه وكانوا يلقون أنفسهم على المنحدرات أو في الماء أو في النار⁵،

¹أوبط الميلي نقلا عن محمد البشير شنيبي، المرجع السابق،2003،ص183.

²نفسه،2003،ص183.

³ Pottier ,B.,Op.Cit.p.78.

⁴ عبد الحميد عمران، المرجع السابق،ص157.

⁵ يفسر سينت جوديتيوس وهو أسقف دوناتي لتيمقاد في 420 م ، الانتحار بالرغبة في الفرار من دنس عالم فاسد ، في امتداد للمعتقد اليهودي حول الاستشهاد على غرار الكاهن اليهودي راسياس في زمن المكابيين، حيث أن الاستشهاد بأي شكل من الأشكال ، كان من المفترض أن يسرع بعودة المسيح. شكّلت حالات الانتحار هذه بلا شك بديلاً فقط عندما كان الاستشهاد الطوعي الحقيقي مستحيلاً. Pottier ,B.,Op.Cit.p.87.

فتمنوا الموت ولم يجدوا من يخافونه لقتله بسيفه ، ألقوا أنفسهم فوق الصخور ، أو رموا أنفسهم في النار ، سعوا بذلك إلى التأكيد على أنهم بذلك يفرون من مضطهديهم¹.

يبدو أن ممارسة الاستشهاد الطوعي قد سبقت الهجمات ضد كبار ملاك الأراضي التي ارتكبت تحت إشراف قاداتهم،² رغم ان النشاط الرئيسي للدوارين في السنوات 370-380م شهد ذروة عمليات الاستشهاد .³ هذا التضارب نستطيع فهمه من خلال تأثير التحالف الدوناتي والخلفية المسيحية المتأثرة بالشهادة، إضافة لكون زمن الاضطهاد الكبرى ليس بالزمن البعيد عن مخيلة المجتمع المسيحي والوثني على السواء في شمال أفريقيا.

إن العلاقة بين الدوارين والدوناتيين ، معقدة وتتعلق بآليات الصراع ضد السلطة وان كانت لها جوانب أيديولوجية، إذا كان الصراع الدوناتي الكاثوليكي كما يبدو لنا يعتبر تمرد ضد السلطة وشقا للصف المسيحي الأفريقي وبالتالي ضربا للمصالح الرومانية ، فإن الدوارين يقدمون أنفسهم أيضا بنفس الصورة المهددة للمصالح الرومانية وحركة لها خلفيتها الدينية والاجتماعية ، إن استيعابنا للحركتين بمثابة اندماج واستيعاب الديني في المجتمع وهو وجد حين التقى الدوناتيون والدوارون في نفس الخط وعلى اعتبار الحركتين تنقاسمان نفس المشتركات الاجتماعية والاقتصادية والدينية.

نجد دوناتوس بفضل قراءته البارعة للحالة السياسية والاجتماعية في المنطقة في الاستعانة بقوة المقاتلين الدوارين ليكون أول ارتباط بين الحركتين في أحداث بغاي بعد أن وجه دوناتوس دعوة إلى هؤلاء الدواريين للمقاومة أي كانت وسائلها من عصي أو المقاليع والحجارة ، أو السيوف والفؤوس،⁴ أن هذا الارتباط الدوناتي مع الدوارين كان محل جدل حيث نجد هناك العديد من القراءات لطبيعة العلاقة بين الطرفين .

¹ Beaver , R.,Op.Cit.p.133.

²Pottier ,B.,Op.Cit.p.46.

³Ibid.p.51.

⁴ عبد الحميد عمران ، المرجع السابق، 2015، ص84.

أولها أن الدوناتية لم تكن تعترف بحركة الدوارين بل عملت على قمعها وذلك لان الأسقفية الدوناتية ، في السنوات 340-350 م، مقسمة بين أنصار وأعداء الدوارين، وهكذا عارض الأساقفة الدوناتيون الدوارين طالبوا السلطة بتدخل لضرب أكسيدو وفاسير¹ ويدعم هذا التوجه أوغسطين نفسه حيث أن الأساقفة الدوناتيين أثناء الهجمات التي شنها أكسيدو وفاسير، هم أنفسهم الذين طلبوا التدخل بالقوة والعنف من القائد الروماني تورينوس (Taurinus) ، لأنهم لم يتمكنوا من احتواء الدواريين ، لقد طلبوا منه إعادة الدوارين إلى الانضباط ، ولا شك أيضا الانضباط الكنسي.²

كما بقي الدوناتيون لفترة طويلة يرفضون أن يدفن موتى الدوارين في المقابر التابعة لكنائسهم³، و منهم كلاروس (Clarus) كاهن قرية سيبلونيس (Locus Subbulensis) الذي عارض أسقفه ورفض ذلك على اعتبار أن الدفن محرم في بيت الرب،⁴ واستمر ذلك الخلاف حول الدفن إلى القرن الخامس للميلاد.⁵ والثاني أن الدوناتيين استغلوا الثورة الريفية للدوارين في إطار صراعهم مع المسيحيين الكاثوليك من جهة والسلطة من جهة أخرى و دعمت الحركة الدوناتية الدينية بحركة اجتماعية واعتبرت الجناح العسكري لها، هذا الطرح دعمه بروسون (J. P Brisson) وحاول إظهار اقتران هذه الحركة الدينية الدوناتية بالثورة الاجتماعية للدوارين ، في الريف الغني بشمال أفريقيا ، وخاصة في سهول نوميديا ، ضد السادة والملاك.⁶

و أكد على استغلالها من الدوناتيون بذكاء ، غير أن التحالف الذي كان بين الدوناتيين والدوارين، كان ظرفيا يتخلله نوع من الحذر والتخوف من جانب الدوناتيين، ذلك أن الكنيسة تعاني أزمات الانقسام والتشتت بين جناحين معتدل يضم الإكليروس الأعلى الذي لا يحبذ

¹ Pottier ,B.,Op.Cit.p.55.

² Ibid.p72.

³ Decret,F.,Op.Cit.p.138.

⁴ عبد الحميد عمران ،المرجع السابق،2015،ص45.

⁵ Hoover, J.A.,Op.Cit.p.34.

⁶ Meslin,M., Hadot, P.,Op.Cit.p.145.

التعامل مع الدوارين وجناح متطرف يضم بعض الأساقفة ورجال الدين الصغار، وهذا الطرف هو الذي كان يتعاون مع الدوارين.¹

نجد أنه في الفترة بين سنوات 412 م- 471 م أن حركة الدوارين أصبحت عبارة عن مجموعة عناصر لا يمكن السيطرة عليها بالنسبة للأساقفة الدوناتيين، الذين استخدموها كرأس حربة للدفاع عن كنائسهم، حيث شكلوا، فئة من المواطنين مدرجين في أسفل السلم الاجتماعي لضرب السلطة،² إلا أن أعمالهم كانت متقطعة وغير مستمرة،³ في النصف الثاني من القرن الرابع وبداية القرن الخامس في أعمال أوغسطين اتهمهم بارتكاب العديد من الهجمات على رجال الدين الكاثوليك، خاصة بعد الحظر النهائي للدوناتية في عام 405 م.⁴

أما الطرح الثالث فيقر بأن الدوناتية وجدت في ثورة الدواريين الحليف الطبيعي لها لما يربط كلا الحركتين من مشتركات دينية واجتماعية حيث كان معظم الدوناتيين من الأهالي الذين تغذيتهم آمال الاستقلال عن السلطة الرومانية.⁵ وإن كان التحالف بين الحركتين ليس بالضرورة ان يكون بين قادتها بل بين جموعها أحيانا مثل ما حدث حول ضحايا اوكتافيا تلك المصادمات بداية ارتباط وتلاحم ما بين الدوناتية و الثورة الريفية لأن مبشري الدوناتية كانوا أكثر تلاحما وصلة بالريف كما كانوا أكثر إطلاعا على حقيقة الدوارين فتعاطفوا معهم ووقفوا إلى جنبهم على عكس أساقفتهم.⁶

كما نجد نفس التلاحم حين فرض الإمبراطور ثيودوسيوس قانونه المؤرخ في 391م هذا القانون منح حقاً لمالك الأرض أن يقتل مدنياً أو جندياً دخل مجاله ليلاً أو هاجم الناس على طريق، وبالمقابل ساعد الدوارون الدوناتيين في استعادة كنائسهم كما حدث في 408م⁷ لقد أصبح الدوارون

¹ حمودي نبيلة، المرجع السابق، ص42.

² Decret, F., Op. Cit. p. 145.

³ هورمنقتن، المرجع السابق، ص129.

⁴ Pottier, B., Op. Cit. p. 45.

⁵ محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر، 2013، ص59.

⁶ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، 2015، ص80.

⁷ Pottier, B., Op. Cit. p. 104.

لهم نفس الأهداف الدوناتية ويشترون في نفس الخصم لذا فإن ظروف اضطهاد الدوناتية هي التي أدت بالدوناتييين رغما عنهم على ما يبدو إلى الاعتماد أكثر على الفئات من المجتمع، ومن بينها الدواريين¹ أو يؤكد فانيير (Vannier)، أن الدواريين عاشت تاريخها ، جنباً إلى جنب مع الدوناتية.² بنفس المشتركات والأهداف ما يثبت براعة وذكاء قادتها في استغلال الفرص ودعم التحالفات و تثبيت المشتركات والأهداف والتأكيد على كونهما ليستا مجرد حركتين تحكمهما العبثية المطلقة، كم أريد لنا أن نفهم من أصحاب المدرسة الاستعمارية، وممن سبقهم من الرومان الذين لم يخرجوا الحركتين من دائرة التمرد والفوضى والعنف.

6-الحركة الدوناتية وعلاقتها بثورتي فيرموس(Firmus) وجيلدون(Gildon) (

6-1 ثورة فيرموس (Firmus)372-375م

شهد القرن الرابع الميلادي اضطرابات وثورات كثيرة ولعل أهم تلك الثورات هي ثورة الأخوين فيرموس وجيلدون وذلك لتحالفها الوثيق مع حركة الدواريين والحركة الدوناتية، وما يعكسه ذلك من أزمة عاشتها السلطة الرومانية، وإثباتا لفشل سياساتها في قمع روح المقاومة في بلاد المغرب القديم. و مع انتشار التهديدات الخارجية و اتساع نطاق حركات التمرد و عجز الجيش الروماني عن فرض الأمن ، لجأت السلطة الرومانية إلى سياسة التودد إلى زعماء القبائل المورية و منحهم الامتيازات المختلفة ومنهم أسرة نوبل(Nubel) والتي تنتمي إلى قبيلة (Jubaleni)يوباليني المحلية،³ هذه الأسرة كانت سببا في بروز خلاف تحول لثورة لاحقا بعد جملة من التغيرات التي أدت بالأوضاع للتفجر في وجه روما .

تعود أسباب قيام الثورة إلى الخلاف الذي حصل حول وراثة الحكم بعد وفاة نوبيل حيث تنازع الإخوان فيرموس والذي يرى في نفسه الأحقية مع أخيه زاماك ليقوم فيرموس بقتل

¹ محمد المبكر، المرجع السابق، ص267.

² Vannier,M., Op.Cit.p.51.

³ محمد لحبيب بشاري، المرجع السابق، ص247.

زاماك¹ دفع وقتها برومانوس المكلف الروماني على أفريقيا من قبل الإمبراطور بالتأثر لمقتل حليفه وصديقه².

واتهام فيرموس بالتمرد على الرومان وخروجه عن سلطتهم ، والظاهر هنا أن رومانوس بسلوكه العدائي تجاه فيرموس كان يغطي على حالة الفساد المالي الذي بلغ أقصاه من خلال استغلال السكان وجباية الضرائب والأموال لصالحه ، دون رقابة ولا محاسبة من قبل الإمبراطورية ، التي كانت تمر بمرحلة صعبة نتيجة القلاقل والاضطرابات وحركات التمرد التي عرفها القرن الرابع للميلاد ، بعث الإمبراطور الروماني على إثرها لجنة لتتقصى أمر رومانوس إلا أن الأخير قام برشوتها لتعود بتقرير يبرء ساحة رومانوس³ ويعتبر المؤرخ الروماني أميان (Ammien Marcellin) أن مسؤولية ثورة فيرموس تقع على رومانوس⁴ لما خلفه من سوء وتدهور في أحوال الحكم والسلطة في أفريقيا،⁵ غير أن هناك أسباب أخرى دفعت باتجاه التمرد، وأخذت بالأمر للثورة.

نُقل الخلاف ضد السلطة من خلاف حول أحقية الحكم في العائلة المورية إلى ثورة شعبية بعد التحالفات التي قام بها فيرموس حيث تحالف مع القبائل الموريطانية ضد الرومان⁶ منطلقا من حالة العداوة والظلم والاضطهاد الذي تعانیه القبائل المحلية ، و مالبت أن توسع تحالفه ليتحالف مع حركة الدوارين لينظم ثوارها⁷ إلى ثورة الأمير فيرموس بعد سنة 372م⁸ والتي رأت فيه الرجل المناسب

¹ ان الخلافات العائلية والصراع على السلطة هي من أجبت نيران الثورة خاصة وان الأسرة بأكملها حليفة للرومان منذ نوبيل فضلا عن كون علاقة الإخوة بين زاماك و فيرموس لم تكن صلبة لأن زاماك ابن إحدى خليلات نوبيل ما يرجح كون الصدام بين الأخوين قائما من قبل موت أبيهم . عبد الحميد عمران ، "مقاومات الاحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372م نموذجا" ،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 2، الجزائر ، ديسمبر 2015، ص5.

² عبد الحميد عمران، 2015، المرجع السابق، ص4.

³ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ديسمبر 2015، ص4.

⁴ Ammien Marcellin, Histoire, Xxviii.5.2, Tra ,Lourdet, Librairies Broyset, Paris .

⁵ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ديسمبر 2015، ص4.

⁶ محمد الهادي حارش ، "ثورة فيرموس" ،مجلة الدراسات التاريخية ، المجلد 5، العدد 1، الجزائر ، جانفي 1993، ص12 .

⁷ دخل الثوار الريفيون في ثورة فيرموس كفته اجتماعيه متجانسه اقتصاديا واجتماعيا ولم يدخلوا قبائل أو كمجموعات قبلية وهو ما جعلها تأخذ طابعا ولونا قريبا بز عامة جلدون وثيرموس ونجحت روما في سياسة فرق تسود في أن تفتت هذه الحركة . محمد البشير شنياتي ، المرجع السابق ، ص186.

⁸ عبد الحميد عمران ، المرجع السابق، 2015، ص85.

لقيادتها ، ولاحقا تحالفه أيضا مع الدوناتيين، هذا التحالف الذي يقوم على الخلفية الدينية المناهضة للسلطة الرومانية الكاثوليكية من جهة والقمعية من جهة أخرى وهكذا سيطر فيرموس على كامل المنطقة الشرقية من موريطانيا القيصرية وأصبح إقليم متيجة الحيوي تحت حكمه ونفوذه بل أن نفوذه وصل لدرجة أن فتح له أسقف روسوبيكاري (Rusubbicari) الدوناتى المدينة¹ بعد أن وعده فيرموس بأن لا يلحق الضرر بسكانها.²

تطور الصراع بين فيرموس والقادة الرومان دفع الإمبراطور أن يرسل أحد أبرز قادته وهو ثيودوز في 372م الذي نزل بجيجل ليوقف توسع ثورة فيرموس ونجاحها،³ ووقعت المعركة الفاصلة بين القائدين وانتهت بخسارة فيرموس ، ليتوجه الأخير إلى قائد قبيلة ايزافلاسن ويطلب معونته غير أن الأخير تحالف مع ثيودوز خوفا على مصالحه من الرومان في خيانة لحليفه فيرموس الذي انتحر سنة 375م.⁴ قبل أن يسلم مهزوما ومخدولا للرومان . إلا أن تبعات ثورة فيرموس لم تنتهي فقد أعقب ثورته قيام ثورة أخيه جيلدون ، بعد الصراع الذي نتج عن تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين، غربية بقيادة هونوريوس، وأخرى شرقية بزعامة أركاديس وبدأ يتأهب للانفصال عن السلطة الرومانية خاصة وأنها استنفذت حاجتها من جلدون و لجأت إلى أخيه ماسكزال ليكون قائدا للجيش الروماني.⁵

2-6 ثورة جيلدون (Gildon) 396-398م

تحالف جيلدون مع القائد الروماني تيودوز، و كان مساعدا له ضد أخوته و كافأته روما على موقفه هذا وعين سنة 385 م قائدا للقوات الرومانية في أفريقيا ، ما سمح له بقيادة كل القوات الرومانية بأفريقيا،⁶ بعد تحالف جيلدون مع روما مدة 12 سنة أدرك أنها لن تكون

¹ الغالب أنها مدينة زموري بولاية بومرداس حاليا .

² ربيع العولمي ، "المقاومة المورية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم ثورة الأخوين فيرموس وجيلدون 372 م-398م"،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،العدد 3،جانفي 2022،ص20.

³ محمد الهادي حارش،المرجع السابق،1993، ص 12 .

⁴ نفسه،ص15 .

⁵ حمودي نبيلة،المرجع السابق،ص44.

⁶ محمد لحبيب بشاري،المرجع السابق،ص248.

الحليف الحق و عقب سقوط أخيه فيرموس أحس بأهمية التخلي عنها، و رفض جيلدون طلب الإمبراطور "تيودوسيوس" مده بالمساعدات في حربه ضد خصمه أوجينيوس (Eugenius) (في سنة 392م بروما¹).

نقل جيلدون صراعه الشخصي مع السلطة إلى المستوى الشعبي لتقوم الثورة الشعبية بقيادته ويعقد تحالفات على شاكلة تحالفات أخيه فيرموس ، استغل جيلدون صراع الدوناتيين مع الكنيسة الكاثوليكية ، وجذبهم إلى صفه فالدوناتيون يمدون القائد الموري بالمقاتلين الذين كانوا مستعدين للموت من أجل الدفاع عن عقيدتهم ، كان من نتائج دخولهم إضافة إلى كل أطراف المجتمع الإفريقي من قبائل و دوارين إلى جانب جيلدون، أن أصبحت الثورة ذات طابع تحرري و اجتماعي و ديني إفريقي، أما القوات الرومانية بقيادة ماسكزال، فقد أعدت العدة للقتال وتوجهت إلى الأراضي الإفريقية².

إلا أن الخيانات والفشل لحق بقوات جيلدون لتهزم أمام القوة الرومانية ، ويتم نفي قاداته وأنصارها وتشريدهم وقمعهم وتنتهي بذلك فصول المقاومة التي أشعلها الأخوان فيرموس وجيلدون و أمام هذه الكارثة التي حلت به انسحب جيلدون نحو ساحل البحر، و امتطى سفينة للتوجه نحو القسطنطينية لكن الرياح حالت دون ذلك و أعادته إلى طبرقة أين ألقى عليه القبض فانتحر حتى لا ينكل به³.

إن الخروج بنتائج واضحة حول المسألة الدونانية مريبك للغاية لطبيعة الموضوع الشائكة ، إلا أننا نستطيع في المقابل بناء تصور عام انطلاقا مما كتب سلفا وإعادة توجيه النقد للثغرات الموجودة فيما تم تناوله أين كانت الخلفيات والمآلات حول الدونانية سواء في أدبيتها أو منطلقتها أو نتائجها ، لقد تم إخراج الدونانية كونها إحدى مخرجات الصراع المسيحي في بلاد المغرب القديم ، ثم تطورت لتصبح ثورة اجتماعية ذات أبعاد دينية ، ويحاول أصحاب هذا

¹ ربيع العولمي، المرجع السابق، 2022، ص24.

² محمد لحبيب بشاري، المرجع السابق، ص252.

³ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص253..

الطرح، تمرير كون الحركة إنما هي احد أشكال الامتداد الثوري المناهض للسلطة في المنطقة، وان الدوناتية عبرت عن القومية في مقابل سلطة الاحتلال الروماني المضطهدة .

الا أن هذا الطرح وما يحمله من روح وطنية، يدفعنا إلى العودة إلى منطلقاته لنتسأل هل كانت الدوناتية فعلا تعبر عن قومية سكان بلاد المغرب القديم ، إن الثغرات الموجودة في هذا الطرح كثيرة أولها أن الدوناتية شكلت في ظل الصراع المسيحي المسيحي فصيل من فصيلين كلهما مسيحي وان كان الفصل الثاني و أقصد هنا الكاثوليكي متحالف مع السلطة الروماني، إلا انه يعبر عن قناعات أصحابه ممن يحسبون من سكان المنطقة أيضا .

ثم إن كلا الطرفين الدوناتي والكاثوليكي يعبران عن الفئة المسيحية في شمال أفريقيا ، لا عن كل ساكني شمال أفريقيا ، وإذا تتبعنا التطور التاريخي للانتشار المسيحي في شمال أفريقيا خلال القرون الثلاث الأولى لا نجده يشكل الأغلبية من إجمالي سكان المنطقة ، وعليه إن محاولة إطلاق صفة الوطنية والقومية على فئة تشكل جزء صغيرا من المجتمع على امتداده الجغرافي الواسع ، وإسقاط البقية تجعل من هذا الطرح يتسم بنوع من الاضطراب ، إذ أن الجموع الوثنية كانت لغاية القرن الرابع والخامس تشكل فئة غالبية فهل عبرت الدوناتية المسيحية عن الجموع الوثنية أيضا .

هذه المفارقة تحمل وجها آخر أيضا كونها حركة دينية واجتماعية مناهضة للسلطة الرومانية ، إذ يقدم المؤرخ محمد البشير شنياتي قرائته لملف الدوناتية بالقول : أن المتمسكين بفكرة استقلالية الكنيسة – الدين – هم الذين اشتهروا بالدوناتية يمثلون في الواقع استمرارية للمقاومة اليقظة في وجه الإمبراطورية لأنها تشكل ابتلاعا لأقوى سلاح في يد المقاومة وهي المبادئ المسيحية، واعتمد الدوناتيون على الطبقة الاجتماعية التحتية... وهكذا برزت الدوناتية كدين للفقراء المستغلين¹.

¹ محمد البشير شنياتي، 2003، المرجع السابق، ص 178-179.

إن توصيف الحركة الدونانية بهذا الشكل يقتضي التأسيس اللاهوتي من خلال جملة الأفكار والعقائد التي تهيكّل أي حركة دينية ونستطيع هنا ضرب مثال حول الحركة الأريوسية و طرحه أريوس من تصور لاهوتي حول مسألة الإلهوية والتثليث ، في حين لا نجد ذلك ينتبع للسياق الذي نمت فيه الدونانية وما قدمه قادتها ومنظروها .

وصف محمد المبكر الدونانية أنها لم تكن في حقيقة الأمر هرطقة (Heresy)¹، ولكن انشقاقاً (Schism)² ، لأن الفوارق العقديّة بين الكنيستين الدونانية والكاثوليكية كانت شبه منعدمة،³ وان كان الخلاف كما وصفه المؤرخ محمد العربي عقون بالخلاف على الأمور التنظيمية داخل الكنيسة الإفريقية هو أساس النزاع مع الكاثوليك.⁴

أما الشق الثاني في اعتبارها حركة اجتماعية مناهضة للسلطة بالمطلق ، فنستطيع أن نستشف الأمر من خلال الأواسط التي انتشرت فيها والفئة المستهدفة ثم طبيعة تحالفاتها ، ذلك أن الانتشار الدوناتي كان أفقياً في المجتمع في فئة بعينها و لم يصاحبه انتشار عمودي لطبقات المجتمع عموماً، وربما يعود ذلك إلى الإثنية اللغوية ذات الصبغة اللاتينية التي تقل كلما اتجهنا نحو الفئات الشعبية والداخل الأفريقي ، ثم أن الطبقات التي أخرجت لنا الدونانية لساحة الخلاف المسيحي لم تكن من الفئات المضطهدة والمغلوبة بل كانت تضم الفئة المثقفة والمتعلمة ، والتي

¹ هرطقة :مصطلح يستخدم في السياق الديني للتعبير عن الخروج عن النسق الديني العام لديانة ما ، معبراً عن تصور أو عقيدة مخالفة للأصل ،كان المصطلح يستخدم بداية من قبل اليهود لتوصيف المسيحيين الخارجين عن الديانة اليهودية ، وترادف كلمة الزنادقة عندهم ، أما عند المسيحيين فالمصطلح يعبر عن المنحرفين عن المسيحية القويمة بالنسبة لهم ، وفي فترات متقدمة من التاريخ المسيحي تحول المصطلح للتعبير عن أصحاب الطرح الحدائي والذين اختاروا تصورات شخصية تناقض تصورات الجماعة المسيحية خاصة بعد مجمع نيقية .. Di Berardino,A.,Op.Cit.p.2216-2217.

² انشقاق :مصطلح يدل على الاستخدام المسيحي بداية من القرن الثالث للميلاد ،ومعناه الإختلاف الذي أدى الى الفرقة في المجتمع المسيحي في تشابه كبير مع مصطلح الانقسام ،ويتشابه المنشقون مع الهراطقة في نحوهم نحو انفصاليا عن الجماعة الأم ، والانقسام في نهايته يؤدي الى الهرطقة عند المسيحيين ،كما وصفت بذلك الدونانية من قبل الكاثوليك ،ويوضح الأباء المسيحيون أن الانشقاق هو خلاف قائم مع التسلسل والنظام الهرمي للكنيسة.. Di Berardino,A.,Op.Cit.p.3503.

³ محمد المبكر، المرجع السابق، ص267.

⁴ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص261.

كانت تحوز قدرا كبيرا من الثقافة الرومانية وتجيد اللغة اللاتينية والخوض في المسائل اللاهوتية المسيحية .

يتجلى ذلك بوضوح في قائدها نفسه دوناتوس، الذي كان يتمتع بثقافة واسعة اتسمت بالتنوع بالثقافة الرومانية التقليدية، وأيضاً تيكونيوس المفكر والفيلسوف الدوناتى،¹ ولنفرق هنا بين الفئة المثقفة والفئة الأرستقراطية والتي ظلت إلى فترات متقدمة وثنية، تماماً مثلما ظلت الطبقة العليا والمثقفة في روما عصية على المسيحية ومخلصة للفلسفات القائمة آنذاك .

كما قدمت كنيسة قرطاج النموذج المسيحي الإفريقي تماماً مثلما قدمت الانقسام المسيحي الإفريقي، وان دلالة ذلك أنها اصطبغت في حد ذاتها منذ سقوطها في يد الرومان بكل المظاهر والروافد الرومانية، لذلك إن خروج الخلاف المسيحي منها يعني أن الانقسام في أصله نابع من خلفيات غير أصيلة وان كان مسيحياً، ولم نشهد فيما نعلم أي كنيسة في الداخل الإفريقي أنتجت لنا انقساماً مسيحياً مثلما ظهر في كنيسة قرطاج ، وكان الأجدد أن نرى العمق الوطني المسيحي يخرج من مناطق الداخل الإفريقي .

ثم إننا بعد مرحلة تنصر السلطة الرومانية في القرن الرابع للميلاد نسجل تغير في سلوك القادة المسيحيين الدوناتيين تجاه السلطة والتي لم تخلع العباءة الوثنية بالكامل طيلة القرن الرابع، إلا أن ذلك لم يمنع أن يتوجه الدوناتيون في صراعهم ضد الكاثوليك للاحتكام عند الإمبراطور الروماني أي بصورة أخرى عند نفس الخصم الذي كان يضطهد بالأمس القريب إخوانهم في الدين من جهة ومن جهة أخرى. هذا السلوك بتحكيم الإمبراطور قسطنطين بعد مراسلات عديدة من قادة الدوناتية، ويعقدون المجامع الدينية تحت سمايته، ولم يتوقف هذا السلوك الدوناتى في استجداء السلطة للوقوف إلى صفها ضد خصومها مع قسطنطين، بل نشهد نفس الأمر مع ابنه قسطنطيوس ومن بعده مراسلات قادتها للإمبراطور جوليان لإعادة النظر في القرارات الصادرة ضدهم، يدفعنا لفهم مدى دقة توصيفها بالحركة الدينية المقاومة، دونما انزلاق للحكم عليها لصالح أي طرف.

¹ خديجة زموري، المرجع السابق، ص 144.

ثم في طبيعة علاقتها مع الدوارين نجد أنها عرفت مرحلتين، الأولى أن الدوناتين في البداية لم يجدوا في المكون الشعبي الوثني أي قيمة ترحى، بل قاموا باضطهاد الوثنيين في إطار الصراع الوثني المسيحي، ثم أن حركة الدوارين لم تقدم نفسها كحركة دينية مسيحية في كل تاريخها .

ما جعل الدوناتيين لا يعترفون بحركتهم و عملوا على قمعها لنشهد الأسقفية الدوناتية ، في السنوات 340م-350 م، مقسمة بين أنصار وأعداء الدوارين، وطالبوا السلطة الرومانية للتدخل لضرب قاداتها¹ وهم أنفسهم الذين طلبوا أيضا من القائد الروماني تورينوس (Taurinus) بضرورة استخدام القوة والعنف لاحتواء الدواريين ، و إعادتهم إلى الانضباط الكنسي.² كما بقي الدوناتيون لفترة طويلة يرفضون أن يدفن موتى الدوارين في المقابر التابعة لكنائسهم،³ على اعتبار أن دفن الوثنيين محرم في بيت الرب.⁴ ومع زيادة الخناق على الدوناتيين و تحت اضطهادت الإمبراطورية والتطورات التي شهدتها الصراع الذي دخلوه، ألزمهم ذلك تغيير سياساتهم وطبيعة تحالفاتهم لتتقلب العلاقة مع الدوارين في المرحلة الثانية لعلاقة تحالف بين الحركتين لما وجده كلا الطرفين من مشتركات.

هذا التحالف جعل من فرنسوا دوكري يوصف الدوناتية بكونها انقسامًا دينيًا أخذ وجهها سياسيًا⁵ أما بالنسبة لبريسون ، فإن استمرارية هذا الانقسام الدوناتى حتى غزو الواندال ، هو دليل على المقاومة العنيدة، وان تعرضت للقمع والاضطهاد وان هذه الاستمرارية ، هي بالتأكيد نتيجة اقتران الحركة بروافد مختلفة سواء عن طريق تحالفها مع ثورات القرن الرابع والخامس أو من خلال الحاضنة الشعبية لها⁶. أما ويليام فريند ،والذي أرخ للحركة الدوناتية في كتابته فقد حاول إعطاء صورة اقرب ما تكون للحركة الشعبية ذات البعد الإفريقي .

¹ Pottier ,B.,Op.Cit.p.55.

² Ibid.p.72.

³ Decret,F.,Op.Cit.p.138.

⁴ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، 2015، ص45.

⁵ Decret,F.,Op.Cit.p.136.

⁶ Meslin,M., Hadot, P.,Op.Cit.p.145.

هذا الاختلاف في الرؤى يعقد من مسألة ضبط الحركة في قلبها الأصلي ، وهي التي تغيرت في كل أدوارها التاريخية لنجدها تارة توصف بكونها حركة دينية وتارة أخرى حركة سياسية وعسكرية ثم نجدها تعود لتأخذ الصبغة الاجتماعية الثورية على السواء ، وانه لمن الغريب أن تحمل حركة بحجمها كل تلك الأبعاد في أن واحد ؟ وأيا تكن خلفيات التفسيرات ومنطلقاتها إلا أنها لا تسقط الدوناتية عن الدور الهام الذي لعبته في الساحة الإفريقية المسيحية.

خاتمة

توصلت في ختام هذه الدراسة حول الصراع الوثني المسيحي إلى جملة من النتائج والاستنتاجات التي تسلط الضوء على مختلف جوانب الموضوع، أخصها فيما يلي:

– فهم الرومان للبعد الديني لمختلف الظواهر الطبيعية والكونية وتجسيدها في علاقتهم بالآلهة ورغباتها ثم التعبير عنها من خلال المعتقدات والطقوس وجملة الأساطير المختلفة والتي استعاروها في الغالب من الإغريق، وأضافوا إليها بعضاً من موروثهم، ثم حولوا أسماء الآلهة الإغريقية إلى أسماء رومانية مثل الإله باخوس (Bacchus) أو ديونيسوس (Dionysos) الإغريقي الأصل، لقد كان الرومان على استعداد لقبول تأثيرات النسخ اليونانية الأسطورية في تاريخهم الخاص وإعادة صياغتها بما يوافق الخصوصية الرومانية.

– برزت الروابط بين البشر والآلهة في الفكر الديني الروماني منذ المراحل الأولى والذي تكفل العرافون والسحرة بمتابعتها، ذلك أن العلاقات مع الآلهة تتم في إطار مرتكزين من الطقوس، طقوس التضحيات والنذور وطقوس الولاء والعرافة.

– إن حضور السحر كان دائماً في الإمبراطورية الرومانية، وكان هدف السحر، والعرافة واحداً في إشباع الرغبات الحسية، وإن أضر ذلك بحياة الآخرين.

– طور الرومان مفهوم السحر في ممارساتهم الدينية من جهة، وفي الحياة السياسية من جهة أخرى، ليصبح في العهد الإمبراطوري تهمة و سلاحاً يستخدم بشكل متكرر في الصراع بين الجماعات المسيحية والوثنية، ويتم توصيف المسيحية المبكرة من قبل الطوائف الدينية الرومانية على أنها ممارسة سحرية بغيضة، وصنفت هذه الممارسة كتهمة لمتابعة و اضطهاد أصحابها، ونجد ذلك في حالة المسيح وأتباعه حيث أن المسيح أخرج الشياطين وشفى المرضى وحتى أقام الأموات، كان هذا في نظر الوثنيين سحراً، لا معجزة بمنظورنا الديني الحالي والسابق أيضاً، وتم الاستخفاف بالمسيحية باعتبار طقوسها في مجملها طقوس سحرية، ونعتت من قبل الرومان بكونها نتاج عمل سحري للمسيح نفسه، خاصة أن أغلب سلوكيات المسيحيين لم تكن مفهومة للوثنيين واتسمت في بدايتها بالسرية التامة نتيجة الاضطهاد ما زاد من الشكوك حولها

ورسم عليها هالة من الغموض الأقرب لأعمال السحر والشعوذة و أكدتها معجزات المسيح في نظر الوثنيين .

– بالإضافة إلى المسيح، تم تصنيف الرسل والقادة المسيحيين الآخرين أيضاً على أنهم سحرة ووفقاً للإمبراطور جوليان، تفوق الرسول بولس على كل ساحر ودجال، بل ارتبطت تهم القتل الطقسي وأكل لحوم البشر بالمسيحيين وقادتها.

– أمن الرومان بتعدد الآلهة التي يمتلك كل منهم قوى معينة تمارس وظائفها على جوانب منفصلة من العالم المادي؛ لقد تصوروا الآلهة ببساطة من الناحية العملية إلى حد ما على أنهم كيانات كاملة السلطة، يعبدونها من أجل الحصول على السند وتجنب الشر وهو ما شكل ركيزة أساسية في أسس الديانة الرومانية.

– توسع الإمبراطورية الرومانية ساهم في تغلغل التأثيرات الإغريقية في الديانة الرومانية، وأخذ هذا التغلغل مظهرين واضحين هما: تشبيه الآلهة الرومانية بالآلهة الإغريقية المتماثلة في الخصائص، أما المظهر الثاني فكان استعمال الأساطير الدينية الإغريقية

– لم يكن لجميع الآلهة نفس الرتبة لنجد الآلهة العامة الكبرى الموكلة بإدارة مصالح المجتمع، مع عدد كبير من الآلهة الثانوية الصغيرة، والتي تتمثل وظيفتها في رعاية جانب من جوانب الحياة وقد تم إثراء مجموعة الآلهة الرومانية مع نمو الإمبراطورية ودمج سكان جدد في المواطنة الرومانية.

– شهد العهد الإمبراطوري مرحلة الانتقال من حالة تعددية الآلهة وتأليه الأبطال إلى شكل أكثر تطوراً متمثلاً في عبادة الحاكم – الإمبراطور-.

– تم ترسيخ العبادة بشكل سياسي في المقاطعات الرومانية بما يخدم مصلحة روما وإضفاء الوحدة بين جميع مقاطعاتها جنباً إلى جنب مع السياسات الاقتصادية والثقافية، فالولاء لروما من خلال سياسة الرومنة ودفع الضرائب والامتثال للقانون كلها انصهرت في بوتقة عبادة الإمبراطور والتي أصبحت التمثيل الرسمي للولاء السياسي.

— أصبحت العبادة الإمبراطورية ظاهرة سياسية، إما لأنها استغلت من قبل الدولة الرومانية، أو لأن الرعايا جعلوا منها منفذ للتعبير عن الولاء الديني للإمبراطور خاصة وأن الدين والتفويض الإلهي للحاكم هو الذي حافظ على وجود الإمبراطور، سواء عند العامة أو السلطة، واستغلها الأباطرة الرومان في تحقيق الوحدة الدينية والسياسية، وسحب نفوذ الجيش في تأمين لأنفسهم من الانقلابات العسكرية، هذا التفويض الإلهي والهالة القدسية الناتجة عن العبادة الإمبراطورية أسهمت كلها في تثبيت أركان حكم الأباطرة الرومان.

— شكل الجذب الروحي و عدم قدرة المنظومة الدينية الرومانية على تلبية الحاجيات الروحية دافعا قويا لدى الرومان لاستكشاف المعتقدات و الطوائف الخارجية وبالدرجة الأولى المعتقدات الشرقية، مثل ديانة الأم الكبرى (Magna Mater) سييلي (Cybele) وعشيقها أتيس (Attis) من فرجينيا وكذلك التعرف على ديانة ميثرا (Mithra) من بلاد فارس وديانة ايزيس (Isis) من مصر وعرفت جميعها بديانات الأسرار ذلك أنها كانت تتميز بالسرية في ممارسة طقوسها ، و وجدت تلك الديانات تجاوبا شديدا لدى الرومان حتى مع ظهور المسيحية .

— حددت روما الشروط والكيفيات التي من خلالها تتسامح مع الديانات الأخرى والذي ارتكز على ثلاث شروط وهي: أن تكون طقوسها غير مسيئة للشعب الروماني أو آلهتهم وأن تتخذ صفة العلانية. وأن يكون ولائها لروما ودينها القومي، وان يتم إقرارها على وجه التحديد من قبل مجلس الشيوخ.

— إن الخصائص الأساسية للديانة الرومانية يمكن تفسيرها بكونها دينًا طقسي وغير عقائدي فالتقاليد الدينية للرومان كانت تنص على طقوس لأدائها، وليس أشياء تؤمن بها؛ لذلك ظل الجميع أحرارًا في فهم الآلهة والتفكير فيها كما يروونه مناسبًا، كانت المعتقدات الوحيدة للرومان هي أن الآلهة لا تعد ولا تحصى وتختبئ وراء كل قوة من قوى الطبيعة.

— بقي الشعب اليهودي أسير اعتقاد ديني ضيق محدود العقيدة مما أفضى به إلى الإيمان الراسخ بأنه شعب الله المختار حصرا، كان اليهودي يؤمن باله واحد قطع على نفسه

عهدا بالحفاظ على سلامة الشعب اليهودي وبالسهر على ديمومة أمجاده، إن هذا الاعتقاد لعب دورا مهما في خلق فكر متمزمت وعنصري.

— كان خط المسيح الدعوي مسالما ينشر تعاليم السلام والمحبة للعالم ويتفادى الصدام مع السلطات، على الرغم من أنه هاجم الثروات الدنيوية والملكية الخاصة لليهود مهاجمة قاسية، أثرت على طبيعة العلاقة بينه وبين اليهود، وأسست لبداية الانفصال بين الديانتين تاريخيا.

— انطلق النشاط التبشيري المسيحي مما يمكننا تسميته مهمة مسيحية إلى عالم الأمم وأن المسيحية نجحت حيث فشلت اليهودية بسبب قرار الأخيرة العقائدي رفض التخلي عن الميول القومية للعمل التبشيري اليهودي وكونها ديانة حصرية لئله يهوه وللشعب المختار دون الأممين ثم، في إصرار بعض الطوائف اليهودية المنفتحة على وجوب أن يلتزم الوثنيون الذين يدخلون المجتمع اليهودي بالقوانين اليهودية المميزة وهنا نجح المسيحيون حيث فشل اليهود.

— جسد المسيح هذا النشاط من خلال تقديم شكل عالمي من "اليهودية المسيحية" الموجهة إلى اليهود في المقام الأول ثم قاد بولس بعده، النشاط بعد أن عمل على توسيع فكرة الاعتقاد بأن المسيح عالمي الرسالة وليس حكرا على اليهود، وأنه إله كل الأمم، وتشمل ألوهيته كل الأعراق، هذا التنوع العرقي في ظل الحكم الروماني جعل من المستحيل على الكنيسة أن تكون غير عالمية وتدخل في صدام مع كل أشكال التدين الوثني بمختلف أصوله.

— عزفت الفئات المثقفة عن الدخول في المسيحية، ذلك أنها عجزت عن تقديم البديل في ظل التطور الفكري الذي عرفته الفلسفات بمختلف مدارسها - وعلى رأسها الرواقية - إذ بقيت تلك الفلسفات حاضرة حتى فترات متقدمة من القرن الرابع والخامس للميلاد، ما يثبت محدودية الخطاب المسيحي في مجابتهها والمعتمد أساسا على الجانب الروحي والإيماني.

- استفاد المسيحيون من حالة الفوضى السياسية عبر مراحل الحكم الإمبراطوري في الانتشار السريع داخل المجتمعات اليهودية المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية وخارجها.
- إن سقوط قدسية الهيكل وانتهاء حلم قيام مملكة الرب في إسرائيل على يد روما جعل من حركة انتشار الحركة المسيحية تتوسع مستفيدة من الفراغ الديني الذي خلفه فشل الثورات اليهودية وسقوط النبوءات اليهودية بالخلاص وما يقابلها عقائديا التأكيد على كون الرؤية المسيحية الدينية هي الأقرب للتحقق مع المسيح وأتباعه.
- إن الصراع القائم بين الوثنية الرومانية والمسيحية يظهر من الدور الذي لعبه اليهود والذي يبرز في ثلاث نقاط أساسية: الخلفية الدينية اليهودية المسيحية المشتركة والدور اليهودي في اضطهاد المسيحية الوليدة والموقف المسيحي من الثورات اليهودية في وجه السلطة الرومانية.
- تتركز فلسفة العلاقة اليهودية مع الرومان على نقطتين الأولى عقديا من خلال الرؤية التوراتية اليهودية لكل الأمم غير اليهودية التي تعتبر المشاركة في أي عبادة وثنية ترقى إلى إنكار يهوه والناموس التوراتي والثانية سياسيا وحلم قيام مملكة الرب في فلسطين مايعني اجتثاث الوجود الروماني فيها.
- خرج الصراع بين الطرفين اليهودي والمسيحي منذ البدايات الأولى لميلاد المسيحية وتطور، لحركة اضطهاد موجه واكبت تطور المسيحية إذ أن القفز المسيحي على التقاليد والعقائد اليهودية والتي تعتبر المبدأ الأساسي لحياة اليهودي كان المؤسس للصدام بين الطرفين.
- تعتبر خطوة امتناع المسيحيين المجندين في الجيش الروماني عن تقديم البخور لتمثال الإمبراطور نقطة فاصلة في مسار الصراع بين الطرفين ذلك أنها نقلت الصراع من مرحلة الصدام الفكري الى الصدام العملي، ومن مرحلة السرية الى مرحلة العلنية، وهو مارأته السلطة الرومانية شكل من أشكال التمرد، وضربا لمؤسسة الجيش الروماني القائمة على مبدء الانضباط العسكري، وتهديدا للسلطة الحاكمة المستندة على فاعلية الجيش وقوته.

– أخذ التطور الذي عرفته المسيحية منذ نشأتها وميلاد كنيسة يتزايد بمنحى موازي تماما لمنحى السلطة، فقد كان مصير الكنيسة أن تخرج تدريجياً من بيئتها اليهودية إلى العالم الوثني، وأن تغزوه خلال القرنين التاليين لتصبح كل كنيسة بمثابة مجتمع مسيحي مصغر، له خصوصيته واستقلالته، وأضحى انتماء الفرد المسيحي الأول لكنيسته لا لدولته.

– تبلورت في القرن الأول للميلاد ثلاثة تطورات رئيسية في الموقف المسيحي تجاه الإمبراطورية الرومانية أو لا قدسية فكرة الاستشهاد أي الشهادة في سبيل المسيح و ضد القوى الوثنية وثانيا التعجيل بقيام مملكة الرب والانتقام من المرتدين والقوى المضطهدة، ونتوقف هنا عند أمرين ، عند كون فكرة الاستشهاد والخلص فكرة تختص بالفرد، وعند مسار الكنيسة والمسيحية كمؤسسة وتنظيم ديني قائم في وجه سلطة دنيوية، فقد كانت المواقف المسيحية تجاه الإمبراطورية تسير في مسارات موازية لتلك التي سلكها الأفراد من خلال التضحية والموت في سبيل المسيح .

– إن النتيجة التي نخرج بها من فهم الاستشهاد المسيحي هي سقوط فكرة قداسة الموت لدى المسيحيين ما يعني عدم خشيتهم لأي نوع من الاضطهاد الممارس عليهم بل والاستماتة في الدفاع عن معتقداتهم فالوصول إلى درجة استواء الموت والحياة عند الفرد المسيحي يعني عدم نجاعة الاضطهاد وفشله في ردهم عن أفكارهم وأهدافهم وهو ما تحقق في الصراع مع السلطة الرومانية.

– أراد الإمبراطور قسطنطين أن يوحد الإمبراطورية سياسيا وثقافيا واقتصاديا ولعله في تعاطفه مع المسيحية قصد أن يتخذ من هذا الدين عاملا من عوامل هذه الوحدة، فقد علم قسطنطين أن وحدة الإمبراطورية من وحدة المسيحية، ولكي تكون المسيحية عاملا من عوامل الوحدة لا مناص من أن تكون الكنيسة واحدة خالية من بواعث الانشقاق والصراع.

– كانت الكنائس الإفريقية أول من وضع نموذجا لطريقة الوصول إلى اتفاق في حال اختلافات التفسير حول المسائل الكنسية وفي حالة الانقسامات، وطرق تسير المجامع المسكونية، لقد ترسخ دور هذه الكنائس قبل قرن من مجمع نيقية بشكل تام في المجتمع

الإفريقي بل ووقفت في وجه السلطة -في مرحلتها الوثنية- والمجتمع معا ووضعت اسسها ونظامها وهيكلتها، لذلك لم يكن التعداد المسيحي يعكس بالضرورة حجم الانتشار وقوته، فالكنيسة عبر مراحل تطورها في أفريقيا أصبحت كيانا مستقل داخل الدولة فكما ضعفت الدولة الرومانية قويت المسيحية.

— خلف الصراع الوثني المسيحي انعكاسات كبيرة على بلاد المغرب القديم بداية من الاضطهادات التي عرفها أهل المنطقة في وجه السلطة الوثنية وخاصة اضطهادات الإمبراطور دقليانوس التي نتج عنها تداعيات أثرت على المسيحية الإفريقية وكنيستها، ثم التغير الحاصل في مسار المسيحية في روما وتنصر السلطة خلال القرن الرابع للميلاد الذي انعكس مباشرة على بلاد المغرب القديم، مخلفا ميلاد الصراع المسيحي بين الكنيسة الكاثوليكية الموالية للإمبراطورية وبين الكنيسة الدوناتيية ذات الحاضنة الشعبية، لتقع الدوناتيية في تجاذبات وتحالفات أثرت على الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم، ووصفت بكونها صراع بين الأرستقراطية الحاكمة والجموع الشعبية المضطهدة .

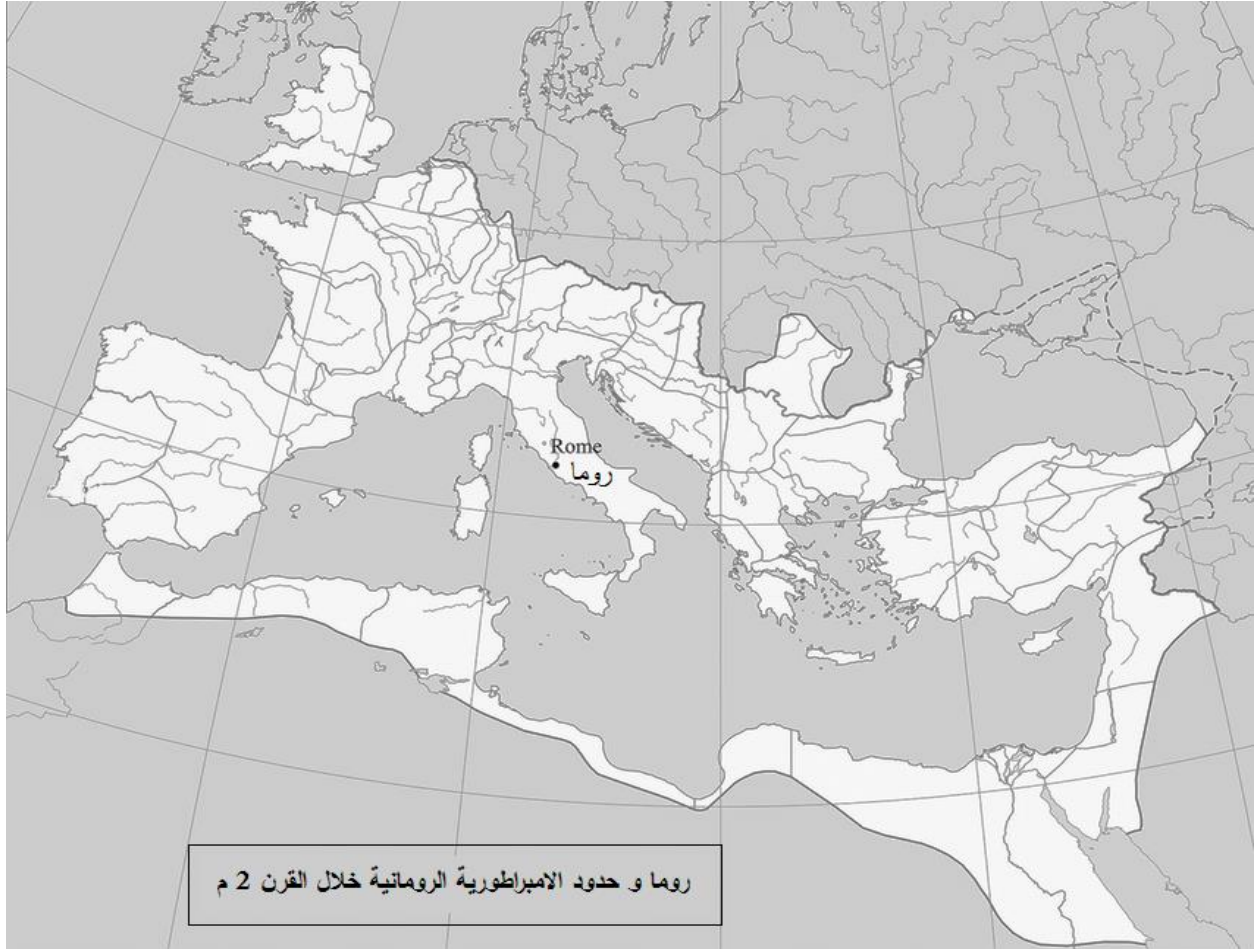
— كان الانقسام الدوناتي كما يبدو يأخذ مظهر الانقسام الديني، وبالتالي القطيعة مع روما رأس المسيحية، هذا المظهر المعادي سهل عملية تحالف الدوناتييين مع ثورة الدواريين وانعكس على طبيعة العلاقة بينهما ليقدم الدوارون أنفسهم كحركة تحفزها أهداف دينية واجتماعية بشكل أساسي، تشترك كلها في العداة لروما وسياستها في المنطقة.

— شهد القرن الرابع اضطرابات وثورات كثيرة ولعل أهم تلك الثورات هي ثورة الأخوين فيرموس وجيلدون وذلك لتحالفها الوثيق مع حركة الدواريين والدوناتيية وما يعكسه ذلك من أزمة عاشتها الإمبراطورية الرومانية من ناحية وإثباتا لفشل سياساتها في قمع روح المقاومة في إفريقيا من ناحية أخرى.

الملاحق



خريطة الإمبراطورية الرومانية خلال حكم الإمبراطور أغسطس 14 م بتصريف من الطالب
 https://Www.Cointalk.Com/Threads/Common-Type-But-If-You-Like-Looking-At-Coins-Of-Augustus
 نقلًا عن:



خريطة روما وحدود الإمبراطورية الرومانية خلال القرن 2 م ، بتصريف من الطالب نقلا
عن موقع : https://www.researchgate.net/figure/Map-of-the-Roman-Empire-in-125-CE-showing-the-location-of-Pax-Julia-civitas-adapted_fig1_342796003



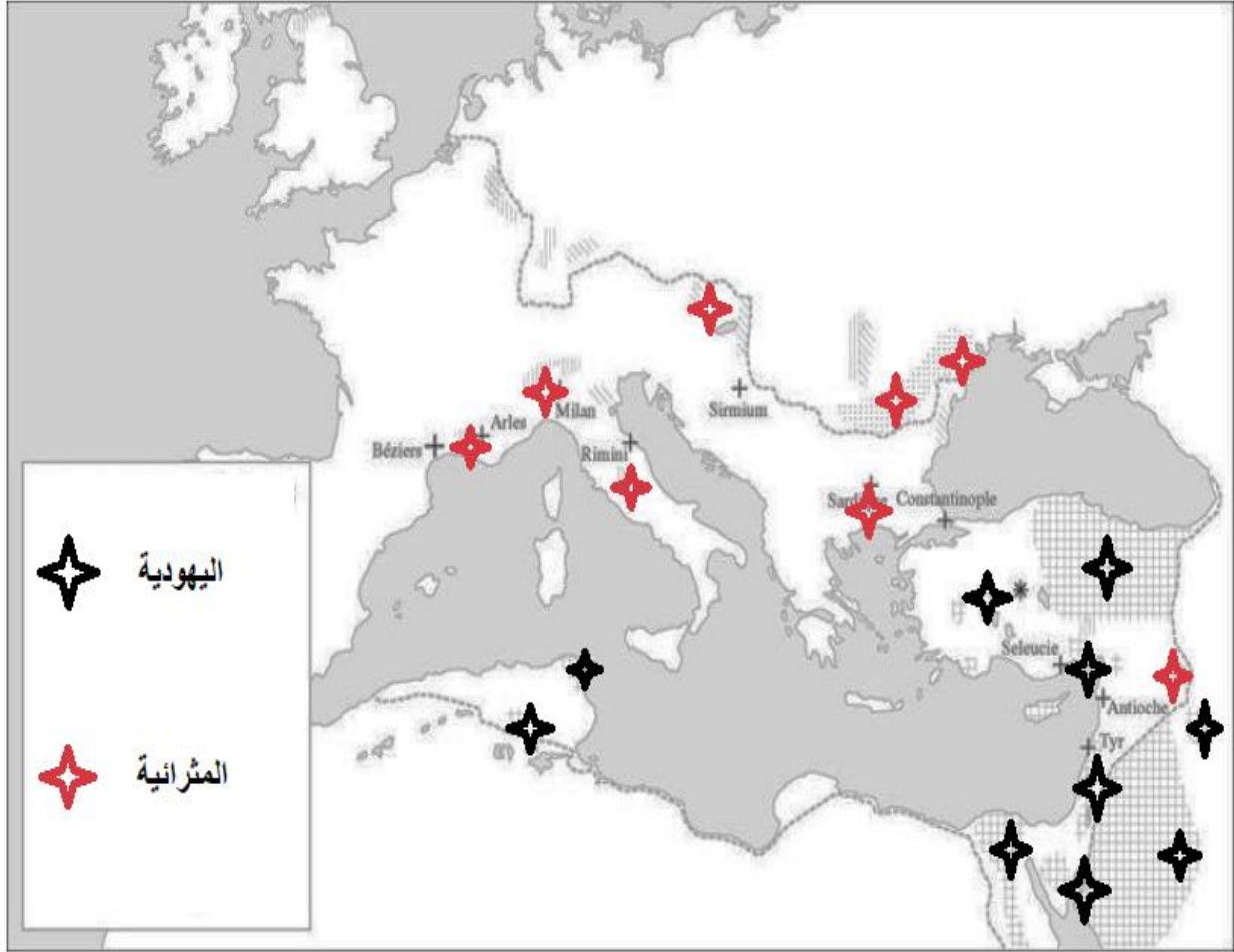
خريطة مواقع انتشار الديانة المثرانية حسب البقايا الأثرية بتصريف من الطالب نقلا عن :

The Network(S) Of Mithraism: Discussing The Role .Luther H. Martin,Jr
Of The Roman Army In The Spread Of Mithraism And The Question Of
Interregional Communicatio,2018.



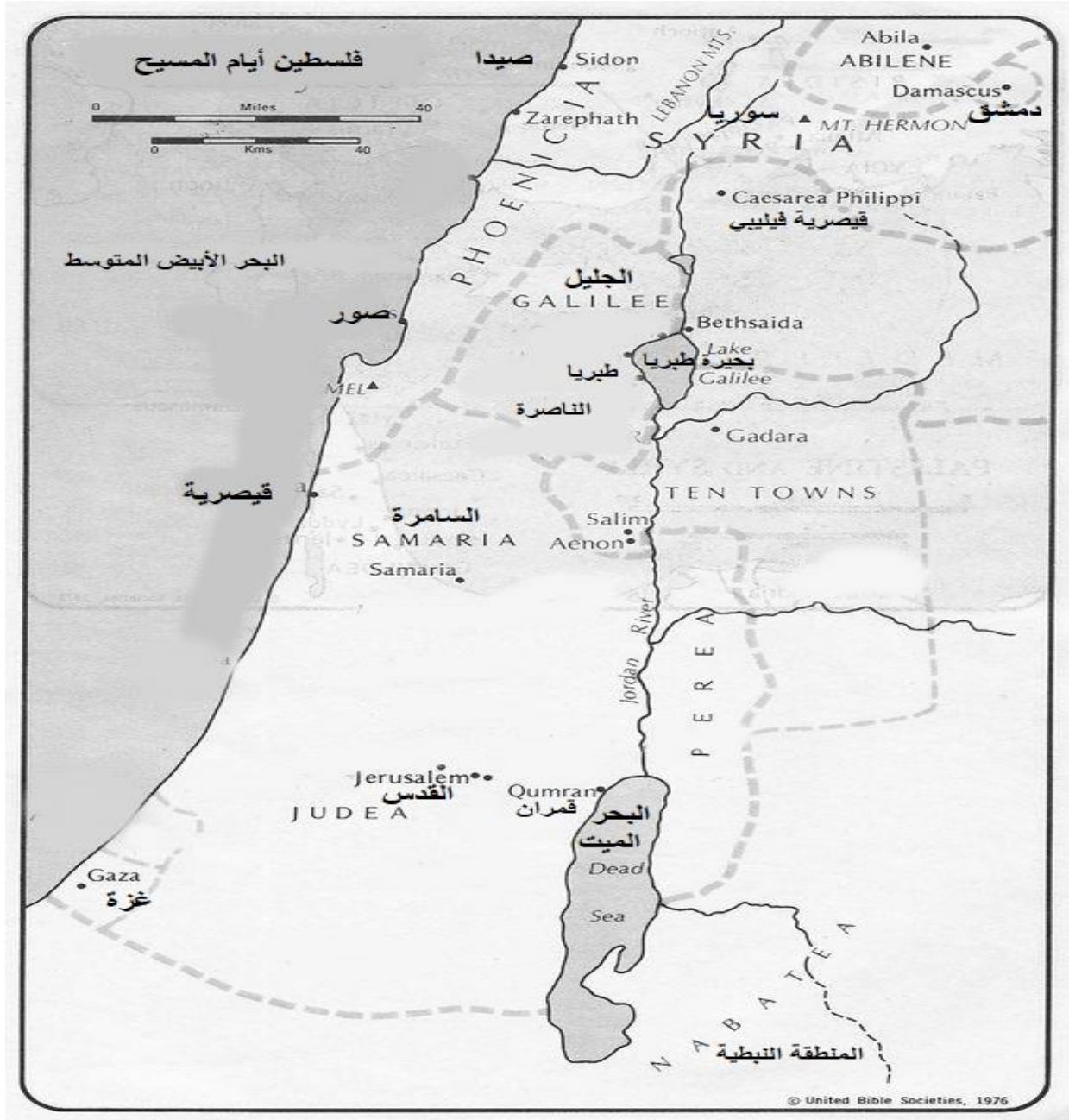
خريطة لمواقع انتشار ديانة ايزيس حسب البقايا الأثرية ، بتصرف من الطالب نقلا عن :

<https://www.semanticscholar.org/paper/The-Roles-Of-Isis-In-Roman-Domestic-Cults%3A-A-Study-Amoroso>



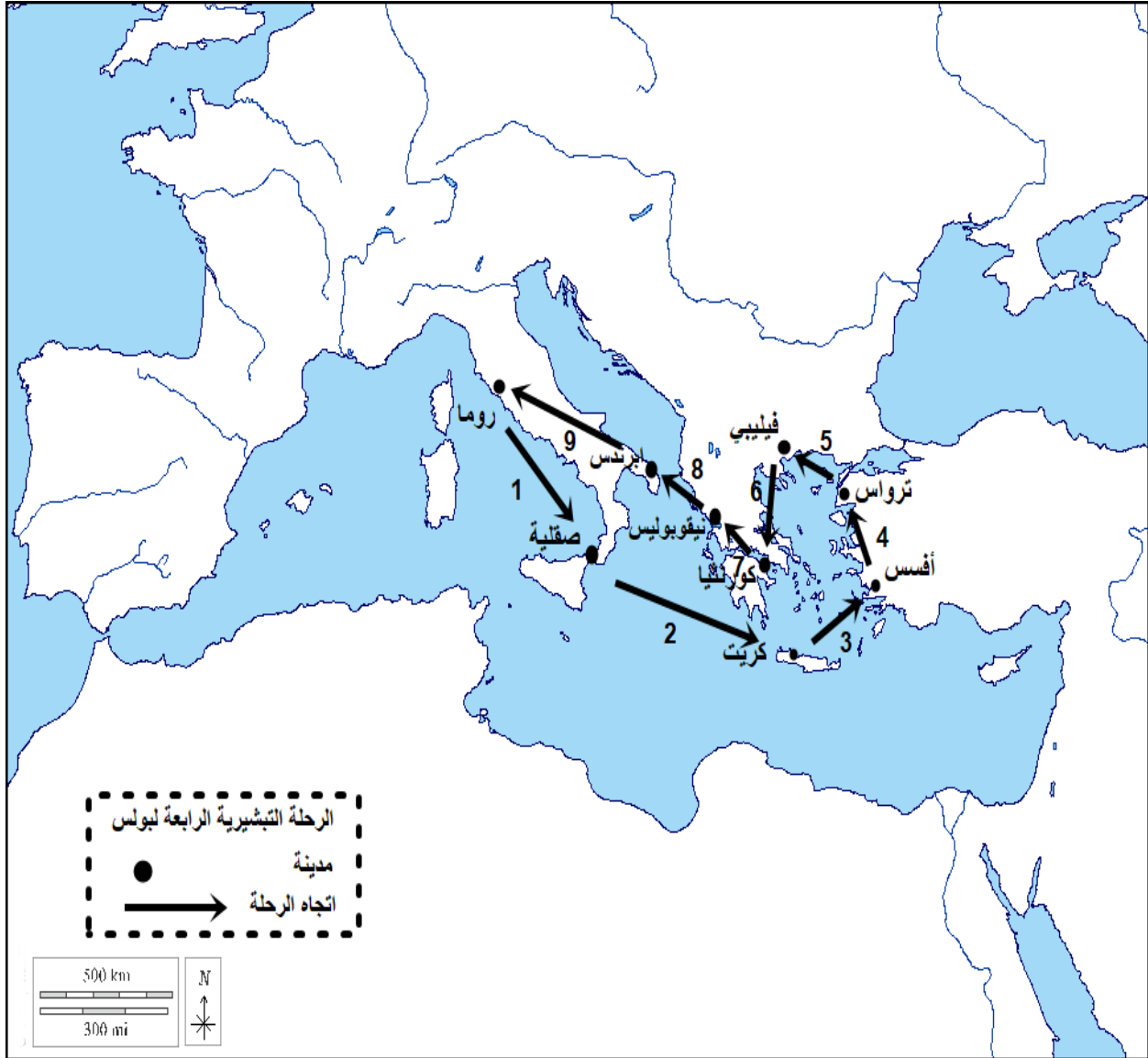
مناطق انتشار الديانة اليهودية والمثرائية في الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد

خريطة مناطق انتشار الديانة اليهودية والمثرائية في الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين
3-4 م بتصرف من الطالب نقلا عن :
Rouche, M., Les Origines Du Christianisme
1 Er 5 Siecle, Hachette, Paris, 2007, p.139.



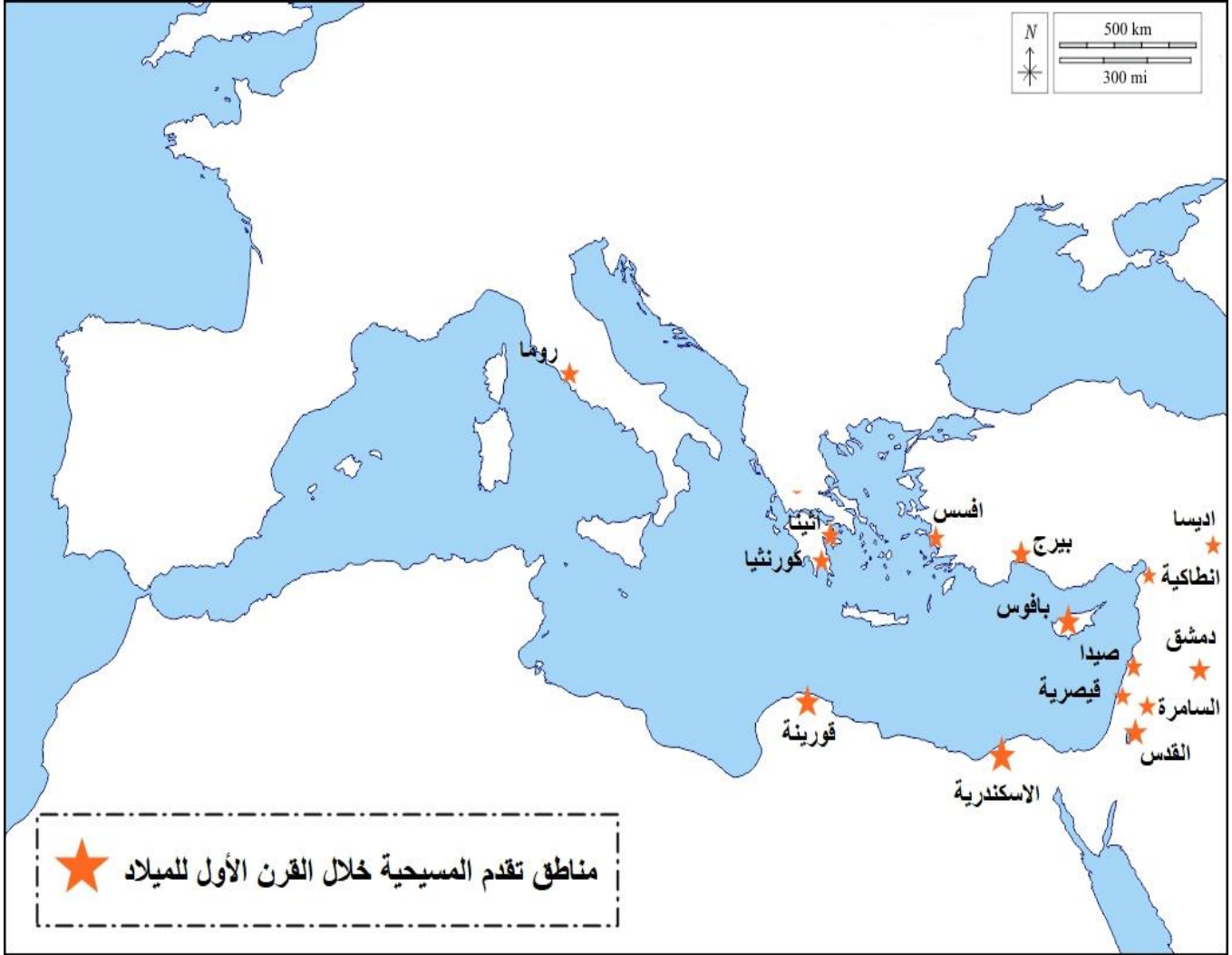
خريطة مقاطعة فلسطين أيام المسيح، بتصريف من الطالب نقلا عن موقع :

<https://United Bible Societies>



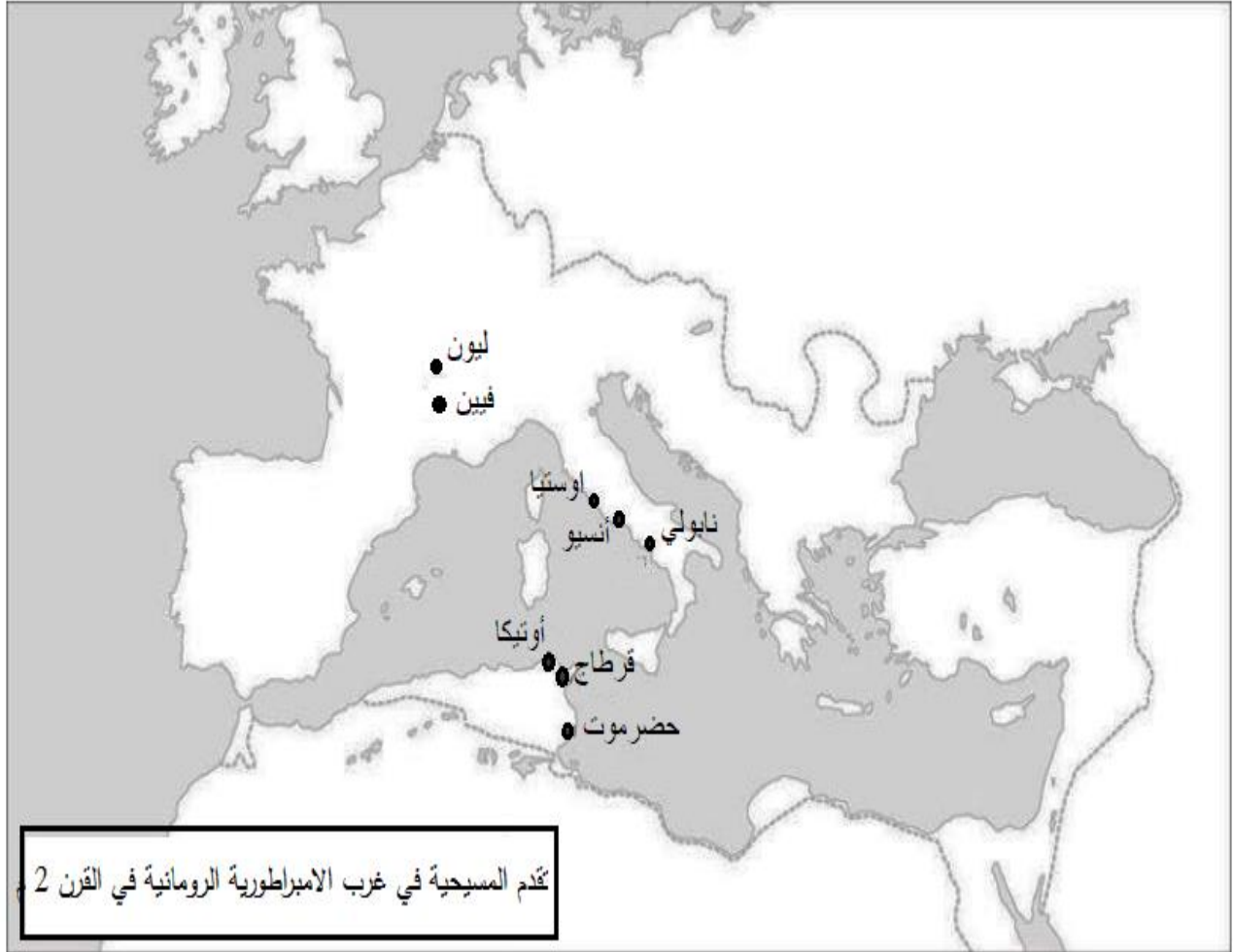
خريطة الرحلة التبشيرية الرابعة لبولس ، بتصريف من الطالب نقلا عن موقع :-[https://D-](https://D-Maps.Com)

Maps.Com

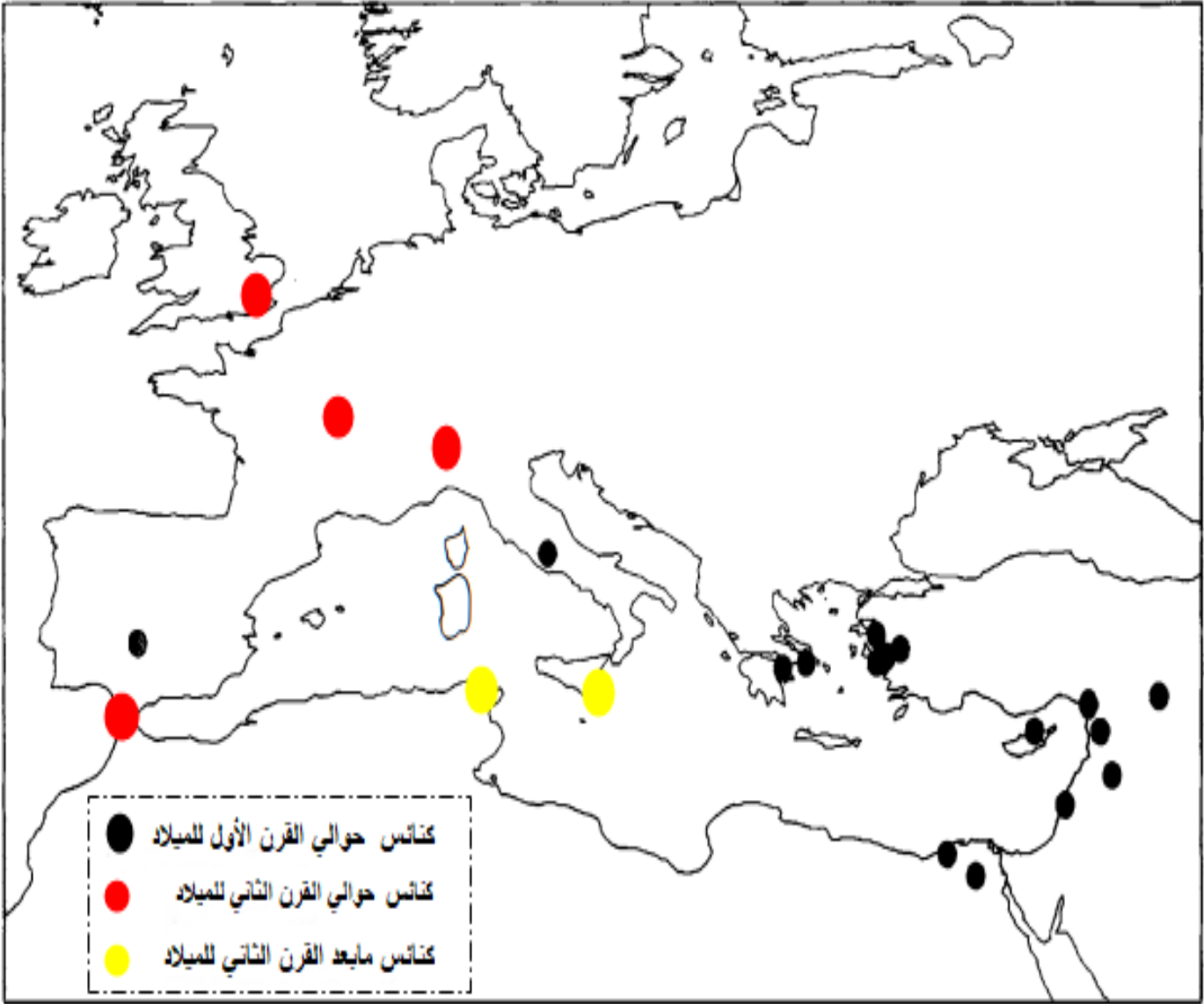


خريطة مناطق تقدم المسيحية خلال القرن 1 م ، بتصريف من الطالب نقلا عن موقع :

[Https://D-Maps.Com](https://D-Maps.Com)



خريطة تقدم المسيحية في غرب الإمبراطورية الرومانية في القرن 2 م بنصرف من الطالب
نقلا عن : Rouche,M,. Les Origines Du Christianisme 1 Er 5 Siecle,
Hachette, Paris,2007,p.86



خريطة انتشار الكنائس في الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول والثاني للميلاد، من Stark,R.,The Rise Of Christianity,Harper Collins ,Usa,1997,p.145. اعداد الطالب نقلا عن:

الفهارس

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

المصادر بالعربية

1. الكتاب المقدس ،العهد القديم والعهد الجديد
2. القرآن الكريم

المصادر باللغة الأجنبية:

1. Ammien Marcellin, Histoire,Tra ,Lourdet, Librairies Broyset, Paris.
2. Augustin (St), Cont.,Cresc.,Gram., Donat., Texte De M.Petschenig, Traduction De G .Finaert, « Bibliothèque Augustinienne », Paris,1965.
3. Cassius Dio Cocceianus, H.R.Book51 , Perseus Digital Library,Tufts University.
4. Cicero De Natura Deorum,Vol Xix ,21,Penelope.Uchicago.Edu.
5. Cornelius Tacitus, The Annals,Book 2 ,Perseus Digital Library,Tufts University.
6. Flavius Josephus, Antiquities Of The Jews ,Book 18, Perseus Digital Library,Tufts University.
7. Herodotus, The Histories, Book 1,Perseus Digital Library,Tufts University.

8. Seneca, De Beneficiis, Book 1 , Perseus Digital Library, Tufts University.
9. Lucius Cassius, Dio's Rome , Livre V, Perseus Digital Library, Tufts University.
10. Titus Livius , The History Of Rome, Book 1, Perseus Digital Library, Tufts University
11. Tullius Cicero, De Republica Book2, Perseus Digital Library, Tufts University.
12. Tertullian, Apologeticum, Perseus Digital Library, Tufts University.

المراجع بالعربية:

1. اس سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، تر حسان مخائيل اسحاق، ط2، دار علاء الدين، سوريا، 2007.
2. الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب، المجمع المسكوني نيقية الأول، المكتبة البوليسية، لبنان، 1997.
3. إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، العالمية للكتاب، لبنان، 1996.
4. ألكار السقاف، الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين، دار الانتشار العربي، بيروت، 2004.
5. أبو اليسر فرح ، محاضرات في تاريخ الرومان، جامعة عين شمس، القاهرة .
6. ابي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، الحلبي وشركائه للنشر، القاهرة .
7. أحمد عبد الوهاب ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ط 2، مكتبة وهبة ، مصر، 1988.

8. احمد عثمان ،تاريخ اليهود ،ج 01، مكتبة الشروق ،القاهرة ،1994.
9. أحمد علي عجيبة ،دراسات في الأديان الوثنية القديمة ،دار الأفق ، مصر ، 2004.
10. اسحاق عبيد، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، دار المعارف ،مصر، 1972 .
11. أسد رستم ،الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ،الجزء الأول ، دار المكشوف، لبنان ، 1955.
12. الأنبا ياكوبوس،الاستشهاد المسيحي ومجد الشهداء ، مطرانية الزقازيق،مصر.
13. أندرو ملر ، مختصر تاريخ الكنيسة ،مطبوعات مكتبة الاخوة ،مصر،2003.
14. اندريه ايمار ،تاريخ الحضارات العام روما وإمبراطورتها ،تر، يوسف أسعد داغر ،مج 2،لبنان ،1981.
15. أنمار أحمد محمد ،اللاهوت المسيحي نشأته وطبيعته،دار الزمان ،سوريا،2010.
16. بارندر جيفري ،المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،تر امام عبد الفتاح امام ،1993.
17. بريوشكين ، أسرار الفيزياء الفلكية و الميتولوجيا القديمة ، تر ميخائيل اسحق ، دار علاء الدين ، ط 3 ، سوريا ، 2009.
18. تشارلز ورت، الامبراطورية الرومانية ،تر رمزي عبده جرجس، مكتبة الاسرة ،1999.
19. توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربي، مصر ،1991.
20. توماس اودن، كيف شكلت افريقيا العقل المسيحي، تر نكلس نسيم سلامة، دار النشر الأسقفية،مصر ،2009.
21. جمال الدين شرقاوي، المسيح والمسيا ،دار النافذة،مصر،2006.
22. جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا ،دار الهلال ،مصر ،1996.

23. جيمس جورج فرايزر ، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين ، تر، نايف الخوص ،دار الفرقد ،سوريا ، 2014.
24. حافظ أحمد غانم ، الامبراطورية الرومانية من النشأة الى الانهيار، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة، مصر ، 2007.
25. حبيب سعيد ،تاريخ المسيحية فجر المسيحية ،دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية، مصر.
26. حسن الشيخ ،الرومان، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2005.
27. حسن صبحي بكري ،الاغريق والرومان والشرق الاغريقي الروماني،عالم الكتاب،الرياض،1985 .
28. حسين مؤنس ،تاريخ المغرب وحضارته ، ط 1 ،م1، الدار السعودية ، جدة 1990.
29. حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي يسوع عبر الأجيال، دار الثقافة ، مصر ،1981.
30. خزعل الماجدي ،المعتقدات الرومانية، دار الشروق ،الأردن ،2006.
31. خزعل الماجدي ،بخور الألهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين ،دار الأهلية ،عمان،1998.
32. خليل طاهر ،الأديان والانسان اليهوديةالمسيحية الإسلام،دار الفكروالفن، مصر، 1986.
33. دونالد دودلي ، حضارة روما، تر، فاروق فريد وجميل يواقيم الذهبي، دار النهضة ، مصر ، 1964.
34. رشاد الشامي،اليهود واليهودية في العصور القديمة ، المكتب المصري للنشر والتوزيع ،مصر، 2001.
35. رؤوف السبهاني ،تاريخ الأديان القديم ،مؤسسة البلاغ ،لبنان ،2011.

36. رؤوف شلبي ، أضواء على المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية ،لبنان ، 1975.
37. سعدون الساموك، موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة،دار المناهج ،الأردن،2002.
38. سعيد مراد ، المدخل في تاريخ الأديان،عين للدراسات والبحوث ،مصر .
39. سلطان عبد الحميد سلطان ،المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية ،مطبعة الأمانة،القاهرة ،1990.
40. شارل اندري جوليان ،تاريخ أفريقيا الشمالية ، تر محمد الزالي ، البشير بن سلامة ،ط 5، ج 1، الدار التونسية للنشر ،تونس ،1985.
41. شارل جنبير، المسيحية نشأتها وتطورها ،تر عبد الحليم محمود،المكتبة العصرية،لبنان.
42. شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم ،تر، محمد كرد علي، دار العالمية، مصر، 2012.
43. شافية شارن ،الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة ،الجزائر ،2008.
44. عاطف محمد سعيد الشياب، تاريخ وأثار الرومان ،الأردن ،2011.
45. عبد الحميد رأفت ، الدولة والكنيسة ، دار قباء ، مصر ، 1974.
46. عبد الرزاق رحيم الموحى ،العبادات في الأديان السماوية ،الأوائل للنشر ،2001،
47. عجيبة علي أحمد ، دراسات في الأديان الوثنية القديمة ،دار الافاق العربية، مصر ، 2004.
48. عدنان حداد،الخطر اليهودي،دار النفائس،لبنان،1997.
49. عرفان عبد الحميد فتاح ،اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية ،دار البيارق ،1997.
50. علي عكاشة ،اليونان والرومان، دار الأمل ،الأردن ،1991.
51. علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط2، طرابلس، 1975 .

52. ف دياكوف ، س كوفاليف، الحضارات القديمة ، تر ، نسيم اليازجي، ج 2، دار علاء الدين ، سوريا، 2000.
53. فراس السواح ، الأسطورة والمعنى دراسة في الميثولوجيا والديانات المشرقية ، دار علاء الدين ، دمشق، 2001.
54. فراس السواح ، موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الثالث، ط4، سوريا، 2017.
55. فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح ، دار علاء الدين ، دمشق، 2004.
56. فرج عادل عبد المسيح ، موسوعة آباء الكنيسة ، ج3، القاهرة، 2001.
57. فؤاد حسنين علي، اليهود واليهودية والمسيحية، دار العالم العربي ، مصر، 1968.
58. الفيروز أبادي محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ط8، مؤسسة الرسالة ، 2005،
59. كارم محمود عزيز، أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، مصر، 2007.
60. كلود ليفي شتراوس ، الأسطورة والمعنى ، ترجمة شاكر عبد الحميد ، المانة كتاب ، العراق ، 1986.
61. م رستوفتزف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، تر زكي علي ومحمد سليم سالم، ج 1، مكتبة النهضة المصرية ، مصر.
62. متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية، الدار الكويتية ، الكويت.
63. متى المسكين ، الشهداء والشهادة، مطبعة دير القديس أنبامقار ، مصر، 1987.
64. محمد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديم ، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
65. محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب اثناء الاحتلال الروماني ودورها في احداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر ، 1984.
66. محمد السيد عبد الغني ، التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما حتى عام 133 ق م ، ج 1، المكتب الجامعي ، مصر، 2006 .

67. محمد السيد محمد عبد الغني، أضواء على المسيحية المبكرة ،دار المعرفة ،مصر، 1997.
68. محمد العربي عقون ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، الجزائر ، 2008.
69. محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة ،دار هومة ،الجزائر، 2013.
70. محمد خليفة بن حسن أحمد ، الديانة اليهودية ، دار قباء ،مصر، 1998.
71. محمد صغير غانم ، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، الجزائر، 2003.
72. محمد عبد القادر ملكاوي ،اليهودي شاول بولس الطرطوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية ،دار الاسراء ،الرياض، 1992.
73. محمد غالب بركات، الفرق والمذاهب في الرسائل الثلاث اليهودية المسيحية الاسلام ، دار الأفاق العربية ،مصر، 2011.
74. محمد مصطفى بازمة ،ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية،مكتبة قورينا،ليبيا ،1963.
75. محمود إبراهيم السعدني ، حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، عين للدراسات والبحوث، مصر، 1998.
76. محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية ،دار المعارف،مصر، 1995.
77. مراد كامل ،الكتب التاريخية في العهد القديم،معهد البحوث والدراسات العربية ،مصر، 1968.
78. مصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، المغرب، 1993.

79. ميرسيا الياد ،مظاهر الأسطورة ، تر نهاد خياطة ، دار كنعان للنشر ،سوريا،1991.
80. ميغوليفسكي ،أسرار الآلهة ، تر حسان مخائيل إسحاق ،ط 4 ، دار علاء الدين ،مصر،2009.
81. ه،ورمنقتن،تاريخ ولايات شمال افريقيا الرومانية،تر عبد الحفيظ الميار ،طرابلس،1994.
82. هاشم عبود الموسوي،موسوعة الحضارات القديمة ، دار الحامد، الأردن ،2013.
83. هيم ماكبي ،بولس وتحريف المسيحية ،تر ،سميرة عزمي الزين ،منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية .
84. ول ديورنت ،قصة الحضارة، ج 3 ، المجلد 3 ،تر محمد بدران ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.
85. يسري الجوهري ،جغرافية البحر المتوسط ،دار المعارف، مصر ،1984.
86. يعقوب نخلة روفيلة ، تاريخ الأمة القبطية،ج1،مصر، 1975.
87. ين ديفيز، السحر، تر رحاب صلاح الدين، 1ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،2014.
88. يوسف عيد ،الديانة اليهودية ،دار الفكر ،بيروت ، 1995.

المراجع باللغة الأجنبية

1. Allard,P., P.D.T.E.T I, IV Paris, 1900.
2. Barnes, T. D.,The New Empireof Diocletian And Constantine, Harvard University Cambridge Press, London ,1982 .
3. Beck,R., The Religion Of The Mithras Cult In The Roman Empire, Oxford, Uk ,2006.

4. Birley, A., *The Septimius The African Emperor*, Routledge, Usa, 2002.
5. Birley, A., *Marcus Aurelius*, Routledge, Usa, 2000 .
6. Brisson, J, P., *A.CH.A.R. Paris*, 1958.
7. Brodd ,J., Reed.L., *Rome And Religion A Cross-Disciplinary Dialogue On The Imperial Cult* , Society Of Biblical Literature ,Atlanta ,2011.
8. Burnett .T.E., *Primitive Culture Researches Into The Development Of Mythology, Vol 1*, Dover Publications, New York, 2016.
9. Cary.,M, Scullard.,H, *A History Of Rome* ,Third Edition, Uk, 1975.
10. Christol, M., *Rome Et Son Empire*, Hachette, 5^e edition, Paris, 2011.
11. Clifford, A., *Law Language And Empire In The Roman Tradition*, University Of Pennsylvania Press, 2010.
12. Collins, D., *The Cambridge History Of Magic And Witchcraft In The West From Antiquity To The Present*, Cambridge University Press, Uk, 2015.
13. Commelin, P., *M.G.R. Paris*, 2018.
14. Davies, W., Finkelstein, L., *The Cambridge History Of Judaism* , Cambridge University Press, 2008.
15. De Lessert. P., *Fastes Des Provinces Africaines Sous La Domination Romaine, T2*, Paris, 1901.

16. Decret,F., CH.A.N.A.Seuil,Paris,1996.
17. Denzey ,L.N.,Popular Christianity And Lived Religion In Late Antique Rome :Seeing Magic In The Catacombs , Cambridge University Press, 2017.
18. Desautels ,J., Dieux Et Mythes De La Grèce Ancienne La Mythologie Gréco-Romaine, Les Presses De L'université Laval, Canada,2005.
19. Dickie.W.M.,Magic And Magicians In The Greco-Roman World,Routledge,Uk.
20. Dishwick ,D., The Imperial Cult In The Latin West, Vol 3, Brill ,Koln ,2002.
21. Eugene N.L.,Cybele Attis And Related Cults , Ej Brill Leiden , New York , 1996.
22. Forsythe,G., C.H.E.R. California Press,Usa,2005.
23. Fregiato ,F., A Brief History Of Italy, Studies In Culture Reports And Research,2014.
24. Freke ,T.,Gandy.P.,The Jesus Mysteries, Harper Collins ,Uk,2000.
25. Friend, W.C., M.P.E.CH. Basil Blackwelt,Uk,1965.
26. Friend, W.C., The Rise Of Christianity, Fortress Press, Philadelphia,1984.
27. Garrison,R., The Graeco-Roman Context Of Early Christian Literature, Sheffield Academic Press,Uk,1997.

28. Gasquet,A.,Essai Sur Le Culte Et Le Mystère De Mithra, Armand Colin , 5eme Edition ,Paris,1899 .
29. Glover,T., C.R.E.R.E.Cornell University Library,Usa,2014.
30. Goodman,M.,Judaism In The Roman World ,Brill ,Boston, 2007.
31. Gregory,T., A History Of Byzantium, Blackwell,Uk, 2005.
32. Gsell ,S., H.A.A.N.T5,Hachette, Paris,2014.
33. Hall,C.,Jesus And The Goddess Living Into A Christopagan Theology,2016.
34. Hare, D. R.,The Theme Of Jewish Persecution Of Christians In The Gospel According To St Matthew, Cambridge University Press,Uk, 1967.
35. Hinard,F.,Histoire Romaine,T.1,Fayarde, Paris,2000.
36. History Of European Countries,Italian History,Captivating History,2020.
37. History Of European Countries,The Etruscans,Captivating History,2019.
38. Humm,M., R.R.S.E. Armand Colin, France, 2018.
39. Hunt,W., History Of Italy, Macmillan And Co,Uk, 1883.
40. Hurtado, L., Destroyer Of The Gods Early Christian Distinctiveness In The Roman World , Baylor University Press,2016.

41. Izzet ,V.,The Archaeology Of Etruscan Society ,
Cambridge University Press,Uk,2007.
42. Krauskoph,I.,The Etruscan World Gods And Demons In
The Etruscan Pantheon,Uk,2013.
43. Lancel ,S., A.A.M.ST.A.Place Des Victoires ,Paris,2003.
44. Lane Fox,R., Pagans And Christians ,Penguin Books,
Usa,2006.
45. Le Bohec ,Y., H.R.A. Paris,2012.
46. Le Roux,P.,Le Haut-Empire Romain En Occident
D'auguste Aux Sévères 31 Av. J.-C. - 235 Apr. J.-C, Éditions Du Seuil,
Madrid,2003.
47. Leadbetter ,B.,Galerius And The Will Of Diocletian,
Routledge,Usa,2009.
48. Leveils,X.,Contra Christianos, Walter De
Gruyter,Usa,2007.
49. Lindsay ,G.D., Roman Republican Augury: Freedom And
Control, Oxford University Press,Uk,2019.
50. Macintosh. J .T.,Etruscan World,Routledge Worlds,
Usa,2013.
51. Maraval,P.,CH.C.C.A.Presses Universitaires De France,
Paris, 2015.
52. Martin, J.,Histoire Romaine,Armand Colin, Paris, 2013.
53. Martroye,F., Genséric La Conquête Vandale En Afrique Et
La Destruction De l'Empire D'occident,Paris, 1907.

54. Mattei,P., CH.A.J.C.3 Edition,Armand Colin,Paris.
55. Mayeur,J.,Pietri,L.,Venard,M.,Histoire Du Christianisme Des Origines A250 , Deslee,Paris,2000.
56. Mercier, E, Histoire De L’afrique Septentrienl,Hachette , Paris,2017.
57. Mitchell ,S., H.L.R.E.A. 2 Edition, Blackwell,Usa.
58. Monceaux,P., H.L.A.CH.T 1,Paris, 1901.
59. Mourret, F., Les Pères De L’église Ive Et Ve Siècles, Librairie Bloud Et Gay ,Paris ,1928.
60. Mundi,A.,Magic And The Occult In The Greek And Roman Worlds, The Johns Hopkins University Press,Usa, 2006.
61. Nabarz,P.,The Mysteries Of Mithras, Inner Traditions, India,2005.
62. Neusne,J., Studies In Judaism In Late Antiquity, Brill Leiden, Netherlands, 1976.
63. North, J.,Religion Of Rome,V2,Cambridge University Press.
64. Odahl ,Ch., C.CH.E. Routledge,Usa,2004.
65. Pat,S.,The Roman Empire From Severus To Constantine , Routledge,Usa,2001.
66. Peters,F.,The Monotheists, Princeton University Press,Usa,2004.
67. Petit .P.,Histoire Générale De L’empire Romain Paris, Ed Du Seuil,Paris,1978.

68. Potter, D., *The Emperors Of Rome* ,Quercus Editions ,London,2013.
69. Price S. R. F., *Rituals And Power The Roman Imperial Cult In Asia Minor*, Cambridge University Press,Usa.
70. Renan,E., *L'Église Chrétienne* , Calmann Lévy, Paris, 2018.
71. Roger ,H., *Studies In The Reign Of Valerian And Gallienus*,Princeton University Proquest Dissertations Publishing ,Usa, 1952.
72. Roller,L.E.,*Search In God Of The Mother*, University Of California Press, Berkeley.
73. Rostovtzeff ,M.,*Rome*,Oxford University,Usa,1960.
74. Rothschild,C.,Schroter,J.,*The Rise And Expansion Of Christianity In The First Three Centuries Of The Common Era*, Mohr Siebeck,Germany,2013.
75. Rouche,M,. *Les Origines Du Christianisme 1 Er 5 Siecle*, Hachette, Paris,2007.
76. Rüpke,J., *From Jupiter To Christ On The History Of Religion In The Roman Imperial Period*, Oxford University Press,Uk,2014.
77. Salles ,C.,*Néron*,Perrin,Paris,2019.
78. Scarre ,Ch.,*Chronicle Of The Roman Emperors*, Thames & Hudson,Usa,2012.
79. Schaff ,Ph., *H.CH.CH. Christian Classics Ethereal Library*, 5 Edition ,Vol 1, 2002.

80. Shuare, E., *La Prêtresse D'isis Légende De Pompéi*, Librairie Académique Perrin Collection De Romans , 1907.
81. Smallwood, E. M., *The Jews Under Roman Rule*, Brillleiden, Netherlands, 1976.
82. Smith, Ch., *The Etruscans: A Very Short Introduction*, Oxford University Press, Uk, 2014.
83. Stark, R., *The Rise Of Christianity*, Harper Collins , Usa, 1997.
84. Strauss, B., *Ten Caesars Roman Emperors From Agustus To Constantine*, Simon And Schuster, Usa, 2012.
85. Sundkler, B., Steed. Ch., *A History Of The Church In Africa* , Cambridge University Press, Uk, 2004.
86. Taylor, R., *The Divinity Of The Roman Emperor*, Porcupine Press, Philadelphia, 1975.
87. Toulotte ,M., *Géographie De l'Afrique Chrétienne*, LEN POD, Paris, 2017.
88. Turney, S., *Commodus*, Orion, Uk, 2019.
89. Van Ackeren ,M., *A Companion To Marcus Aurelius*, Blackwell, Uk , 2012.
90. Vannier, M., *Judaïsme Et Christianisme Dans Les Commentaires Patristiques De La Genèse*, Peter Lang, Berlin, 2001.
91. Watson, A., *Aurelian And Thethird Century*, Routledge, Usa, 2003.

92. Yvette ,D., Chrétiens d'Afrique A l'Aube De La Paix Constantinienne Lespremiers Echos De La Grande Persécution,Paris, 2000.

المقالات بالعربية:

1. حمودي نبيلة، "الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان"، مجلة المراقب للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ديسمبر 2020، المجلد 16، العدد 4، الجزائر.
2. حميدة نشنش، "إجراءات الامبراطور هونوريوس للقضاء على الحركة الدوناتية 423-393م"، مجلة الباحث، المجلد 13 العدد: 01 الجزائر، سبتمبر 2021.
3. حميدة نشنش، "سياسة روما الثقافية وأثرها في بلدان المغرب القديم"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 9، العدد 2، 2021.
4. خديجة منصوري، "الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة"، مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 2، العدد 01، ديسمبر 2002.
5. خليفة بن ناصر، "الدوناتية من مظاهر المقاومة للسيطرة الرومانية في شمال أفريقيا"، مجلة البحوث التاريخية، العدد 1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993.
6. ربيع العولمي، "المقاومة المورية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم ثورة الأخوين فيرموس وجيلدون 372م-398م"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، العدد 3، جانفي 2022.
7. عبد الحميد عمران، "ثورة الدوارين (الريفية) وارتباطها بالحركة الدينية (الدوناتية) 411-347م في بلاد المغرب القديم"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 5، جامعة نواكشوط، أوت 2015.
8. عبد الحميد عمران، "مقاومات الاحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجاً"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، الجزائر، ديسمبر 2015.

9. محمد الحبيب بشاري، "أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397-398"، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، المجلد 13، العدد 1، مصر، 2012.
10. محمد المبكر، "حركة الدوارين في شمال أفريقيا في القرنين الرابع والخامس الميلاديين"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
11. محمد الهادي حارش، "ثورة فيرموس"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 1، الجزائر، جانفي 1993.
12. محمد كافي، "ازدهار المظاهر الاقتصادية في الحضارة الرومانية بين روما ومستعمراتها"، مجلة دراسات وابحاث، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 4، العدد 2، أفريل 2022.
13. محمد ناجي احمد بن عروس، "عبادة الامبراطور في عاصمة الإمبراطورية منذ النشأة حتى زمن الأسرة السيفيرية"، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية.

المقالات بالأجنبية:

1. Keresztes, P., "From The Great Persecution To The Peace Of Galerius", Vigiliae Christianae, Vol 37, N4, Dec 1983.
2. Bagnall, R., "Religious Conversion And Onomastic Change In Early Byzantine Egypt" Bulletin Of The American Society Of Papyrologists, 1982.
3. Barnes, T. D., "Legislation Against The Christians", The Journal Of Roman Studies, Vol. 58, 1968.
1. Beaver, R., "The Donatist Circumcellions", American Society Of Church History, Cambridge University Press, Vol 4, N 2 Jun 1935.

2. Betten, S.F., "The Milan Decree Of 313A D Translation And Comment ", The Catholichistorical Review , Vol8, N2, Jul 1922.
3. Bonfante,L., "Human Sacrifice Etruscan Rituals For Death And For Life",American Journal Of Archaeology,Vol. 88, No. 4, The University Of Chicago Press,Oct 1984.
4. Christopher J. Haas, Imperial Religious Policy Andvalerian's Persecution Of The Church, A.D ,260-257 .Church History, Catholicuniversity Of America Press, Vol. 52, No. 2 (Jun., 1983).
5. Donlan,W., "The Foundation Legends Of Rome: An Example Of Dynamic Process ",The Classical World,Vol. 64, No. 4, Classical Association Of The Atlantic States,Usa,Dec 1970.
6. Meslin,M., Hadot, P., "A Propos Du Donatisme", Archives De Sociologie Des Religions , N 4 , Dec1957.
7. Dunlod,M.D., "Augury And Divination In The Roman Empire" ,Project Appraisal, Vol 2, Number 1, England,March 1987.
8. Guimet,E., " L'isis Romaine Séance " , Belle Lettre N02 ,Février 1896 .
9. Nurit,B.D., "Animism",Current Anthropology,Vol 40,Feb 1999.
10. Martin,Jr.The Network(S) Of Mithraism: Discussing The Role Of The Roman Army In The Spread Of Mithraism And The Question Of Interregional Communicatio,2018.

11. Pharr,C., "Constantine And The Christians" , American Classical League, Vol 16, N 6 March 1939.

12. Pigeon ,D.," Cyprian Augustine And The Donatist Schism"Ashlandtheological Journal, 1991.

13. Pleket ,H.W., "An Aspect Of The Emperor Cult Imperial Mysterie "Harvard Theological Review ,Vol 58 , N4, Uk, 1965.

الرسائل العلمية بالعربية

1. احمد ساحلي،إصلاحات قسطنطين الأول الدينية والسياسية في أوروبا 306-337م،رسالة ماجستير في التاريخ القديم ،2014-2015.
2. خديجة زموري،القديس أغسطين بين السلطة الرومانية والمجتمع المحلي ،أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم،جامعة 8ماي قالمة ،2017-2018.
3. خديجة منصورى ،الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال افريقيا ،رسالة ماجستير في التاريخ،جامعة وهران ،1986-1987 .
4. رمضان عبد الرزاق مختاط ،تطور الديانة الرومانية حتى أواخر عصر الجمهورية من 753 الى 44ق م ،رسالة ماجستير في التاريخ القديم ،جامعة التحدي،ليبيا، 2008.
5. ربيع العولمي، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم ،جامعة باتنة1 ، 2015 - 2016.
6. سعيدة أويحي،الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الميلادي إلى بداية القرن الخامس الميلادي 180-411م قرطاج ونوميديا أنموذجا ،أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم ،جامعة الجزائر 2، 2016 - 2017.

7. عبد الحفيظ لعمش، تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي العقيدة نموذجاً، أطروحة دكتوراه في مقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015-2016.
8. عبد العالي الفيتوري، الإمبراطور قسطنطين والمسيحية 306-337، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة المرقب، ليبيا، 2008.
9. عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور 180-430م، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011.
10. لزهرة خديجة، التعاليم المسيحية في رسائل القديس بولس الرسول، رسالة ماجستير في مقارنة الأديان، جامعة الجزائر 2011-2012.
- الرسائل العلمية بالأجنبية

1. Hoover, J.A., The Contours Of Donatism: Theological And Ideological Diversity In Fourth century North Africa Mentor, A Thesis Approved By The Department Of Religion, 2008.

الموسوعات بالعربية

1. حسن نعمة، موسوعة ميثولوجية وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، لبنان، 1994.
2. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5، دار الشروق، القاهرة، 1999.
3. فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثالث، ط4، سوريا، 2017.

الموسوعات بالأجنبية

1. Barnard, A., Spencer, J., Encyclopedia Of Social And Cultural Anthropology, Routledge, Usa, 2002.
2. Bouillet, M.N., Dic .U.H.G.Hachett ,Paris, 1869.

3. Bunson,M., Ency.R.E. Acid Free Paper,Usa,2002.
4. Collectif., Mesure,S., Savidan,P., Dic.S.H. PUF,2006.
5. Di Berardino,A., Ency.A.CH. The Institutum Patristicum Augustinianum,Usa,2014 .
6. Kessler , E., Wenborn,N., Dic.J.CH.Cambridge University Press ,Uk,2005.
7. Roman,L., Roman,M., Ency.G.R.M.Facts On File ,Usa,2010.

المواقع الإلكترونية

1. <https://www.britannica.com/>
2. <https://dictionary.cambridge.org>
3. <https://d-maps.com>.
4. <https://www.cointalk.com/threads/common-type-but-if-you-like-looking-at-coins-of-augustus>
5. <https://unitedbible.com>
6. <https://www.researchgate.net/publication/309125125>
7. <https://www.semanticscholar.org/paper/The-Roles-Of-Isis-In-Roman-Domestic-Cults%3A-A-Study-Amoroso>.

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	1
الفصل التمهيدي: جذور الديانة الرومانية.....	9
1- روما وأصل السكان.....	11
1-1 السبانيين (Sabines).....	12
2-1 الأتروسك (Etruscans).....	12
1-2-1 ديانة الأتروسك.....	14
3-1 اللاتين (Latins).....	18
4-1 الإغريق (Greeks).....	19
2- مكانة الأسطورة والدين عند الرومان.....	20
1-2 مكانة الأسطورة عند الرومان.....	20
2-2 مكانة الدين عند الرومان.....	21
3- السحر في الديانة الرومانية.....	23
1-3 مفهوم السحر.....	24
2-3 علاقة السحر بالفكر الديني الروماني.....	24
4- العرافة في الديانة الرومانية.....	30
1-4 مفهوم العرافة.....	30
2-4 مكانة العرافة عند الرومان.....	30
3-4 العرافون الرومان.....	32
1-3-4 العرافون الطبيعيون.....	33
2-3-4 عرافو البرق.....	34
3-3-4 العرافون الصناعيون.....	35

36	5- المعتقدات الأرواحية والديانة الرومانية.....
36	1-5 مفهوم الارواحية (Animism)
38	2-5 الارواحية والديانة الرومانية.....
39	6- مفهوم قوى الفتشية (Fetish) والنيومن (Numen) عند الرومان.....
39	1-6 القوى الفتشية (Fetish) عند الرومان.....
39	2-6 النيومن (Numen) عند الرومان.....
40	الفصل الأول : تطور الديانة الرومانية.....
42	1- المنظومة الدينية الرومانية.....
43	1-1 الكهنة الرومان.....
45	1- 1-1 الكاهن الأعظم(Pontifex Maximus).....
47	1- 2 الآلهة الرومانية.....
49	1-2-1 الإله جانوس (Janus).....
52	2-2-1 الإله جوبيتر (Jupiter).....
56	3-2-1 الإلهة جونو(Juno).....
59	4-2-1 الإله مارس (Mars).....
63	5-2-1 الإله ساتورن (Saturn).....
64	6-2-1 الالهة فستا (Vesta).....
67	7-2-1 الإله فولكان (Vulcan).....
70	8-2-1 الإله مركوري (Mercury).....
72	9-2-1 الالهة منيرفا (Minerva).....
74	3-1 دور العبادة عند الرومان.....
74	1-3-1 المعابد الرومانية.....
76	2-3-1 دور المعابد في الفترة الإمبراطورية.....
78	2- عبادة الإمبراطور (Emperor Worship).....

78	1-2 جذور العبادة.....
81	2-2 دخول عبادة الإمبراطور إلى روما.....
85	2-3 تطور مفهوم عبادة الإمبراطور عند الرومان.....
86	3- الديانات الشرقية الوافدة إلى الرومان.....
88	1-3 ديانة الالهة سيبيلي(Cybele).....
90	2-3 ديانة الإله ميثرا (Mithra).....
93	3-3 ديانة الالهة ايزيس(Isis).....
97	الفصل الثاني: الديانة المسيحية جذورها نشأتها وتطورها.....
100	1- الجذور اليهودية للديانة المسيحية.....
100	1-1 اليهودية أصل المصطلح.....
101	1-2 الفرق اليهودية.....
101	1-2-1 السامريون(Samaritans).....
102	1-2-2 الحسيديون(Hasideans).....
102	1-2-3 الفريسيون(Pharisees).....
103	1-2-4 الصدوقيون(Sadducees).....
104	1-2-5 الأسينيون(Essenes).....
107	1-2-6 الغيوريون(Zealots).....
105	1-3 الكتب المقدسة عند اليهود.....
105	1-3-1 العهد القديم (The Old Testament).....
106	1-3-2 التوراة (Torah).....
107	1-3-3 التلمود (Talmud).....
108	1-3-4 المشنا (Mishnah).....
108	1-4 مفهوم الألوهية عند اليهود.....
109	1-5-2 الانتشار اليهودي خارج فلسطين.....

111	1-2-5-1 اليهود تحت النفوذ الروماني
112	2- الديانة المسيحية
113	1-2 الخلفية اللغوية والتاريخية لمصطلح المسيحية
114	1-1-2 الخلفية اللغوية لمصطلح المسيحية
114	2-1-2 الخلفية التاريخية لمصطلح المسيحية
116	2-2 الخلفية اللغوية والدينية لمصطلح المسيح
116	1-2-2 الخلفية اللغوية لمصطلح المسيح
117	2-2-2 الخلفية الدينية لمصطلح المسيح
118	3-2 حياة المسيح قبل البعثة
122	4-2 بعثة المسيح ومعجزاته
122	1-4-2 بعثة المسيح
126	2-4-2 معجزات المسيح
127	5-2 صلب المسيح وقيامته
127	1-5-2 صلب المسيح
130	2-5-2 قيامة المسيح
132	6-2 الكتب المقدسة عند المسيحيين
132	1-6-2 تعريف الإنجيل
133	2-6-2 الأنجيل الأساسية في المسيحية
133	1-2-6-2 إنجيل مرقس (Gospel Of Mark)
134	2-2-6-2 إنجيل متى (Gospel Of Matthew)
135	3-2-6-2 إنجيل لوقا (Gospel Of Luke)
136	4-2-6-2 إنجيل يوحنا (Gospel Of John)
137	5-2-6-2 إنجيل برنابا (Gospel Of Barnabas)
138	7-2 التلاميذ والرسل المسيحيون

138 1-7-2 تلاميذ المسيح
140 2-7-2 رسل المسيح
140 1-2-7-2 بطرس (Saint Peter)
141 2-2-7-2 يوحنا (Saint John)
142 3-2-7-2 بولس (Saint Paul)
143 8-2 الانتشار المسيحي في الإمبراطورية الرومانية
143 1-8-2 عوامل الانتشار المسيحي
147 2-8-2 مناطق الانتشار المسيحي في الإمبراطورية الرومانية
152 الفصل الثالث: الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية
153 1- خلفيات الصراع الوثني المسيحي في الإمبراطورية الرومانية
153 1-1 علاقة اليهود بالصراع الوثني المسيحي
153 1-1-1 طبيعة العلاقة بين اليهود والسلطة الرومانية
158 2-1-1 الثورات اليهودية ضد الحكم الروماني
165 2-1 الخلاف العقائدي بين المسيحيين واليهود
169 3-1 الاضطهاد اليهودي للمسيحيين
172 2- السلطة الرومانية وموقفها من الديانة المسيحية
175 3- المنطلقات العقائدية للصراع الوثني المسيحي
175 1-3 تأليه الإمبراطور
179 2-3 عقيدة الاستشهاد المسيحية
180 3-3 معتقد قيام مملكة الرب عن المسيحيين
181 4- الاضطهاد الديني في عهد الأباطرة الرومان
182 1-4 اضطهادات الإمبراطور نيرون (Nero)
183 2-4 اضطهادات الإمبراطور ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius)
185 3-4 اضطهادات الإمبراطور كومودوس (Commodus)

- 186 4-4 اضطهادات الإمبراطور سيبتييموس سيفيروس (Septimius Severus)
- 187 5-4 اضطهادات الإمبراطور ديسيوس (Traianus Decius)
- 189 6-4 اضطهادات الإمبراطور ليسينيوس فاليريان (Valerian Liciniu)
- 190 7-4 اضطهادات الإمبراطور جالينوس (Licinius Egnatius Gallienus)
- 191 8-4 اضطهادات الإمبراطور أوريليان (Lucius Aurelianus)
- 192 9-4 اضطهادات الإمبراطور دقليانوس (Diocletianus)
- 195 10-4 اضطهادات الإمبراطور جاليريوس (Gaius Galerius)
- 197 5-الصراع الوثني المسيحي في عهد الإمبراطور قسطنطين (Constantinus)
- 197 1-5 الإمبراطور قسطنطين والمسيحية
- 200 2-5 مرسوم ميلان 313م وانعكاساته على المسيحية
- 203 الفصل الرابع : انعكاسات الصراع الوثني المسيحي على بلاد المغرب القديم
- 205 1- ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم
- 206 1-1 عوامل الانتشار المسيحي في بلاد المغرب القديم
- 206 1-1-1 نشاط الرسل و حركة الدعوة المسيحية
- 207 2-1-1 التجمعات السكانية اليهودية ودورها في نشر المسيحية
- 208 3-1-1 دور الطرق والمواصلات في تسهيل الانتشار المسيحي
- 210 2- الاضطهاد الديني في بلاد المغرب القديم
- 210 1-2 الاضطهادات الدينية لمسيحيي بلاد المغرب القديم
- 213 3- بروز الحركة الدوناتية في بلاد المغرب القديم
- 213 1-3 الخلفيات الاجتماعية لظهور الحركة الدوناتية
- 214 2-3 عوامل قيام الحركة الدوناتية
- 216 3-3 أحداث شهداء ابتيانا (Abitina)
- 217 4- تطور الحركة الدوناتية 312-397م
- 217 1-4 انقسام الكنيسة الإفريقية والصراع الدوناتى الكاثوليكي

226	2-4 موقف الإمبراطور قسطنطين من الانشقاق الكنسي 312-337م
237	3-4 سياسة الإمبراطور قنسطانطيوس تجاه الدوناتيين 337-361م
243	4-4 الخلاف الدوناتى الدوناتى 362-397م
248	5- الدوناتية وعلاقتها بحركة الدوارين
248	1-5 ظهور حركة الدواريين في بلاد المغرب القديم 330-347م
253	2-5 تطور حركة الدواريين وتحالفها مع الدوناتيين 347-412م
258	6-الحركة الدوناتية وعلاقتها بثورتي فيرموس(Firmus) وجيلدون (Gildon)
258	1-6 ثورة فيرموس (Firmus) 372-375م
260	2-6 ثورة جيلدون(Gildon) 396-398م
277	خاتمة
274	الملاحق
284	الفهارس
309	قائمة المصادر والمراجع
305	فهرس المحتويات